الموسوعة الشعرية

لأمير البيان

ديوان

على ركاب الجمهور

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الموسوعة الشعرية
لأمير البيان

ديوان على ركاب الجمهور

الموسوعة الشعرية لأمير البيان

"ديوان على ركاب الجمهور"

المؤلف: الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

المحقق: سعيد بن سالم النعماني

الناشر: أنجال المؤلف

رقم الإيداع لحقوق المؤلف الفكرية: ٣١٦٦
لدى دائرة الملكية الفكرية
وزارة التجارة والصناعة بسلطنة عمان.
رقم إيداع الترخيص المحلي: ٢٠١٨/١٦.
رقم الإيداع الدولي (ISBN): ٩٧٨-٩٩٩٦٩-١-٧٧٩-٠
لدى دائرة المطبوعات والنشر
وزارة الإعلام بسلطنة عمان.

الإخراج وتصميم الغلاف: أيمن الزعبي.
الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

لمزيد من المعرفة حول حياة وأدب أمير البيان وأعلام آل الخليل

ولتحميل الموسوعة الشعرية زر الموقع: www.amiralbayan.com

جميع حقوق الطباعة والنشر محفوظة، لا يسمح باعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال

الموسوعة الشعرية لأمير البيان

الشيخ عبد الله بن علي الخليلي

ديوان
على ركاب الجمهور
في الشعر المُرْسَل والشعر القصصي

تحقيق

سعيد بن سالم النعماني

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

أمير البيان

الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

٧من محرم ١٣٤٠هـ - ٢٨من ربيع الثاني ١٤٢١هـ

الموافق .../.../١٩٢٠م - ٣٠ من يوليو ٢٠٠٠م

صدر هذا الديوان في نسخة مطبوعة سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، وفي هذه الطبعة جعلناه مؤلفا من مادته الأصلية وزدنا عليها قصائد قصصية أخرى نقلناها إليه من ديواني وحي العبقرية وفارس الضاد.

المحتويات

المحتويات

دراسة تحليلية للأستاذ الدكتور أحمد درويش مقدمة ١٧
صاحب الديوان ٣٥

اسم القصيدة ..... القافية ..... رقم الصفحة

المجال الأول

نصوص ديوان على ركاب الجمهور

١. كيف أعمل ٤٣
٢. صرامة الفاروق ٧٣
٣. لاتحتكمي ١٠١
٤. لقيط والخُيَلاء ١١٩

المجال الثاني

قصائد قصصية

١. الملك ووزيراه ..... قافية متغيّرة ١٣٥
٢. هند والكاهن ..... تُبَّعُ ١٥٧
٣. أخت الزليخا ..... قافية متغيِّرة ١٦٢
٤. الغارُ الرهيب ..... أراها ١٧٦
٥. الخيزُران والرشيد ..... جفاءِ ١٨٧
٦. سلطانُ الغرام ..... أطنابه ١٩٣
٧. من قصص الماضي ..... تَرْبَحُ ١٩٧
٨. مبعثُ الأسى ..... مطيرُ ٢٠٠
٩. البدويُّ والوهم ..... كالأسدِ ٢٠٣

اسم القصيدة	القافية	رقم الصفحة
١٠. عند الموصلي	المُسَهَّدُ	٢٠٦
١١. من مُلَح الرشيد	سُوَارُ	٢١١
١٢. الحزْمُ والوفاء	يَتَنَفَّسُ	٢١٧
١٣. على بيتي المأمون	للنجيع	٢٢٢
١٤. نزار وبنوه	مُحَاقُ	٢٢٥
١٥. من طرائف المأمون	لا تكذبيه	٢٣٧
١٦. حفظُ الكرام	الغـرام	٢٤٥
١٧. جذيْمَةُ والأحداث	المُجُونِ	٢٤٩
١٨. المأمون والجارية	لديه	٢٦٤
١٩. أقصوصة الروض	واديها	٢٦٧
مصادر التحقيق		٢٨٥

* * * * *

على ركاب الجمهور
تجربة الشيخ عبدالله في الشعر الحديث
وضعه عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

الإهداء

إلى الشباب المتطلع إلى الأدب بكل ضروبه
المتحفز إلى الثقافة والنبوغ
أقدم كلماتي بشاعريتها
متوسعاً في مجالها
آخذاً برأي الجمهور

عبد الله الخليلي

الخليلي وتجربة الشعر الحديث
دراسة تحليلية للديوان
بقلم الدكتور أحمد درويش

تمثل تجربة الشيخ عبد الله الخليلي مع الشعر الحديث، حدثا ذا مغزى أدبي هام، ومنعطفا رئيسيا سيكون له ما بعده في تاريخ الأدب العربي المعاصر في منطقة الخليج العربي على نحو خاص، وربما في عُمان على نحو أخص. ذلك أن الشيخ الخليلي تمكن على امتداد نحو نصف قرن من الزمان أن يتابع انتاجه الشعري الراسخ، وأن يوالي نشر قصائده في الدواوين والصحف، وأن تتابع الدراسات عنه في الكثير من أنحاء العالم العربي، حتى اقترن اسمه باسم الشعر العربي في عمان، لا يكاد يذكر أحدهما حتى يفد الآخر على الذهن، وانتاجه بالطبع في خلال ذلك كله يمثل ما هو مألوف ومتوقع من شعر يعد في مجمله امتدادا للمستوى الجيد من القصائد العربية في تاريخها الطويل، ومحافظة على تقاليدها التي رسخت جيلا بعد جيل، مع نزوع إلى إظهار المذاق الفردي للشاعر، وميل إلى استخدام العنصر القصصي بين الحين والآخر.

وهو في ذلك كله واحد من أئمة المحافظين وشيوخهم. لكن الجديد والمعجب في تجربته الجديدة، أن يطلع علينا وهو في منتصف العقد السابع –أمد الله عمره– بتجربة مع الشعر الحديث، الذي ينتمي في مجمله إلى الأجيال التي تلت الشيخ الخليلي، ويقف منه جيله عادة موقف التحفظ في أفضل الأحايين وموقف الرفض والإنكار في معظمها، وفي المقابل تقف منه الأجيال التالية موقف التأييد والتحمس والاندفاع أحيانا دون بصر كافٍ بقواعده، وتكاد تتسم العلاقة بين بعض المنتسبين إلى الأجيال المختلفة، بالقطيعة الأدبية

وعدم التواصل، يُـنْكِرُ كلٌّ على الآخر ما يمكن أن يكون لديه من مزايا ويعف عن مناقشتها، ويركز على ما يعتقد أنه نقاط الضعف لدى الجيل الآخر.

والنتيجة المتوقعة لهذا التدابر الأدبي، بدأت تؤتي بعض ثمارها المُرة، حين بدا بعض المحافظين وكأنهم لم يستفيدوا من الحيوية التي حاولت أن تبثها الحركة الجديدة في الشعر، تعبيرا وتصويرا وموضوعا ومحورا وهدفا ورسالة، فظلوا على ما كانوا عليه في اختيار الموضوع، ونمط اللغة، وأسلوب التصوير والتعبير، وابتعدوا عن العصر، فهجرهم كثير من قرائهم وسامعيهم، وعمدوا إلى البحث عن المتعة الفنية عند سواهم، وفي المقابل فإن بعضا ممن انضموا إلى ركب التجديد، لم يروا في التجديد إلا أنه قد تخفف من بعض قيود الشكل، فعمدوا إلى التخفف من باقيها، وخلطوا بين الحرية والفوضى، ونسوا أن الفنان الجيد لا يتخفف من قيد إلا في سبيل أداء هدف، يعد بدوره قيدا جديدا، وأن حركة التطور في أمة لا يمكن أن تكون شطحات فردية، يكتب كلٌّ ما يعنُّ له، دون إلمام بما يكتب الآخرون، ودون معرفة بالأصول الفنية للتطور، وقيوده الجديدة، ولقد نتج عن ذلك أن امتلأت أعمدة الصحف وصفحات الكتب بكلام ينسب نفسه إلى الشعر الحديث، ويصعب على الناقد المتأني تصديق النسبة في معظم الأحايين.

في مثل هذا المناخ الأدبي الذي مرَّت أو تمر به معظم مناطق الوطن العربي -على تفاوت فترات بداية الظاهرة وقمتها وتصحيح مسارها- تأتى أهمية ما كتبه الشيخ عبد الله الخليلي عن الشعر الحديث تنظيرا وإبداعا في هذا الديوان، وتثير جملة من القضايا ينبغي أن تناقشها الحركة الأدبية في عُمان والخليج وأن تستخلص منها

النتائج التي تساعدها على دفع عجلة تطورها. وأهم هذه القضايا ما يتعلق بمفهوم الشعر والعلاقة بين هذا المفهوم وبين أوزان الخليل كما فهمها العروضيون منذ أكثر من ألف عام، والخليلي يناقش هذه العلاقة في مقدمته من زاويتين، زاوية الإيجاب، وزاوية السلب، أو زاوية الإلتزام وزاوية الخروج، ومع أن ما انتهى إليه كثير من أعلام العربية إلا أن موقعه المتميز من الحركة الأدبية العُمانية يجعل لآرائه في هذه القضية أهمية خاصة. ففي زاوية الالتزام بالوزن يأتي على لسانه التأكيد بأن "الكلام ولو كان مقفى موزونا لا يسمى شعرا ولا يمكن أن نطلق على صاحبه أنه شاعر، فأصحاب المنظومات العلمية والفقهية لا يدخلون في جماعة الشعراء مع وجود الوزن والقافية في شعرهم". ويكتسب هذا الكلام أهميته عندما ينبه في رفق بعض أصحاب الاتجاه المحافظ الذين يضعون كل اهتمامهم وراء سلامة الوزن والقافية ويظنون أنهم يمكن أن يعدوا بهذا وحده في عداد الشعراء، وهو أيضا يفيد في أنه ينبهنا إلى أنه ينبغي أن نحرر عبارتنا ونحن نقلب كثيرا من صفحات التراث، ونقف أمام إنتاج فقهائنا وعلمائنا الإجلاء، الذين صاغوا مسائلهم الفقهية وقضاياهم العلمية في شكل منظوم لكي يسهل حفظها وتداولها لا لكي يقال عنهم إنهم شعراء، ونحن لا نتردد في أن نبدأ التعريف بكل عَلَم من هؤلاء على أنه: "عالم شاعر" وعبارات الخليلي في هذه القضية واضحة وقاطعة.

الزاوية الثانية هي زاوية الخروج على الوزن كليا أو جزئيا، وهي الزاوية التي دارت حولها جُلُّ محاولات التجديد في الأدب العربي، ولا أقول كلها، فهناك محاولات هامة أخرى مثل قضية (عمود الشعر) لا تتصل على الإطلاق بقضية الوزن، وإن كان اللبس يتسرب إلى هذه القضية غالبا، فيجري الحديث عن (الشعر العمودي) باعتباره الشعر

الملتزم بعروض الخليل، والشعر غير العمودي باعتباره الخارج على هذه الأوزان، والواقع أن قضية (عمود الشعر) كانت متصلة بالالتزام أو عدم الالتزام بالموضوعات القديمة في القصيدة مثل الوقوف على الأطلال وبكاء الديار والارتحال إلى الممدوح، ومتصلة كذلك بمدى التجديد في الاستعارة والأخيلة، ولم يعرف عن أبي تمَّام الذي كان ينسب إليه الخروج على (عمود الشعر) أنه كان مجددا في الوزن أو خارجا عليه.

أما محاولات الخروج الجزئي على الوزن العروضي، فهي قديمة قدم شعراء كأبي العتاهية الذي كان ينسب إليه قوله: "أنا أكبر من العروض" عندما كان ينبه إلى الخروج عليه، وقدَّم علماء كالزمخشري الذي ينسب إليه قوله: "والنظم على وزنٍ مختَـرَع خارج على أوزان الخليل لا يقدح في كونه شعرا ولا يخرجه عن كونه شعرا". (موسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس، ص ٦٠). بل إن هناك من القدماء والمحدثين من وضع عروضا موازيا لعروض الخليل أو بديلا له كما نسب إلى الجوهري صاحب الصحاح أنه وضع عروضا يقتصر على اثني عشر بحرا، وكالعروض المنسوب إلى حازم القرطاجني، وكمحاولة المستشرق الألماني فايل في مقاله بدائرة المعارف الإسلامية، والدكتور إبراهيم أنيس والدكتور شكري عيَّـاد وغيرهم من المحدثين. ولقد شجع على هذه الاجتهادات كلها أن كتاب الخليل بن أحمد الذي ألفه عن العروض –إن كان قد ألف– لم يعثر عليه حتى الآن، وأن الكتاب المنسوب إلى الأخفش معاصر الخليل لم يحقق وينشر إلا منذ نحو عامين (حققه الدكتور سيد البحراوي ونشره في مجلة فصول بالقاهرة مارس ١٩٨٦م) ومن ثم تعددت اجتهادات العروضيين العرب على مدى ثلاثة عشر قرنا في تصور القالب الأمثل الذي يمكن أن يحصر واقع الشعر العربي في تاريخه الطويل.

لكنه برغم هذا التنوع في الاجتهاد، فإن واقع الشعر العربي خلال الحقب المتوالية أكد الالتزام بالإيقاع الموسيقي المحدد الذي عبر عنه بالتفعيلة، بل وأكد الالتزام بثماني تفعيلات هي التي استخلصت من دوائر الخليل، وهي: (فعولن، فاعلن، مستفعلن، فاعلاتن، مفاعيلن، مفاعلتن، متفاعلن، مفعولات) وتسامحوا في وجود أنواع من التغيير تدخل على هذه التفعيلات، ووضع العروضيون لها قوانين صارمة سمَّوها بقوانين الزحاف والعلل، وعدُّوا الخروج على هذه القوانين أو على التفعيلات ذاتها خروجا على قانون الشعر ودخولا بالكلام في دائرة النثر. وليس تاريخ الشعر العربي وتطوره قديما وحديثا —من حيث الشكل- إلا التزاما بهذه القاعدة وتنويعا للألحان التي يمكن استخراجها من هذه التفعيلات الثماني، فالجزء الأكبر من تاريخ الشعر العربي كان يرى الالتزام بعدد مرات تكرار التفعيلة في البيت الواحد، فإذا بدأت القصيدة ببيت من ثماني أو ست تفعيلات كانت القصيدة (تامة) وعليها أن تلتزم نفس العدد في كل بيت، وإذا بدأت ببيت من أربع تفعيلات، كانت القصيدة (مجزوءة) وعليها الالتزام دائما بما بدأت به، وأباحوا لها في بعض البحور أن تكتفي بثلاث تفعيلات في البيت لكي تكون (مشطورة) أو بتفعيلتين لكي تكون (منهوكة). وأباح بعض العروضيين أن يكون البيت مكونا من تفعيلة واحدة في بحر الرَّجَز. لكن المهم في هذا التصور أن يتم الالتزام في سائر القصيدة بعدد التفعيلات التي بدأ بها البيت الأول، مع إمكانية في الالتزام بالقافية أو التنوع فيها على حسب أنواع القصيدة المتعددة.

في إطار الالتزام بهذه التفعيلات أيضا، كان هناك تصور جزئي آخر، ظهر في بعض فترات التطور الشعري في القديم، وشاع في

الشعر الحديث، ويقوم هذا التصور على الالتزام بالتفعيلة التي يختارها الشاعر في القصيدة أو في المقطع، لكنه في المقابل لا يلتزم بعدد معين من التفعيلات يكرره في كل بيت، وإنما يتفاوت عدد التفعيلات من بيت إلى بيت، وأيضا يترك للشاعر حرية وضع القافية في المكان الذي يراه، وهذا التصور هو ما يلتزم به أقطاب مدرسة الشعر الحديث في أرجاء الوطن العربي منذ ظهرت حركتهم في أواخر الأربعينات وحتى اليوم وهو يتفق تماما مع ما يذكره الشيخ الخليلي في مقدمته لديوانه هذا حيث يقول: "وهو ما يمكن أن نسميه الشعر الموزون المتعدد القافية" ويقول في موضع آخر "وتجد فيه التفعيلة وإن طالت وإن قصرت وتجد القافية قربت أو بعدت" وسوف نرى كيف طبق الشاعر عمليا في ديوانه ما دعا إليه نظريا في مقدمته.

وهناك زاوية ثالثة وأخيرة في هذه القضية، أشار إليها الشيخ الخليلي، وهي على جانب كبير من الأهمية، وخاصة فيما يتصل ببعض تجارب الشباب المعاصر مع الشعر الحديث، وهذه الزاوية يمكن أن نطلق عليها، زاوية (الخروج الكُلِّي) على أوزان الخليل، وتتمثل هذه الظاهرة فيما يكتب من (شعر) لا يلتزم بإيقاع محدد يمكن تجسيده في واحدة من التفعيلات الثماني التي أشرنا إليها، سواء كان ذلك عن خلط وعدم دراية كما هو الشأن في معظم ما يصدر عن المبتدئين أو عن تعمد كما يحدث في صياغات بعض القادرين على الوزن من خلال تجارب سابقة ولكنهم يتخلون عنه طرحا لتجديدات أو اتباعا لبعض أنماط التعبير في الآداب الأوربية، والشيخ الخليلي يرفض نسبة هذا النوع من الكلام إلى الشعر بوضوح وهو يقول: "أما ثورة الأدباء المحدثين على عمود الشعر فقد تمخض عنها أمران، أحدهما مرفوض كل الرفض لأنه لم يجد أذنا تنسجم معه ولا يحمل

معنى ذا أثر واضح في النفس وأعني به الشعر المنثور أو الحر وهو النوع الذي لا يلتزم بوزن اصطلاحي ولا قافية". ويبدو أن هذا النوع من النثر الفني كان يحوم حول حدود الشعر منذ القدم وكان يجابه دائما بتعريفات صارمة مانعة أو برفض صريح له. ولعل من أقدم ألوان هذا الرفض في الأدب ما ورد في كتاب الأخفش الذي سبق أن أشرنا إليه وهو كتاب مؤلف في نهاية القرن الثاني الهجري أو بداية القرن الثالث، حين يقول الأخفش: "فما وافق هذا البناء الذي سمته العرب شعرا في عدد حروفه ساكنة ومتحركة فهو شعر، وما خالفه وإن أشبهه في بعض الأشياء فليس اسمه شعرا لأن الأسماء لا تقاس.. ألا ترى أن الحائط مرتفع من الأرض وليس كل ما ارتفع من الأرض فهو حائط لأن الدكان (أي الدكة المبنية للجلوس عليها) والرابية مرتفعان من الأرض وليسا حائطين، فمن زعم أن كل ما ألفه شعر لأنه مؤلف، فليقل إن الدكان حائط لأنه مرتفع من الأرض، وليقل إن الخطبة والرسالة شعر لأنه مؤلف ا.ه" (الأخفش: المرجع السابق، ص ١٤٣). ولقد ظل رأي الأخفش ومن نحا نحوه هو الرأي السائد في تاريخ الأدب العربي قديما وحديثا، وحتى النثر الفني الراقي عند الجاحظ وابن المقفع وابن العميد والرافعي والزيات وغيرهم لم يدَّعِ أحدٌ أنه شعر ولم ينسبه إلى عالم القصيدة، وحتى النقاد الأوربيون المعاصرون يتشكك بعضهم في نسبة هذا اللون إلى الشعر (أنظر: كتاب بناء لغة الشعر للناقد الفرنسي جون كوين، ص ١٧ وما بعدها من ترجمتنا العربية للكتاب).

الخليلي إذن يتفق مع ذلك الإتجاه العام الذي يرى ضرورة أن يلتزم الشعر الحديث بموسيقى الشعر في إطار مبدأ التفعيلات الذي أشرنا إليه، ويرى أن الكلام حين يخلو من هذه الموسيقى لا يعد شعرا وإذا

كان الشاعر في تلك النظرة، يمكن أن يتخفف من قيد وحدة عدد التفعيلات وقيد اطِّـرَاد القافية فإن عليه أن يلتزم طواعية بقيود أخرى يشير إليها الخليلي حين يقول: "لابد من التجربة الشعرية ذات القوة المؤثرة في النفس حتى تعوضه فقد جزء من موسيقاه خاصة القافية.. ولا بد من العلم بأسرار اللغة الصوتية حتى يمكن وجود انسجام بين الدلالات الصوتية والانفعالات التي تتراسل معها وما يلزم ذلك من تنويع النغمات واستعمال حروف وكلمات ذات مدلول معين".

وتلك ملاحظات دقيقة من شأنها أن تفتح النقاش وتسهم في تمهيد الطريق إمام كثير من محبي الشعر العربي المعاصر والمشتغلين به، وينبغي هنا الإشارة إلى أن آراء الخليلي في الشعر الحديث ليست وليدة اليوم، فهي وإن كانت قد تجمَّعت هنا نظريا وتطبيقيا للمرة الأولى، فقد تناثر بعض منها في مجالسه الأدبية من قبل ونقل بعض الباحثين كلمات على لسانه تشف عن اتجاهه، ومن ذلك ما ذكره أحمد الشباط في كتابة (أدباء من الخليج العربي) عند حديثه عن عبد الله الخليلي إذ يقول: "ومن آرائه في الشعر الحر أنه إذا كان هذا الشعر يحتفظ بالتفعيلة إن طالت وإن قصرت ويحتفظ بالقافية إن بعدت وإن قربت فهو جميل لا يختلف عن الموشحات الأندلسية التي أصبحت من معالم الأدب العربي الأصيل (ص ١٦٩).

إذا كانت مقدمة الخليلي النظرية لديوانه في الشعر الحديث تثير هذه المناقشات، فماذا الذي يمكن أن تثيره تجربته ذاتها؟ وكيف يمكن أن نصف هذه التجربة وأن نحدد علاقتها بالتراث الشعري العربي، وبالواقع المعاصر، والآفاق التي يمكن ارتيادها أمام أدباء الشباب خاصة؟ إن أول ما يمكن أن يلاحظ أن الخليلي لم يخض تجربة الشعر الحديث خوضا مطلقا وإنما خاضها خوضا محددا

فهو قد التزم هنا بمجال واحد هو مجال الشعر القصصي، وأباح لنفسه من خلاله تنويع طول التفعيلة، وتغيير القافية، وهو من هذه الناحية يذكر بما كان يفعله أمير الشعراء أحمد شوقي في بداية القرن حين كان يلجأ في الشعر المسرحي إلى تنويعات التفعيلات والقوافي ثم يعود في سائر شعره إلى الالتزام بالنمط التقليدي وزنا وقافية. فإذا نظرنا إلى الإطار الموسيقي الذي يحيط بقصائد هذه المجموعة، فإننا نجده في الأعم الأغلب هو إطار بحر الرجز، الذي سبق أن أشرنا إلى سعة تنوع موسيقاه في الشعر العربي حتى إنه ليمكن أن تتكرر تفعيلة (مستفعلن) ست مرات في البيت، أو أربعا أو ثلاثا، أو اثنتين أو واحدة، وإذا نظرنا إلى التفعيلة ذاتها وجدنا أن قوانين الزحاف والعلل يمكن أن تعطيها إمكانيات متعددة، فهي يمكن أن تكون (مستفعلن) أو مستفعلُ، أو مُتَفْعِلُنْ، أو مُسْتَعِلُنْ أو مُتَعِلُنْ أو فعولن. وهي إمكانيات كما نرى تعطي الشاعر فرصة كبيرة للتحرك دون أن يعد خارجا عن قوانين العروض. ولقد استغل الخليلي معظم إمكانيات البحر في قصائده القصصية الطويلة في هذا الديوان.

وتتكون هذه القصائد القصصية من أربع قصائد كبرى تنتمي جميعها انتماء كليا أو جزئيا إلى التراث العربي والإسلامي، وتنحو في بنائها الفني منحى قصص هذا التراث. والقصة الأولى تدور حول الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك وابن عمه يزيد بن الوليد الثائر ضده وطلب الخليفة للنصيحة من أحد المجربين واسداء ذلك المجرب له النصيحة وتطرقه خلال النصيحة إلى حكاية جرت بين عبد الملك بن مروان وأحد نصحائه والدخول في بعض تفاصيل هذه الحكاية الثانية التي تولدت عن الأولى. ثم الدخول في تفاصيل حكاية ثالثة تتولد عن الحكاية الثانية وتدور هذه المرة على ألسنة الحيوانات

يقصها الشيخ على عبد الملك بن مروان تأكيدا لنصيحته وتعود القصيدة من الحكاية الثالثة إلى الثانية مرة أخرى لتتابع بقية قصة عبد الملك بن مروان وتكاد تختفي في الظل قليلا الحكاية الأولى التي أخذت منها القصيدة نقطة انطلاقها. السمة الفنية إذن للهيكل العام للقصيدة هو (تداخل الحكايات) وهي سمة يتميز بها فن القصص العربي في كتبه الكبرى وخاصة كتاب كليلة ودمنة وكتاب ألف ليلة وليلة، وهي سمة كانت تهدف إلى دفع الملل عن نفس السامع وتجديد دوافع الشوق لديه ومن ثم إلى إعطائه عصارة الحكمة وخلاصة التجربة في قالب أدبي ممتع، وربما لم يحفل القصص العربي في سبيل أدائه لهذه المهمة بوحدة المكان ولا وحدة الزمان مستعيضا عن ذلك بما يمكن أن يسمى وحدة الانطباع أو وحدة الهدف وهو ما يمكن أن نلاحظه أيضا في القصة التي بين أيدينا.

يعتمد الفن القصصي على الشخصيات التي تطور الأحداث من خلال الحوار والسرد وعندما يتعلق الأمر بالقصص التاريخية فإن المؤلف يعمد إلى المزج بين الشخصيات الحقيقية المعروفة بأسمائها ومواقفها وبين شخصيات متخيلة ومواقف متخيلة تساعده على الوصول إلى الهدف الفني الذي يتوخاه ونحن نلاحظ أن هذه القصة لجأت إلى مواقف وشخصيات فنية مثل الغلام والكهل والشيخ بالإضافة إلى ظالم ومفوض وهما ثعلبان، وهذه الشخصيات المتخيلة ساعدت في تطور القصة إلى حد كبير، ولنتأمل على سبيل المثال الدور الذي يقوم به (الغلام) في مطلع القصة حينما تحدق الأحزان والأزمات بالخليفة ويجد نفسه في حاجة إلى رجل مفكر ينقذه ولكنه لا يعلم من هو وإن كان يعلم جزءا من سماته ويعلم أيضا أنه ليس ممن يعيشون معه ومن ثم فهو يرسل غلامه لكي يقف بظاهر الطريق أو على

باب المدينة ويتلمس هذه السمات في ملامح القادمين، فإذا تعرف إلى الرجل الذي تنطبق عليه الصفات (الرجل المنقذ) فعليه أن يحضره إلى الخليفة ليساعده في الخروج من أزمته. إن هذا الموقف على بساطته يذكر بموقف شهير في تراث الأدب العالمي بنيت عليه عشرات القصص والمسرحيات الناجحة في كثير من اللغات وأعنى به موقف (أوديب) في الأسطورة اليونانية التي كان (سوفوكليس) أشهر القدماء الذين صاغوها في شكل مسرحي تتابعت انطلاقا منه بقية المسرحيات. فلقد كانت مدينة طيبة بعد وفاة ملكها (لا يوس) تعيش في أزمة وخوف وكان هناك وحش خرافي يقف على أبوابها يطرح على الناس سؤاله المشهور عن الكائن الذي يسير في الصبح على أربع وفي الظهر على اثنتين وفي المغرب على ثلاث ومن لم يعرف الإجابة فتك به فلما قدم (أوديب) الغريب المجهول وطرح عليه السؤال فأجاب بأن هذا المخلوق هو (الإنسان) مات الوحش من فوره وتخلصت المدينة من الخوف واختارت أوديب ملكا عليها كما هو مشهور. وأنا لا أريد من وراء ذلك أن أقارن بين أسطورة أوديب التي عالجها كثير من الأدباء العرب وعلى رأسهم توفيق الحكيم وبين قصة الشيخ عبد الله الخليلي ولكنني أردت أن أشير إلى أهمية البعد الذي يمكن أن يأخذه الموقف المتخيل في مساعدة الموقف الحقيقي أو التاريخي داخل العمل الفني. وبالطبع فإن هناك مواقف كثيرة في حياة الكهل والشيخ والثعلبين تساعد على تحريك الأحداث في القصة وتطويرها وتؤكد أهمية الشخصيات والمواقف المتخيلة في القصص التاريخي.

على أن هناك ملاحظة عابرة لا ينبغي أن نترك الحديث عن الشخصيات في هذه القصة دون أن نشير إليها، وهي ملاحظة يمكن أن تنسحب على (الشخصيات) في القصائد القصصية الأخرى في

الديوان، ونعنى بها إطلاق (أسماء الأعلام) على الشخصيات، ولسنا هنا بحاجة إلى التأكيد على أهمية البعد الذي يضفيه (الاسم) على الشخصية القصصية. وهناك فرق بين أن نتحدث عن غلام أو كهل أو شيخ، وأن يكون هذا الشيخ يسمى عليا أو محمداً أو عبد الرحمن وتتدخل براعة القاص في اختيار الاسم المناسب للشخصية وللعصر وللدور الذي تؤديه والذي يسهل ارتباط الشخصية به وارتباط نمط سلوكي بها. ولكن الذي يلاحظ هنا أن الأسماء التي وردت هي الأسماء التاريخية فقط، الوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير ... الخ. وأما الشخصيات المتخيلة فقد اكتفى بإعطائها صفات كالغلام والكهل والشيخ. لكن الطريف أن الثعلبين قد أعطيا أسمين وهما ظالم ومفوض، وهذه سمة كانت شائعة في القصص العربي القديم وخاصة في كتاب (كليلة ودمنة) الذي يشمل عنوانه على اسم اثنين من الثعالب على حين يشار للشخصيات البشرية فيه بصفاتها مثل التاجر والراهب والملك والوزير.. الخ. وهذا يؤكد من جديد انتماء القصة الشعرية عند الشيخ الخليلي إلى التقاليد الراسخة في الأدب القصصي العربي.

إذا انتقلنا إلى جانب اللغة المستخدمة في القصص الشعري فإننا سوف نقابل واحدة من الخصائص الدقيقة التي ينبغي أن تتمتع بها لغة القصص الشعري، ودقة الخاصية تنبع من وجود تعارض في الأصل بين طبيعة لغة الشعر وطبيعة لغة القصة تبعا للهدف الذي تسعى إليه كل منهما. فلغة الشعر في الأصل هي لغة تخاطب المشاعر وتدور حولها وتتعمق فيها ومن ثم فهي لا تهتم بأن تتقدم كثيرا وإنما تهتم بأن تدور وتعمق ومن الصعب عندما تسمع قصيدة حب غنائية جيدة أن تلخصها أو أن تقدم مضمونها، فاللغة فيها مقصودة لذاتها،

على عكس طبيعة لغة القصة التي تسعى لتصوير حدث معين وإكمال حلقاته ورسم مواطن التشويق والمفاجأة فيه، ومن ثم فهي لغة لا تسعى إلى التعمق بقدر ما تسعى إلى التقدم، وقد تلجأ في سبيل أداء هدفها إلى التبسيط الذي يتناقض مع تكثيف اللغة الشعرية. من هذه الزاوية فإن مهمة الشعر في القصة الشعرية دائما مهمة دقيقة. وأنا أقول مهمة الشاعر ولا أقول مهمة الناظم لأن من السهل أن تتحول القصة إلى تفعيلات وأوزان فتصبح منظومة لكن هذا لا يكفي لكي تكون شعرا كما أوضح الشيخ الخليلي نفسه في مقدمة هذا الديوان. ولقد استطاع الخليلي بالفعل في كثير من مقاطع قصائده القصصية أن يحافظ على مستوى اللغة الشعرية دون أن يفقد خيط العنصر القصصي، ولنستمع إلى هذه التحية التي يقدمها الكهل للملك في أحد مقاطع القصيدة:

يا سيدي
تحية يا سيدي أرق من روح الصبا وألطف
ألطف من برد النعيم
لدن كما شاء الوفا
رداؤها كأنه بريقها مبلل
يدفعها لسيدي
منى إخلاص الولا والحب فهي سلسل

فالمقطع من خلال اللجوء إلى الصور المتتالية والوسائل البيانية يضعنا في جو شعري رقيق، لكنه في الوقت ذاته يوظف ذلك الشعر في خدمة الموقف القصصي حين يرد الكلام مناسبا لبعد الشخصية وما ينبغي أن يحمله الكهل من إجلال وتقدير للخليفة. لكن لغة الشعر

هذه ربما تكون في مواقف أخرى عنصر إغراء فيسترسل وراءها لذاتها وتغريه امتداداتها، فإذا بنا أمام حوار من طرف واحد أو أمام قصائد متتالية ويمكن أن نذكر هنا بما يرد في مقدمة المقطع الخامس الذي يحمل عنوان: "الكهل يتحدث إلى الخليفة" عما يرتسم حيال الواقع الأليم، ويبدي له الرأي حين نرى صوت الكهل يتحرك على امتداد ثلاث صفحات متوالية في صوت أحادي لا يقطعه حوار ولا مناقشة، ولا بد أن أشير إلى أن هذه واحدة من الملاحظات التي كانت توجه أحيانا إلى بعض مقاطع الشعر المسرحي عند أحمد شوقي على لسان بعض النقاد وأن مناقشات طويلة بين النقاد دارت بسببها، ويبدو أن هذه واحدة من السمات التي تلازم القصيدة في مرحلة انتقالها من الغنائية الخالصة وتوجهها نحو القصصية والدرامية.

فيما يتصل بقضية اللغة الشعرية في المجموعة توجد ملاحظة جديرة بالتسجيل لأنها تسجل جزءا من التطور اللغوي ربما يكون مقترنا بالطابع القصصي وبالنزوع إلى الحداثة معا، وهذه الظاهرة هي خلو صفحات الديوان من الهوامش التي تفسر كلمات لغوية فلا يوجد إلا هامشان اثنان وذلك معناه أنه لا توجد كلمات غريبة يجد قارئ العصر نفسه بحاجة إلى تفسيرها وذلك في ذاته تطور ينبغي الإشارة إليه، وليس معنى خلو اللغة من الغريب هنا هو عدم ارتفاع مستواها، فنحن نجد أنفسنا أمام كثير من المقاطع الشعرية العالية المستوى العادية الألفاظ مثل قول الشاعر:

فَـعَـلَا الجواد وعقله كالطيف
يسبح في الأثير
يَفري به الصحرا ويغريه الذهول
فليس يدري دربه أنَّى يسير

وهناك ظاهرة أخرى توشك أن تختفي في هذه القصائد القصصية من الشعر الحديث، ولقد كانت موجودة من قبل وشائعة في قصائد الشيخ الخليلي القصصية السابقة، وأعني بها ظاهرة التوجه المباشر إلى القارئ أو السامع في مطلع القصيدة أو ختامها أو فيهما معاً لكي يدله على مواطن العظة والعبرة والبيان أو يلفت نظره إليها. وقلة هذه الظاهرة أو اختفاؤها في القصائد التي معنا يحمل في ذاته مغزى هاما في اتجاه القصيدة نحو البناء القصصي الدرامي، فالشاعر في القصيدة الغنائية يكتب قصيدته لكي يقرأها بنفسه أو يقرأها غيره بصوت واحد على سامعي الشعر، ومن هنا قد يكون مستساغا صدور صوت التنبيه عن الشاعر في بداية القصيدة أو ختامها، لكن الشاعر في القصيدة القصصية، يكتب القصيدة لكي تؤدَّى من خلال جماعة من الأصوات تمثيلا أو حوارا ومن هنا فإن صوت الشاعر نفسه ينبغي أن يتلاشى شيئا فشيئا نزوعا إلى إحلال صوت الشعر الموضوعي محله. إن هذا النقاش التفصيلي حول القصة الأولى يمكن أن تنطبق كثير من نقاطه حول القصص الأخرى، فهي تشترك جميعها في مجموعة من الخصائص الفنية أشرنا إلى معظمها في الحديث عن القصة الأولى. وربما كانت عظمة الموضوع في القصة الثانية وتعلقه بإظهار جوانب العدل والتسامح في الدين الحنيف قد أغرت المؤلف فامتد بالموضوع في بدايته ونهايته قليلا على حساب ما يعرف بالحبكة الفنية فمع أن محور القصة الرئيسية هي قصة المرأة المصرية العجوز مع عمرو بن العاص وحكم ابن الخطاب لصالحها، فإن سبعة مقاطع أولى أتت في المقدمة قبل لمس الموضوع الرئيسي، وثلاثة مقاطع أخيرة أتت تذييلا واستنتاجا ولا شك أنها جميعا تحمل قيما جمالية عالية وقيما معنوية وتربوية هادفة ولكن قضية (الحبكة)

الفنية فيما يلي ذلك من شعر قصصي ربما تتطلب التركيز على محور الحدث الرئيسي واستقدام بقية الحوادث بالقدر الذي يتطلبه البناء الفني وربما بطريقة غير مباشرة.

وهل نشير كذلك إلى أن قصة (الحسناء المتحكمة) حاولت أن تمزج الواقع المعاصر بالتراث الإسلامي مستعينة بالتراث الفني في القصص على ألسنة الحيوان راجعة مرة أخرى إلى الواقع المعاصر لكي تلقي عليه ضوءًا من هذا كله. وأن القصة الأخيرة حاولت أن تقدم صورة لبعض العادات والتقاليد العربية القديمة وأن تركز على خيلاء الشاب العربي واعتداده بنفسه وتحقيق أحلامه بالطريقة التي كان يترضاها عصره ويقبلها. وبعد:

فإن الشيخ الخليلي قد خطا بكتابه هذا –نظرا وتطبيقا– خطوة هامة في سبيل التطور الأدبي في الخليج العربي، فهو لم يقف من محدثي عصره موقف المنعزل ولا الرافض ولكنه اتصل بهم وقرأ لهم وقد أشار إلى أنه قرأ صلاح عبد الصبور في مأساة الحلاج، ثم إنه لم يفعل كما فعل أبو عمرو بن العلاء عندما رأى شعر جرير والفرزدق وكانا في عصره من المحدثين فأمسك عن الاعتراف به وضمه إلى شواهده ولكنه أدرك في آخر العمر أنه فرط في جانب الأدب، فقال قولته المشهورة "لقد شاع هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بأن آمر صبياني بجمعه". وهو لم يفعل كما فعل المقري صاحب كتاب (نفح الطيب) حين عمد إلى تسجيل تاريخ الأندلس وأدبها ورأى الموشحات الأندلسية تملأ الدنيا حواليه ولكنه كان معاصرا لبدايتها والمعاصرة حجاب فرفض أن يسجلها فيما سجل من أدب الأندلس. لم يفعل الشيخ الخليلي شيئا من هذا كله ولكنه صنع كما صنع ابن قتيبة الذي قال في القرن الثالث الهجري: "ولا نظرت إلى المتقدم بعين

الجلال لتقدمه ولا إلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين.. فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويرد الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قد قيل في زمنه – ولم يُقْصِرِ الله العلمَ والشعر والبلاغة على زمن دون زمن بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده وجعل كل قديم حديثا في عصره". (الشعر والشعراء ص ١٠).

والشيخ الخليلي لم يكتف بمجرد قبول الحديث ولكنه تقدم بشجاعة أدبية إلى المشاركة بالإنتاج وهو في منتصف عقده السابع، وزاد على ذلك شجاعة بتقبل النقد ومناقشته ليقدم بذلك نموذجا رائدا للأجيال التالية له، وليؤكد أن الحوار وحده هو السبيل الوحيد الذي يتطور من خلاله الأدب ولن يكون ذلك إلا على يد أجيال تعي العمل الرائد الجليل للشاعر الكبير الشيخ عبد الله الخليلي.

١. د/ أحمد درويش

W

مقدمة صاحب الديوان

حمدا لمن علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، الذي خلق الإنسان علمه البيان، وصلاة وسلاما على أفصح من نطق بالضاد، وأوتي جوامع الكلم، والذي يقول: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا" وعلى آله وصحبه، الذين تفيأت عليهم ظلال الحياة وارفة، حياة العلم والعمل، فذللوا قطوف الفصحى يانعة لأبناء الضاد، فتوصلوا بها إلى أبعد الغايات. أما بعد:

فلسنا ندري إن كنا بحاجة ماسة إلى تناول الشعر من كل أطرافه، لنعبر عنه كحقيقة حية ملموسة، ومادة قيمة يستوحي تعاليمها الخيال الوثاب، على غرار الذوق السليم، على اختلاف النزعات وتباين الوجهات. وهل الشعر هو فقط شعر صحيح إن كان عموديا مقفى صحيح الوزن، معتدل التفعيلة، يسحب ذيله بقافية مُرَوَّقة، كأذيال خمار العروس، ولو لم يكن به ملمس الشعور المرهف، والإحساس الشاعري، ورقائق الغزل، ومطارف الوصف واتزان الحماس؟ أم أن الشعر في حقيقته فياض عذب نمير، يتحدر من نبع الشعور والأحاسيس، فتجد القلوب المتفتحة والعقول الواعية تتناوله بلهفة قبل أن تتفتح عنه أكمامه، لتلم به روح الحياة الناعمة، فيأخذ بمجامعها وينفذ إلى أعماقها؟

إن الشعر قاعدة عربية يرتكز عليها خيال الإنسان العربي، وما يدور بباله دَقَّ أو جَلَّ، فإذا خلا العربي بنفسه ناجى الشعر وتفاعل معه، وغنى به ليس إذا طرب فحسب، بل وإذا غضب أو رهب أو رغب، وفي ميادين القتال. ولكن ليس كل من قرض الشعر سُمِّيَ شاعرا، فإن الشعراء المجيدين هم قلة تكاد تعد بالأصابع. ذلك أن الكلام ولو كان

مقفى موزونا لا يسمى شعرا، ولا يمكن أن نطلق على صاحبه أنه شاعر، فأصحاب المنظومات العلمية والفقهية لا يدخلون في جماعة الشعراء، مع وجود الوزن والقافية في منظوماتهم.

والفرق بين المنظومات والنثر، أن المنظومات وسيلة لسهولة التعليم. أما الشعر الحق فهو ما اشتمل على تجربة قوية ناضجة، يستطيع القارئ من خلالها أن يدرك نمو التجربة وتسلسل الفكرة مع الالتزام بالوزن والقافية، أو ما يعبر عنه بالموسيقى الخارجية. وبتعبير آخر يمكن القول أنَّ الشعر هو ما أخذ بالشعور، وكانت له جاذبية تأخذ بالألباب، وفقا لفعاليته وأسلوبه المتوج بالخيال والرقة، مع تناسب الكلام وتعادله مع المعاني وتفننه في البيان الساحر الخلاب. إنَّ الشعر المؤثر هو الذي يصل إلى أعماق القلوب وينفذ إلى مكامن العقول بمجرد ما يسمع السامع نغمات المتغني به والذي لا يمكن التعبير بدونه. فذات يوم كنت أقرأ قصيدتي والتي مطلعها:

سفرت يزيد بها الضيا ويزين كالشمس للأفق الفسيح تزين

على إمام العربية وفارس الضاد شيخي العلامة إبراهيم بن سعيد العبري رحمه الله، وهو منصت حتى وصلت فيها هذا البيت:

الحب سيف الله في أهل الهوى ما جَرَّدَتْهُ على القلوب العينُ

فاستعاده منى مرارا ثم قال: مثل هذا لا يعبر عنه إلا بالقلب.

ولما كان التزام الشاعر بعمود الشعر الذي أقره الأدباء منذ عهد أبى تمام، حتى أنهم أنكروا عليه الخروج عن عمود الشعر، كما أوضح الآمدي في الموازنة بين أبي تمام والبحتري، أمرا ذا بال، ويحتاج إلى صقل التجارب الشعرية وتطويعها الموسيقى: الوزن والقافية. من هنا وجد الأدباء المحدثون صعوبة بالغة في السير على هذا المنهج، وحاولوا

إجهاض التجارب الشعرية وإفراغها في قالب يَمُجُّهُ الذوق العربي، وتنفر منه الأذن التي درجت على أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي، فكانت لهم حجج واهية للثورة على الوزن والتخلص من سلطان القافية، فنادوا بإهمال القافية، وألاّ يكون للبيت مصراعان بل يكون كله وحدة واحدة متكاملة. وحجتهم في ذلك أن أهم ما في الشعر وحدة الشعور والإحساس، وعليه فيجب تطويع الكلمات والتعبيرات لتلائم الفكرة.. ومن هنا كانت ثورتهم على التفعيلة والقافية.

وفي الحقيقة فان عمود الشعر بما يلزم من بحر معين وقافية معينة، كان مثار جدل، حتى إن أبا تمام نفسه اعتبر من الخارجين على عمود الشعر، ولم يفسد شعره، ولم تقل منزلته. وعلى ابتداء تاريخ الحركة الأدبية، نجد أن فن الموشحات الأندلسية كان ثورة على عمود الشعر، ولكنها لم تكن فوضى القرن العشرين، إنما هي ثورة منظمة استحدثت منها الموشحات الأندلسية، التي وجدت الأذن العربية فيها خصائص الذوق الرفيع موسيقى ولحنا وإيقاعا. أما ثورة الأدباء المحدثين على عمود الشعر، فقد تمخض عنها أمران، أحدهما مرفوض كل الرفض، لأنه لم يجد أذنا تنسجم معه، ولا يحمل معنى ذا أثر واضح في النفس، وأعني به الشعر الحر، وهو ذلك النوع الذي لا يلتزم بوزن اصطلاحي ولا قافية، فضلا عن أنه لا يحمل تجربة ذات قيمة مؤثرة. أما النوع الثاني وهو ما يعبر عنه بالشعر المطلق، أو المرسل، وهو ذلك النوع الذي يحتفظ بالإيقاع دون الوزن، وهو ما يمكن أن نسميه الشعر الموزون المتعدد القافية، فهذا ما أعنيه بالكلام.

وإذا كان الشعر المطلق قد حلَّ نفسه من قيد قافية معينة، فإنه حتى ينجح ويقف على قدميه، فقد قيد نفسه بما لا بد منه وهو:

أولاً: لابد فيه من التجربة الشعرية ذات القوة المؤثرة في النفس، حتى تعوضه فَقْدَ جزء من موسيقاه خاصة القافية.

ثانياً: لا بد فيه من العلم بأسرار اللغة الصوتية، حتى يمكن وجود انسجام بين الدلالات الصوتية والانفعالات التي تتراسل معها، وما يلزم ذلك من تنويع النغمات، واستعمال حروف وكلمات ذات مدلول معين.

وهذا النوع هو ما يحاول بعض الأدباء السير على نهجه، حتى لم يكد يوجد من لا يمارسه في عصرنا الحاضر من كبار الشعراء، وناهيك بمن سواهم، فهو مطية الجمهور، وأحسب أن هذا الاندفاع كان لسببين:

- أحدهما إعجاب الناس بالأدب الغربي، الذي يأتي شعره في صيغة النثر، وإن حمل من المعاني ما فيه روعة الشعر وجاذبيته أحياناً.
- ثانيهما انشغال المجتمع العربي بالعلوم الإضافية، كالجبر والهندسة والجغرافيا، مع ثقافات أجنبية يضطر إليها الطالب غالبا.

كل هذه الدراسات والثقافات تركت التلميذ الدارس، والكاتب والشاعر، لا يستطيع التوغل في الفصحى توغلا ينهض به إلى مستوى الشعر الفصيح، فوجد في الشعر الحر منطلقا واسعا وجوا ملائما، استطاع أن يبيض به ويفرخ. هذا، وحيث أن للبيئة أثرها تجد أكثر النفوس ميالة لهذا الشعر، لنعومته وخفته وقرب تناوله. والشعراء ما لجأوا إليه تهربا من الشعر العمودي، أو عجزا عن اللحاق بركبه، ولكنهم مشوا وراء التيار، وخلف رغبات الأكثرية، ولأن الفارس الماهر قد يبدو له فينزل عن فرسه مُعَوِّلاً على قدمه، لِيُرِي الناس أنه قادر على المشي، وفي مقدمة المشاة، مع أنك تجد لهؤلاء الشعراء الكبار في شعرهم الحر، صيغة الشعر العمودي وصبغته وأسلوبه، وتجد فيه التفعيلة وإن طالت وإن قصرت، وتجد القافية قربت أو بعدت. وقد تجد

القارئ العربي الذي تعجبه نغمة الشعر، مرقسية كانت أو نابغية[1]، ويطربه لحن الشاعر ونبراته إن كان على شاكلة البحتري وأضرابه، ولكن هذا القارئ كواحد في الألف أو في مئات الألوف.

وعليه ومن أجله، فقد أحببت أن أكون في صف الجماهير، وإن آخذ بأطراف هذا الشعر، وكنت قد قرأت مرة (مأساة الحلاج)، مسرحية طويلة، فتناولت قصة (كيف أعمل).. وأخذت بها أسلوب الشعر الحديث، وتابعت السير وراءها نزولا عند رغبة الجمهور، ولكني تقيدت نوعا ما بالتفعيلة والقافية، وها أنا ذا أعرض هذا الإنتاج المتواضع، أمام أخي القارئ العربي، راجيا أنْ لا أحرم القبول.. والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

عبد الله بن علي الخليلي

(١) مُرْقِسية: نسبة إلى الشاعر العظيم امرئ القيس بن حُجْر الكندي (٥٠١-٥٤٠م). نابغية: نسبة إلى الشاعر النابغة زياد بن معاوية الذبياني توفي سنة ١٨ قبل الهجرة.

ديوان على ركاب الجمهور

(١) كيف أعمل[١]

قصة شعرية تدور حول الخليفة الأموي الوليد[٢] بن يزيد بن عبد الملك المكنى (أبا العباس) وابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك لما حاول القيام عليه بأهل اليمن فضاق ذرعه لذلك فاستدعى من يخفف عنه آلامه ويرشده إلى الرأي الصائب كهلا كما يصفه، وهي أحد عشر فصلا.

المقطع الأول

الوليد يعاتب نفسه على ميولها إلى الهزل وتسكعها في اللهو وعدولها عن طريق الهداية.

الوليد مع نفسه:

اللّٰه
اللّٰه كيف أعملُ
والدهر بحر غاضب مضطربُ
مضطرب الأمواج
مرتفع الآذِيّ[١] ليس يرحمُ
ليس يُمهِلُ
هذا يزيدُ ما رد إليَّ شرّا مُقبِلٌ كجمل هاج به المرارْ
بئس المأكلُ
يُهيب بالناس إلى قتالنا لا يَستحِي
لا يَنكلُ

(١) جميع قصائد ديوان: على ركاب الجمهور، راجعتها طبقاً للنسخة المطبوعة لهذا الديوان.

(٢) الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي الحادي عشر (١٢٥هـ/٧٤٣م-١٢٦هـ/٧٤٤م). يعرف بالوليد الثاني والأول عمُّه الوليد بن عبدالملك.

(٣) الآذِيُّ: الموج.

واليمن الهادر في عدوانِهِ
يُسنِدهُ
اللّه كيف أعملُ
اللّه
قد أضعتها شُغِلْتُ عن حَوْطَتِها
شُغِلْتُ
الخمر بئس المنهلُ بئس القيان الغُفَّلُ
واللهو قد أضاعني
ولم أزل وراءه كأنني مُغَفَّلُ
أضاعني هزلي أضاعني لهوي وتفريطي
فماذا أعملُ
أضَعْتُ قومي وهم لي موئلُ
وعشتُ في غيبوبةٍ أُعَلِّلُ
أُعَلِّلُ النفسَ المُنى والدهرُ في لسان حاله يقولْ
هيهات لا تَعَلُّلُ
هيا بنا فالجِد نعم المَعقِلُ

المقطع الثاني

الوليد يدعو غلامه ليلتمس له من يخفف عنه آلامه وأحزانه

الخليفة:

يا غلامْ
هلم في حسن الذكاءْ، هلم في الإخلاص والوئامْ
هلم نحوي يا غلامْ
فإنني كما ترى أُفكِّرُ

قمْ
فابغِ لي مُفكّراً مهذّبا
ولا تُـرَوِّعْ قلبَـهُ فَيذعَرُ
قف بجانب الطريق وانظر إلى السوادِ
حين يَعبُرُ
فمن تَراه مقبلاً لشأنه إذا مشى متـزنا في سَمتِـهِ
لا يـنظرُ
يـنظر حيث ترتمي أقـدامُهُ
كأنه يُـفكرُ
كهلٌ سَمَتْ أخلاقـه عن لعبِ
وارتـفعت همـتُهُ عن طربِ
فلا تراه يعثُر ولا يزلّ قدما عن قصدِه فذاكْ
ذاك الذي أريدُه لغرضِي اذْهب فأنت مُفْكـرُ

الغلام:
لبـيك يا مولايَ. لبيك كيف تأمُرُ. لبـيك كيف تحكمُ
سأذهبُ
وسوف آتيك بمن تحبه كما تشا
واللّه جلَّ شأنُـهُ كما تريدُ يجلبُ

الغلام حول الطريق:
يا دربُ
يا دربُ أين بغيـتي أين الذي قد أطلبُ
أينْ

أين الفتى المجربُ أين اللبيب الذَّرِبُ

سأقعدُ

هنا لأجله سأقعدُ لا أذهبُ

حتى أراهْ

فَثَمَّ قد بُلِّغْتُهَا أُمْنِيَّةً بها يُنال الرَّغَبُ

المقطع الثالث

الغلام يظفر ببغيته وينطلق به إلى سيده نشيطا مسرورا

الغلام يرى الرجل:

إليكَ يا من يَدْأَبُ في مَشْيِهِ

إليكْ

إليك يا مهذبُ يا كهل يا مجربُ

يا مثقفُ

إليك سعيي وإليك الدَّأَبُ وقد رأيت منيتي فيكْ

وأنت الطلبُ

إنَّ أمير المؤمنين يطلبُ إياكْ

هيّا تذهبُ إليهِ

فهو يَرقبُ

أجبْه لا تخش فنعم المطلبُ

أنت

لديه إنه يرتقبُ

الرجل:

تطلبني فمن أنا يا أيها المؤدب من أنا قل لي
مَن أنا
أكنتَ قَبلُ عارفي
أم فعلة خبيثة صاحبها لا يعرفُ هيهات منها المذنبُ
هيهاتْ
أم تُهمة يصاب فيها الأبرياءْ
أصَبْتَنِي بشرها
أم إنها قيافة في وَادِعٍ تُجرَّبُ
مَن أنا قل لي
مَن أنا

الغلام:

إني أتيت أدأبُ
إليكَ
كيف تهربُ
ما كنت قبلُ عارفاً من أنتْ
لكن صفاتٍ حدَّها الخليفةُ المُتَوَّجُ
رأيتها منطبقاً أكثرها عليك
يا مهذبُ
فلا تَخَفْ ولا يَرُعْكَ المذهبُ
هيّا بنا إليه

الكهل:

حالٌ يَحوطها الغموضْ

"فاللّه خير حافظا"[1]

إمْضِ أمامي أَذْهَبُ

خَلفكَ حيث تذهبُ وقائدي الإخلاص والتأدُّبُ

وبالمليكِ حسن ظني يجبُ

الغلام لسيده:

يا سيِّدي

هذا هو الشخص الذي أردتَه كما وصفتَه

شخص لبيبٌ ذَرِبُ

أتاكمُ يُزعِجُه التَّرَقُّبُ

فأَفْرِخُوا منْ رَوْعِهِ[2] فإنه مهذبُ

الملك للغلام:

أدخلْهْ

أدخلْهُ فذاك المطلبُ

واللّه أرجو أن أرى في شخصه ما أرغبُ

إليهْ

أدخلْه فذاك المرغَبُ

---

(١) جزء من الآية رقم ٦٤ من سورة يوسف.

(٢) أفْرَخَ من رَوْعِه: أذْهَبَ خوفَه.

المقطع الرابع

الكهل يدخل على الخليفة فيجري بينهما الحديث الطويل حول مهمة الملك

الكهل للملك:

يا سيدي
تحية يا سيدي أرقُّ من رَوْح الصَّبا وألطفُ
ألطف من بَرد النعيمْ
لَدْنٌ كما شاء الوفا رداؤها كأنه بريقها مبلّلُ
يدفعها لسيدي
مني إخلاص الولا والحب فهي سلسلُ

الخليفة:

قَدِمْتَ خير مَقْدَمِ
أُدْنُ
فحدثني عما يَرتمي في هاجسِي
وما يدورْ
في خَلَدي كما يدورْ
أُدْنُ فأنت عاقلُ أُدنُ ولا تَبَــرَّمِ
والْتزِم
التـزمْ حَق الملوكْ لا تَكَلَّمِ
أو يسألوكْ
وهل تُراكَ عارفا حق الملوكْ
وهل دخلتَ مرةً عليهمُ
أُدْنُ ولا تَبَرَّمِ والتَزِم
وإنْ تكن عَرَفتَ حقهم تكلّمِ

الكهل:

مولايَ
هل تروضني لكبوةٍ
حاشاكْ
أم لسباقٍ فجوادي أشقَرٌ لا يحسرُ
يأتِي المدى والبرق في حافره مندحِرُ
والبصرُ
حيران خاسئ المدى عن دركه مُقَصِّـرُ
حاشاكْ
أم تصقلني لنبوة فحدّ ذهني ذَرِبُ
صافي الفِرنْد
شحذته التجربات واصطفاه يعربُ
فلم ينله خَوَرُ
مجـالس الملوك سيدي لها المقام الأكبرُ
لا ينطق الجالس في مجلسهم أو يأذنوا
وإن يقولوا يُصغ
ملء سمعه وملء قلبه لا يُظهرُ السرورَ إنْ همْ حزنوا
والعكسْ
وما يدور بينهم وبينه من الحديثْ
يكتمهُ محتفظاً عليه فهو ليس يَظْهَرُ
فلا يذيع سرهم لبشر ولو قَلَوه وجَفَوه عَلَنا
لأنه مؤتمنُ
ينصحهم في فعله وقوله
إن أذنوا

يقول حقا والمقال لَـيِّـنٌ محببٌ إلى النفوسْ
تألفه الطباعْ
والسمع يَهشّ صاغياً له مع الفؤادْ
لا خشنُ
ينفر طبع الحر منه حين يُعلنُ

الخليفة:
يا كهلُ يا مثقفُ
هاتِ
فحدثني عما تعرفُ حدثني عن يزيدٍ فهو الهدفُ

المقطع الخامس

الكهل يتحدث إلى الخليفة عما يرتسم حيال الواقع الأليم ويبدي له الرأي

الكهل:
يا سيدي
كأنني أراك قد بَـرِمْـتَ من فعل يزيدْ
وجَمْعِـهِ
عليكَ أهل اليمن ظلما وأوشاب الأنام[1] طمعاً
فيما يريدْ
فهل عليه تَخْـرُجُ
تَخْـرُجُ في جمع عـتيدْ فتصبح الحرب الولودْ
ظمْئَى
فلا تشرب إلا دمها دم القريبْ
غرثى

(١) أوشابُ الأنام: أخلاطٌ متفرقة من الناس.

فلا تأكل إلا قومها إلا بنيها في البنودْ
وأنت من بينهم
وأنت أقصى ما يُرجِّيهِ يزيدْ
إلزَمْ مكانك لا تزايله بحال أو تحيدْ
لا تَخْرُج
فذاك أحرى فعله وأحزم لا تَخْرُج
لا تَخْرُج
لكنك ابعثهُ خَميساً لجباً يقوده كل جريءٍ ذربِ
لا ينكلُ عن قصده
لا يغفلُ عن شأنِه ولا يحيدْ
عن الوفاءْ
اصطَفِ أهل العقل أهلَ الفضل والرأي السديدْ
أهل البيوتات الألى تَبَوَّأوا العزّ التليدْ
يا سيدي أولئكمْ أهل الوفاء والثباتْ
أهل الحماسْ
يبنون بالإخلاص والولاء عرشك العظيمْ
شامخاً كما تريدْ
ولا تَرمْ حَذارِ أن تريمَ أو تَحيدْ
فأنت للعرش عمادْ
لا تفارقْهُ
تكن ما عشت بالعرش سعيدْ
لا تفارقْهُ وحاذر أن تحيدْ فأنت للكل عميدْ
والعرش غِيْلُ[1] الملك لِلَّيْث يصونْ وهكذا شأن الحصونْ

(١) الغِيْلُ: موضع الأُسْد.

وشأن أرباب الحصون
وابذل على الـقُـوَّاد والجند الكُماة
المالَ في خُلْقٍ حميدْ
وألِنْ لهم باللطف جانبك الكريمْ
في غير ضعف أو خـنوعْ
وانْصحْ لهم وانصحْهمُ عما يَشينْ
واقـبضْ على يد ظالم منهم
وباغٍ أو عنيدْ
لا ترحم العاصي اللئيم وكل غاوٍ مستهينْ
وتَــوَقَّ نـفسكَ إنها بـئس القرينْ
أن تستبـيح بك المعاصي فهي هُوْنْ
والظلم والجبروت والخُلق المشينْ
إنَّ المظالم والمعاصي
للعدوّ عليك نصر مستبـينْ
لا تَرجُ نصراً من عدوّ اللّه والعاصي اللئيمْ
فالضر منهم حيث ترجو النفع فاعرف ما أقولْ
وخذ الصراط المستـقيمْ
تـفلحْ
وتلقى اللّه خير الأكرمينْ تلقاه خير الناصرينْ
وبعزة الإسلام عِزَّ
على العدوّ فلن تهونْ
وارْحمْ ولياً صالحاً وله تواضعْ يا عظيمْ
إنّ التواضع سيدي بين الورىَ

خُلق المجيدْ
وهو الذي يحنو رقاب الأكرمينْ

الملك:
هاتْ
هاتِ الدليل لما تقول
فما أراني آخذاً أبداً به حتى يلوح لي الدليلْ

الكهل:
إنَّ المواعظ سيدي
قصص يسجّلها الزمان لأهله عِبَرْ
يحللها اللبيب ويستفيد بها الأريب كما يشا
وبها يفيدْ
وإليك فاسمع ما أقولْ

المقطع السادس

الكهل يقص على الملك من قصص الماضي ليثبت له الدليل على ما يقوله

الكهل:
أُقصوصةً عن جدك الفحل العظيمْ
ذاك الذي وَرث الخلافة في الشآم كما يريدْ
جلالةً تحت البنودْ
أعنى الهمام أبا الوليدْ
ومضى ينافسه على عرش الحجاز ابن الزبير
وفي العراقْ
ويذوده دون المنى ذَود الطريد عن الورودْ
متربعاً عرش الخلافة بالحديدْ
في ذلك الجزء البعيدْ

ومناوشات من هناك ومن هنا
تـفري أديم أبى الوليد بها يؤودْ
والخوف يأكل قلبه
والفكرْ
إنَّ الفكر مضطربٌ شريدْ
والرأي ما للرأي خاوٍ لا يفيدْ
ولا مفيدْ
أكذا الخلافة إنها هم شديدْ
لكنه عزم الخروج إلى قـتال ابن الزبـير
فسار في جيش كبيرْ
جيش يُـلَـبِّبُ ساحة الدنيا
بحَـبْوتِـه ويأخذها بحُجزتها إلى قهر عـتيدْ
ودمشق ترعى عرشه رَعْيَ الذئابْ
رعْيَ الذئاب خرافها حتى تُغيرْ
والدهر ليس ينام إنْ نام الغريرْ وكم أصاب على الغرورْ
والأشدق[1] الوثَّـاب كان بجنبه عند المسيرْ
حتى إذا قطعوا مراحل لا تزيد على الثلاث
من المسيرْ
قامت بنفس الأشدق الأطماعُ بالأمر الكبيرْ
شماءَ تحلُم بالخلافة في الضميرْ
فغدا بها متمارضاً والإذن غاية ما يريد من الأميرْ

(١) الأشْـدَقُ: الواسع الشـدقين، والشـدْقُ جانبُ الفم. وهذه العبارة تستعمل لوصف الشجاع الذي يلتهم بشجاعته أعداءه، كما تستعمل لوصف جهير الصوت المُفَـوَّه.

فمضى وقد أذن الأميرْ
ودمشق ترقب عَمْرَها ذا العز والجاه الخطيرْ
حتى أتاها والرجاء له خفيرْ
متقلداً صمصامة يدعو لبيعته الورى
ويرى الخلافة حقه دون الأخيرْ
والناس خلف لسانه متكاتفين فلا معارض أو نكيرْ
فاحتلَّ عرش الحكم عن ناءٍ بعيدْ
أعني الهمام أبا الوليدْ
مَن غيَّبَتْه البيد بين رمالها
كالطيف لكن بين أجنحة الظلامْ
كالليثِ في وثبات ذي حَـزْمٍ همامْ
كالأَرْبَـدِ العسَّال[1] يعتسف الطريقَ ولا ينامْ
حتى أتته نَبْأة الخطب الجسيمْ
بالاحتلال لعرشهِ
اللّه
لا عرشٌ لديَّ ولا حريمْ
ليث بلا غاب مضامْ
أين الطريقْ
ما للطريق وللأمامْ
يا قوم نازلتي يضيق بمثلها ذرع الحكيم[2]
رُمْتُ الخلافة جَمْعَها
فارفضَّ محصولي اليسيرْ

(١) الأَرْبَـدُ العَسَّـالُ: الأسَـدُ السريع العدو.
(٢) ذَرْعُ الحكيم: صبرُه، أناتُه، وُسْعُ خلُقِـه.

هب أنه خطبٌ عسيرْ
فمتى النجا؟
هذا الحجاز ومصرُ واليمن البعيدْ
شَمَسَتْ[1]
كما شَمَسَ العراقُ ولم تـزل خلف النفور
فلا هدوء ولا قرارْ
وبَدَتْ بكشح ابن الزبير سخيمةٌ فيها الشرورْ
تَخِذ الحجازَ مقره للحكم والدنيا تجورْ
واليوم قد ندَّ الشآم فراح يهتاج الثغورْ
ما الرأيْ؟
ما الرأي يا أهل الصفا ما الرأي يا أهل الوفا
ما الرأي في الأمر الخطيرْ؟
فأجاب من وزرائه الرجل الكبيرْ
مولايَ عقلي كالأسيرْ
يا ليتني طيرٌ على غصن أطيرْ
يا ليتني طيرٌ بِدَوح تهامة أو يخمد الشرر الكثيفُ المستطيرْ
وأبو الوليد عليه كارثة القضاء
فلا وُرُوْدَ ولا صدورْ
فَـعَـلاَ الجوادَ وعقله كالطيف يسبح في الأثيرْ
يَفرِي[2] به الصحرا ويَفريه الذهولْ
فليس يدري دربه أنَّى يسيرْ

(١) شَـمَـسَـتْ: نَـفَـرَتْ.
(٢) يَـفْـري: يَـقْـطَـعُ.

لكن رأى شَبَحاً يقِّربُه الفضاْ شيخاً
يُجلِّله الوقار عليه سمت الصالحين
وقفيزه[1] البالي الصغيرْ
بيديه يجمع فيه سُمَّاق[2] الرمالْ
أسماله البيضاء تنبئ فيه عن زهد عظيمْ
أنه شيخ رزينْ

المقطع السابع

الخليفة عبد الملك بن مروان مع ذلك الشيخ الوقور وهو يستطلع رأيه ويسترشده

الخليفة:

يا شيخُ جئتك في خطيرْ
أسَمِعْتَ شأن أبي الوليدْ
فإنه شأن عسيرْ
وهَوايَ من أنصارهِ
ولقد عزمت على اللحوق به على هذا الطريق
فهاتِ رأيك يا خبيرْ

الشيخ:

دَعْهُ
فقد قطع الطريق بلا دليلْ
فَهَوَى
وليس لديه من رأيٍ أصيلْ

---

(١) القَفِيْزُ: مكيالٌ كان يُكالُ به قديما. ويختلف مقداره من بلد لآخر، وفي التقدير المصري الحديث يُعادلُ ١٦ كيلو جراما تقريبا.

(٢) السُّمَّاقُ: تم تعريفه في الديوان بأنه ثمَرٌ شهيٌّ. وفي المعجم: شجرٌ ثمره شديد الحموضة، تستعمل أوراقه دباغا، وبذوره تابلا.

دعْه
فلا ظهراً له أبقى ولا أرضاً طوى
فكأنه المنبتّ( ) في ليل مطيرْ
اللّه
يا شيخَ الوقار فإن قلبي كالأسيرْ
أأصدّ عنه مطيتي وهواه بين جوانحي مثل السعيرْ
أرشد خطايَ إليه في هذا الدُّجى
فلعلني بهداك أهديه المنار فيستنيرْ

الشيخ:
اذهبْ إليه
فإن رأيت طريقه لدمشق باللجب الكبيرْ
فاقْدِمْ وباركْ سيره فله من المولى نصيرْ
أما إذا قصد الحجاز فدعه لليث الهصورْ

الخليفة:
ما الفرقُ؟
بين الشام أو بين الحجاز أو العراق هُنالِكم
والكل حربٌ لابن مروان الأميرْ
والحرب ليست باليسيرْ

الشيخ:
الفرق
الفرق أوضح ما يكون يراه ذو فكر بصيرْ
عَمرو تحمّل بيعة لأبى الوليدْ
هو بالوفاء بها جديْر
والنقض ظلم منه ثـمَّ ونصرة المظلوم من عِدةِ

القديرْ
ما بَايَعَـتْـهُ يَـدُ ابن عوّام ولا كادت تشيرْ
أتُراه يأتِي ابْنَ الزبير ويترك العادي الظلومْ
وقيل لا نصر لظلاَّم كفورْ

المقطع الثامن

الشيخ يقص قصته للخليفة على لسان البهائم لتكون أبلغ للموعظة وأسرع نفوذا إلى القلوب

الشيخ:

وإليك ثمة قصة بالتبر خَطَّتْـهَا يدانْ
تَروي النهى، تَروي حديث الوعظ عبرة عاقلٍ
لغة رواها ثعلبانْ
هذا يسمى ظالما وله أقاصيص حسانْ
ومُفَوَّضًا يدعى الأخيرُ وكم له حُمِدَتْ يدانْ
إذ جاءه يبكى ويُعْوِلُ[1] ظالمٌ مما عناه
ظالم يتحدث إلى مفوض:
أمفوضاً أشكو إليك عصَّبـبةً[2] لا تستهانْ
رقطاءَ قد ولجت على جُحري اعتدا
فرجوتها وطلبت منها تركه فأبت وكم جار العِدَى
قد كنت مغتبطاً به بين الجحورْ

---

(١) يُعْوِلُ: يصيح.

(٢) هذه اللفظة (عصَّببةً) كذا وردت بما عليها من تشكيل. بحثت عن معنى لها في المعجم فلم أجد. وربما هي في الأصل (عَصِيَّةً) ولكن لحقها تصحيف من الناسخين.

الماء يجري حوله عذباً يجعّده[1] النسيمْ
والظلُّ ظلُّ الدوح منساب على تلك الصخورْ
والطير تشدو حوله ضربت عليه خيامها
وتربعت فيه على حصن حصينْ
في وكرها
وأنا أعيش كواحد منها بها بين الأماني والأمانْ
جاراً أراعيها وأحفظها عن الغزو الظلومْ
غزو الثعالب فهي في حفظي تصانْ
اللّه
كم وَلِع الشجاع الأقرع[2] المشئومُ بالظلم العتيدْ
وكم استطال بظلمه وطغى وجار على الحريمْ
أأخي مفوضُ كنت في دربي لرزق مستطابْ
أسعى إليه كعادتي والحر يدأب في الطِّلاَبْ
واللّه قال بنصه "وقل اعلموا"[3]
وهو الطريق إلى الصوابْ
لكنني ما كدت أدخل منـزلي عند الإيابْ
حتى رأيت الحية الرقطاء رابضة به بين القبابْ

ظالم عند الحية:

اللّه يا رقطاء فيّ وفي بَـنِـيَّ وأسرتي
وهم على هذي الهضابْ

(١) يُجَعِّدُهُ: ورد في المعجم جَعَّدَ الشَّعْرَ وغيره: جَمَّعَه. وربما عنا باللفظة ما يؤدي إليه هبوب النسيم على سطح الماء من رقرقته على حالٍ تشبه تقصفات الشعر الجعد.

(٢) الشجاعُ الأقْرَعُ: الثعبان.

(٣) جزءٌ من الآية رقم ١٠٥ من سورة التوبة.

لا بيتَ، لا مأوى لنا إلا اليَبَابْ
أنعيش في الصحراء تطردنا الوحوش كأننا زمر الذبابْ

الحية:

إخْسأ. وسِرْ أنَّى تشاء
فليس ذا لك منزلاً يُتَأَهَّلُ
أتُراك تطمع في خروجي منه وهو مُؤهَّلُ
أتظن أنا معشر الحيات نبني الدور إذ نتأهّلُ
لكننا نلج البيوت كما نشاء وننزلُ
فيظل عنها أهلها خوف المنية رُحَّلُ[1]
إخْسَأْ. ولا ترجعْ إليَّ فإنَّ نابي أعصلُ[2]

ظالم:

إيَّاكِ والظلم الوبئ
فلن تكادي تُفلحي أو تَربحي
فإذا دَلَلْتِ بقوة فبحيلتي ودهايَ أحمي مسرحي
لا تمرحي فستخرجين ذليلة أو تُقْتَلِيْنْ
وما الظلوم بمُفلحِ
إيَّاكِ يا هوجاء إيَّاكِ قبل المذبحِ[3]
عودي إلى الإنصاف فهو به كريم المربحِ
لا تجنحي خلي سبيل الجُحر عنك كريمةً
أوْلاَ، فإن الحرب أقصى مطمحِ

(١) رُحَّلُ: وردت في الديوان المطبوع: (يرحل).
(٢) النَّابُ الأعْصَل: الصلبُ المعقوف. كأنياب السباع المفترسة. وكذلك ناب الحية.
(٣) الهوجاء: الحمقاءُ، المتهوِّرَة.

سأقيمها سوداءَ حالكة الجبين
بغير كماتها لم تُلْـقَحِ
لا تظلمي، إيَّاكِ إنَّ الظلم شرُّ المَجْـنَحِ[1]

الحية:
الظلمُ
إنَّ الظلمَ شأنُ الأقوياءْ
والذلُّ من شيم العبيدْ
وكم رضوا بالإستياءْ
دعني
دعني من القول الكثيرْ
فأنت أغبى الأغبياءْ
وهَلُمَّ إنْ تكُ قادراً للحرب يا بن الأدعياءْ

ظالم:
الحربُ وَيْكِ مكيدة وعليَّ في تدبيرها العهد الغليظ
للّهِ جلَّ جلاله واللّه للمولى حفيظ
فتربصي شر القضا
وغدا لناظره قريبْ
وترقبِي نزوات ذي قلب مغيظْ

ظالم لمفوض:
أسْـعِـدْ
أسْـعِـدْ وحقك يا مفوض ضائعا نائي المكانْ

مفوض:
يا ظالماً ما ثم تنفع قوة أبداً ولا بطش عنيفْ

(١) المَـجْـنَـحُ: ما يجْـنَـحُ إليه المخلوق من الخير أو الشر. من السلم أو الحرب.

لكنه التفكيرُ والرأي الحصيفْ
في حيلةٍ جبارة بخيوطها لا يُستهانْ
فهلم للصحراء نجمع حولنا الحطب الكثيرْ
ونسوقه حتى نكّومه أمام الباب من جحر الشجاعْ
ونجيء بالنيران ثمة نُشعل الحَطب الوقودْ
فإذا أقام ببيته ذاك الشجاع
خَوَى فأسكره الدخان
فمات في ذلٍّ مُهَانْ
وإذا تهَوَّر أحرقته النار فهو بغير شك ميت تحت الهوانْ
فصغى لهذا الرأي ظالم مبدياً حسن القبولْ
ومضى إلى الصحراء عند زميله يزجي الحمولْ
فأتوا بأكوام من الحطب الصغيرْ
لكنه يكفي لإحراق الشجاع وعنده ألفا عميلْ
جمعاه قَبْلُ أمامَ جُحر مفوضَ كي ينقلاه بعدُ
للجحر الأخيرْ
ومفوض في صدقه يسعى إلى هدف كريمْ
هدف الوفاْ
يسعى إلى إنقاذ جحر أخيه من أيدي الظلومْ
لا يترك الصحراء غالب وقته حتى يتم له المراد
ويستقيمْ
لكنه إذْ عاد لم يَرَ ظالما أبداً بهاتيك الرسوم
ولا دراه أين غابْ
فمضى يظن الخير فيه وهكذا شأن الحليمْ
وغدا على حذرٍ ليأخذ جذوة تذكى السعيرْ

لكن ظالمَ صاحب المكر الخبيثْ
لما رأى جُحر المفوض بين جنات النعيمْ
بين الطيور شهيةً بين النميْر
فكأنه الفردوس في عينه لا جحر صغيرْ
ورأى بداخلهِ حقيقة نفسه فطوى الحيا
ومضى يروض الظلم في جنباته أنَّى يشا
ويقول آخذه وحسب مفوض بيتي
إذا طرد الشجاعْ
أنا ساكن فيهِ ولو قالوا به خبث الطباعْ
أنا لست أخرج منه لو جدّ النـزاعْ
هذا وَبَالُ مفوضٍ خالٍ من الغش الدَّنِـئْ
لا علم قط لديهِ عما خبَّأته يد الغرور
لذلك الفَـدْمُ[1] الجبانْ
ذاك الغريرْ
فأتى يُهرول مقبلاً في فيه مقباس طويلْ
مقباس نارْ
ويظن أنْ يلقى هنالك ظالما لتمام هاتيك النذورْ
حتى إذا لم يَلَقهُ ترك الشهاب
وراح محتملا حطيباتٍ إلى الجحر البعيدْ
عملاً يؤدي منه حسب المستطاعْ
حتى يعودَ زميله فيواصلان السعي في جد وقورْ
لكنه ما كاد يرجع أو رأى شَرَرَ السعيرْ
والجُحر جحر مفوض

(١) الفَدْمُ: الأحْمَقُ الجافي.

سكران يبتلع اللظى حينا وأطباق الدخانْ
وهنا أكبّ مفوض يبكى ويلطم خدهُ
يبكي ويندب حظهُ
ويقول ضاعت في الأثيرْ
ضاعت كما ضاع السراب
ومن أراق لأجله فضل النميرْ
لكن أَعَدَّ الصبر كنزاً عند نازلة القضاءِ من القديرْ
فارتاح للسلوان يدعو الله وهو به خبيرْ
حتى إذا خمد السعير
وفرَّقَتْه الريح عن ذاك المكان
ورأى مفوض بيتَهُ هو بيته قبل الحريقْ
وافاه يبصرهُ
فألفى ظالما فيه كعظم أخرجته يد الأكول من القدورْ

مفوض يعاتب ظالماً:

أنويت ظلمي
والظلوم لربه بئس الكفورْ
ونويت نصحك والنصوح له من الله الأجورْ
أكذا معاملة الإخا
الله ما هذا الغرورْ

الشيخ:

فرماه في المهوى السحيق وعاد يرفل في الحبورْ
وكذاك ليس لظالم من جانب المولى نصيرْ

المقطع التاسع

عبد الملك يعجب بكلام ذلك الشيخ وبقوة رأيه فيستعيد نشاطه على ضوء رأيه

وهنا استعاد أبو هشام رشدَهُ
ومضى يخاطب ذلك الشيخ الوقورْ

عبد الملك:
يا شيخ حسبك إنني عبد المليك
فَـجِئْ إليَّ إذا نجحت كما تقولْ

الشيخ:
مني لمولايَ اليمينْ
أنْ لست أقبل مِنَّةً من ذي مواعيدٍ بخيلْ

عبد الملك:
وَيْكَ اتّـئِدْ
من أين تعرف أنني رجل بخيل

الشيخ:
ما في حسامك من حلاوة لو نـظرت
فإنها كنـز جليلْ

عبد الملك:
إني ذهلتُ ولا عتاب لذاهلٍ
فاعذرهُ وهاك السيف والمال الجزيلْ

الشيخ:
أنا لست أقبل ما حييت عطاء مُحتار ذهولْ
وأنا كذا عبد المليك وأنت مثلي فلنمدَّ الكف
للمعطي الكريمْ

دعني وربي إنه نعم الكفيلْ
من ليس يبخل قط أو يعروه في حالٍ ذهولْ
فارجعْ إلى نصحي
وأرضِ الله فهو بما تؤمّلُه كفيلْ
فمضى ابن مروان يغذّ السير يدحو الوعر في عرض السهول
عجلان يعتسف الفضاء
حتى أطل على دمشق فلم تقاومه الجموعْ
وقضى على عمرو ويالله من ذاك القتيلْ
يرمي به بين الجموع برأسه تحت النجيعْ
والسيف ظمآن الشَّبَا[1] بيد ابن مروان الجليلْ
والناسْ
إن الناس تحت القصر في أمر مريجْ[2]
غضباً لقتل الأشْدَق الليث الهصورْ
لكنه أعني الهمام أبا الوليدْ
نثر النضار[3] عليهمُ فَتَبَيَّنُوا سِرَّ الفضولْ
وتراجعوا لأبي الوليدِ بصفّه
ومضى يَرُوْضُ[4] المُلْكَ بالرأي الحصيفْ
قُدُماً يوطّده على العزم العتيدْ
والعرش للسلطان فيما قيل غِيْلْ[5]

(١) الشَّبَا: مفردُها شَبَاة، وشَبَاةُ السيف حد طرفه.
(٢) مريج: ملتبس، مختلط، مضطرب.
(٣) النَّضَار: الذَّهَبُ الخالص.
(٤) يَرُوضُ المُلْك: يَسُوسُهُ.
(٥) غِيْلُ: حِمَى. الغِيْلُ موضع تعيش فيه الأسود.

المقطع العاشر

عبد الملك يخطط الخطط للاستيلاء على الحكم ويرسل القواد الأكفاء فيكسب النصر

فرمى ابن عوام بقائده الغشومْ[1]
هو ذلك الحجاج ذو البطش الشديدْ
فأتى الحجازَ لحرب عبد الله والدنيا خديمْ
ومضى يطارده ويقتحم السدومْ
وابن الزبير يصيح في أنصارهِ
والناسْ
ما للناس عافَت نصرَه إلا قريبٌ أو حميمْ
أتُراه إذْ كَنَزَ النضارَ فلا سخاء ولا عطاءْ
والجند في حرب عقيمْ
حَمَلات حجاجٍ وبذل أبي الوليدْ
كلاهما صفّ عظيمْ
فغدا ابن عوام يلوذ بزمزمِ
ويلوذ بالركن العظيمْ
وقذائف الحجاج ترميه وترمي البيت رمياً أو يَدِينْ
وابن الزبير كأنه الطود الأشمّ هناك والدنيا همومْ
فمضى يشاور أمه خير النساءْ

عبد الله مع أمه:
أماهْ

(١) ابن عوَّام: المقصود عبدالله بن الزبير بن العوام. والمعنى أن عبدالملك بن مروان وجه قائده الحجاج بن يوسف الثقفي لمقاتلة عبدالله بن الزبير في مكة المكرمة.

ما تَرَينَّ في شأني وقد بَرِحَ الخفاءْ[1]
والناسَ عافوا نصرتي وتحيزوا خلف العِدَى
وبقيت في أعيان قومي قلة لا تُـتَّـقَى
والموت في هذى المواطن شيمة للأوفياءْ
لكنَّ عار المُـثْـلَـةِ[2] الشوهاء
بعد القتل أخشى وهي من شيم اللئامْ
ماذا تَرَيْنْ؟

بنت الصديق:

أبُـنَـيَّ صبراً للقَّا فالصبر من شيم الكرامْ
يا ابن الحواريَّ الذي ما خار يوماً عن صدامْ
أَقْدِمْ وقاتلْ مستعدًّا للشهادة في الحِمامْ
فهي الحياة ولن يضير الشاةَ بعد الموت تمزيق الإهابْ[3]
كلا ولا لَحْوُ العظام[4]
أَقْـدِمْ وسوف أراك في يوم القيامْ
والله يرضى عنك يا إبْني ويُدخِلُك الجنانْ
أَقْـدِمْ
لِمَا قَدَّمْتَ من عمل تجد مولاك أهلا للوفاءْ

عبد الله تحت السيف:

فمضى يقاتل في شجاعتِهِ قتال المستميتْ

(١) بَرِحَ الخفاء: انْكَشَفَ المُخَبَّأ.
(٢) المُثْلَةُ: التَّمْثِيْلُ بجثة الإنسان بعد قتله أي التنكيلُ به.
(٣) جاء في مصادرنا التاريخية أن السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت لابنها عبدالله بن الزبير حين جاء يستشيرها في مصيره بعد المواجهة بينه وبين جيش عبدالملك بن مروان محاذرا التمثيل بجثته بعد قتله: "وهل يضرُّ الشاةَ سلخُها بعد ذبحها".
(٤) اللَّحْوُ: التَّقْشِيْر.

والبيت تهدمه القذائف فوقه
وكأنما هو ذلك العلم الطويلْ
حتى قضى تحت الحسام قضاء ذي صبرٍ كريمْ

المقطع الحادي عشر

مصرع عبد الله بن الزبير والحجاج يأخذ البيعة لعبد الملك من الناس

والشعب يعطي قائدَ الأمويّ بيعته على حسن انتظامْ
وأبو الوليد يُجنّد الأجناد تكتَسح الشقاق على الثغورِ
فلا شقاق ولا خلافْ
جمعتْ له أطرافُها بالنصر مملكة السلامِ
على السلامْ
ومضى يرسِّخ فوقها أقدامه
والناس أفواجاً إليه كما يشاء على التناصحِ والوئامْ

الكهل يختتم حديثه:

هذى أقاصيص الحياة فخذ بأحسن ما تراه
وذاك شأن الأذكيا
والناسُ تقتسم الحظوظ فذا ينال وذاك لا
والسر في الحرمان والتوفيق في طيِّ الخفا
لا يقنط المحروم لو أَلْوَتْ[1] به أيدي الشقا
وحَذارِ للمجدود[2] أن يَطغَى به جاه سعيدْ
أو أن يطيشَ بفكره حَسَدٌ وعُجْبٌ أو ريا

(١) أَلْوَتْ به أيدي الشقاء: أهْلَكَتْه.

(٢) المَجْدُودُ: المحظوظ.

فالحظ ينبو مثلما ينبو الشَّبَـا[1]
وهنا تَـبَـيَّنَ للوليد النهجُ والدرب السَّوا[2]
ورأى من الكهل الكريم النصحَ في نور الهدى
فجزاه شكرانا على حسن الصنيع له وأولاه الجَدا[3]
هذا وكم فاض البيان على يراعي وانجلَى
وجلا سواد العين تمزجه سويداء القلوب
مِداد ختم فُضّ عن مسك الهناَ

* * * * *

(١) ينبو: لم يُصِبْ. الشَّبا: السيف. قال أحد بلغاء العرب: "لكل حسام نبوة، ولكل جواد كبوة، ولكل حليم هفوة، ولكل كريم صبوة".

(٢) السَّوَا: السَّـوَاءُ المستوي، المستقيم.

(٣) أولاه الجَـدَا: مَـنَـحَـهُ العطاء.

(٢) صرامة الفاروق

قصة شعرية في اثنين وعشرين مقطعا

المقطع الأول

براعة استهلال

مَكارِمُ ينَشرها السلامُ
والحبّ والإخلاصُ والوفاءُ والوئامُ
منبعها الإسلامُ
عظائمٌ وراءها عظامُ وراءها كرامُ
وراءها الحياهْ
منبعها الإسلامُ
اللّٰه هل ألامُ إذا بها شدوتُ أو أُضامُ؟
إذا على جلالها
إذا على قوَّتها
إذا على مَنعتها
اعْتمدتُ
اللّٰه هل أضامُ؟
تلك هي الإسلامُ
تلك هي الإيمانُ
تلك هي الفتوحُ والتعميرُ والبناءُ
والحكم بالعدل هي السواءُ
اللّٰه.

شبّ وشاب الدهر وانحنى وخَرِفا
ولم تـزل كما تَرَى فتَّـيةً في أوجها نضيرةً بين الملاَ
كأنها أسطر مجد وفخارٍ وهُدى
يقرأُها في شرقها الشرقُ فيزداد ضيا
ويستـنير دربَه على الصُّوى
يقرأُها في نورها الغربُ شِمالَ قطبِه
جَنوبَ قطبِه
فينـثني وعَينُه تضطربُ
كأنما أمامها الحِرْباءُ في ألوانها
قد خَطفَتْها لمعة النور فظلتّ تدمعُ كأنّها الوَطفاءُ[1]
حين تسكبُ
والقلبُ منه يجِبُ[2]
يا ليتَه آمَنَ لما أبصر الحقِّ ولم يُصِرّ وهو يدأبُ
تلك هي الإسلامُ

المقطع الثاني

محمدٌ

اللّٰه ما محمد
محمدُ النورُ الذي نار به الكونُ ونارت شمسُهُ
اللّٰه ما محمد
محمدُ الحقُّ الذي أرسله الحقُّ لإنقاذ الوَرَى
من الضلال بالهُدَى
محمدٌ آيتهُ الكبرى فمن شاء اهتدى

(١) الوطْفَاءُ: السحابة تَدَلَّتْ ذيولُها بالمطر.
(٢) يَجِبُ: يَخْفِقُ.

محمد القوةُ والعزةُ والمنعةُ
والنهجُ السَّوَا[1]
اللّٰه ما محمدُ
هل أستطيعُ وصفَه هل أستطيع مدحَه
وفي "عظيم خُلقه" و"قاب قوسين"[2]
من القرآنِ أعظم الثنا
فهل تُراني أستطيع مدحَه كما أشا
وهل تُراني بالغاً كُنْهَ الذي أرومه لقدره من الثنا
لا والهُدَى
اللّٰه ما محمدُ
محمدٌ بنى الحياةْ
بنى الرجالَ للحياةِ والعلَى
بنى النِّسا
بني الحياةَ سَرْمَدَا
لم يَبنها لنفسه وجيله
كغيره من الـبُـنَاة وكفَى
لكنْ بناها للوجودِ والوَرَى
واللّٰه للكل بَنَى

(١) السَّواءُ: المستقيم.

(٢) "عظيمُ خُلْقِه" أخذا من ثناء الله تبارك وتعالى على خُلُقِ عبده ورسوله سيدنا محمد ﷺ في قوله عزوجل: ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيم﴾. سورة القلم، الآية:٤. "قاب قوسين": أخذا من قول الله عزوجل في وصف منزلة القرب من الله تبارك وتعالى التي بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما عَرَجَ اللهُ به إلى السماوات العلى حيث قال عنه عزوجل: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾. سورة النجم، الآية:٩.

المقطع الثالث

وبعدَه الصدّيقُ خير من مشى
وقام للّٰه كما شاءَ الهُدَى
وقال في شجاعةٍ غداةَ ماتَ المصطفى
والمصطفى أحبُّ للصدّيق
حتى من فؤادِهِ الذي على طَيّ الحشا
والناس من هولِ المصابِ
خائرٌ وفاقدٌ لعقلِه مُختبلٌ يَهذِي
وآخر أخرسَه هولُ المصابِ فاستعانَ بالبكا
والكلُّ في الكلِّ بُكا
وأدمعُ الصدّيق في لحيته كأنَها جَمر الغَضاَ
وصوتُه مضطربُ مُختَنقٌ يَبُحُّ بالكلامْ
لكنما إيمانهُ وصدقهُ إقدامهُ
فقال إذ رأى النبيَّ قد تَـوَى[1]
يَا بأبِي أنتَ هُدَى
حَياً ومَيْـتاً طيبُ ريَّاك سَوا
وجاءَ للناس وهُمْ بلا عُرَى
فقالْ
من كان يَـعْـبُدُ النبيَّ فالنبيَّ قد تَوى
لكنّه من يعبُد اللّٰه فإنّ اللّٰه حيٌّ أبَدَا
ثم تَلاَ: "وَمَا مُحَمَّدٌ"[2]

---

(١) تَـوَى: مـاتَ.

(٢) ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قدْ خَلَتْ من قبلِهِ الرُّسُلُ أَفَـائِن مَّاتَ أو قُـتِلَ انْقَـلَبْـتُـمْ على أعقابكم ومن ينقلِبْ على عَقِـبَـيْـه فلنْ يضُـرَّ اللّٰه شيئا وسيجزي اللّٰه الشاكرين﴾. سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

لآخر الآية فانجاب الظلامُ وانجلَى
وأنفذ الجيش يَـؤُمُّ كما أراد المصطفى
والناس مُرْتَـدٌّ وآخِذٌ بما أراد في الهُدَى
فَقَاتَلَ المرتدَّ والزائغَ حتى بَزَلَ الدينُ وراشَتْهُ القُوى[1]
والآلُ والصَّحْبُ يَرونَ آنذاكَ غيرَ ما يَرى
فبعثوا عنهم أبا حفصٍ يَـرُوْضُ القول باللطف
لِيَثْنِيَ الصدّيق عما قد رأى
لكنه أجابه بشدةٍ:
جبّارُ جهلٍ أنت خَوَّارُ هُدَى
واللّه لو تَسحبني الكلاب من رِجْليَّ ما أَخَّـرْتُ جيشا
فيه رايُ[2] المصطفى
وكل من يمنعني ولو عقالاً كان أعطاه النبيَّ مُسْـلِما
قاتلتُه عليهِ أو يُعْطِنِيْهِ راضياً أو كارهاً مُـسْتَسْلِما
بُطولةٌ لا يعتريها خَـوَرٌ وغاية لا يدعيها ذو حِجَا

المقطع الرابع

الهدف

وبعده الفاروقُ
من رآه المصطفى في نومه كأنه تناول الدِّلاَ
ثم سقاه عَطَناً[3] فما وَهى
من فتح الفتوحَ واستعملَ حَـزْمَ الرأيِ والعزمَ المَضَا[4]

(١) بَـزَلَ الدينُ: صار عظيما. راشَـتْـهُ: أَمَـدَّتْـه. عَـزَّزَتْهُ.
(٢) رايُ المصطفى: رايَـتُـهُ. أي أن ذلك الجيش كان النبيُّ عقد له رايـة انطلاقه قبل وفاته.
(٣) أي سقى الإبل ما في الدلاء من الماء. لأن لفظة العَطَـن تعني: الموضع الذي تَبْرُكُ الإبِـلُ فيه.
(٤) العزم المضا: العزم الذي يمضيه صاحبه، العزم المتين الأكيد.

من زَهد الدنيا وقد تفتَّحتْ أمامَهُ
فلم يُعِـرْها نظرةً ولا بها احْتَـفَى
جاءتهُ في الصفراء والبيضاء والديباج والبِرْذَون[1]
يَزهو إنْ مشى.

أمير المؤمنين:

فصاح مَركوبي وألْـيَـافي
وهاتيكَ العباءة التي تحطَّمت كَبْرَتُها وانتكستْ إلى الورَا[2]
ويا لأهلِ الصُّـفَّـةِ[3] الأُلى حَذارِ من هذي الدُّنا
حَذارِ يا بلالْ
حذار يا أبا هريرةٍ
حَذارِ يا فتى الخطاب
حَذارِ من هذا البَلا
هذا أبو عبيدةٍ وجيشُهُ
يفْتتِحونَ الشامَ عن يرموكها ذا الإبْـتِلا
والشركُ خاوٍ خائرٌ أمامهمْ
يُلِقي السلاحَ رَهَباً لا رَغَباً
فلا طريق مغلقٌ في وجههمْ
واللّه يقضِي ما يشا
وسَعدُ في عِراقِه يُغِلُّ فتحاً كيف شا
يومٌ هناكَ قادسيُّ الشدّ والحَمْل شديدٌ وَقْعُهُ على العِدَى

(١) الصفراء: الذهب. البيضاء: الفضة. الديباج: الحرير. البِرْذَوْنُ: المَرْكوبُ الفاره.

(٢) كَبْـرَتُها: عمرُها، تقدمها في العمر، شيخوختها.

(٣) أهلُ الصُّـفَّـة فئة الفقراء من الصحابة رضوان الله عليهم. عُرِفوا بأهل الصفة لأنهم كانوا يجتمعون يومهم في صفة خلفية بالمسجد النبوي فيأتيهم الموسر من الصحابة فيأخذ منهم النفر والنفرين والثلاثة إلى بيته ليطعمهم رضوان الله عليهم.

يومٌ به النصرُ انجلى
وفتح اللّه به للمسلمين أعظمَ الفتوح وابْتَلَى
وعَمْرو في مصر وقد تَفتَّحتْ أبوابُها
بالنصرِ للرحمنِ ميموناً كما شاءَ القضاَ

المقطع الخامس

عمرو بن العاص يصف مصر

أرضَ الكنانةِ اسْحَبي بالدين أذيالَ الهَنَا
وبَاركي الفسطاطَ
حولَ نيلِكِ الذي بكلِّ الخيرِ في الأرضِ جَرَى
بأسبابِ الغِنَى
بالعزِّ بالمنعة بالسُّؤدَدِ بالفجرِ بِـيُمْنٍ بهُدىَ
بنعمةِ اللّه
تَحتضِنُ الأرض جلاليه وفي غُلالَتَيْه[1] آيات السَّمَا
يقذف من جُمامِهِ الزُّرْقِ[2]
لُجَيْناً صافياً على نُضارِ أرضه كما يَشا[3]
كأنما يَطْمِثُ من كِعابِهاَ
أبْضَعَها وقد تبرجتْ ونَضجت بَيْضاَتُها فَلَقِحتْ وَوَلَدتْ
كل نعيمٍ وغِنى
على سَرير مَجدهِ على سرير عزِّهِ
وكلّ مادَبَّ على هذا السريرِ ناعمٌ
واللّه جَلَّ منعمٌ كما يشا

(١) اشتبهت عليَّ كلمتا: (جلاليه وغلالتيه). فبحثت عن معنى لهما فلم أهتد لشيء. ورجعت إلى الديوان المطبوع فلم يسعفني بفهم.

(٢) جُمَامُهُ الـزُّرْقُ: سَـحَابُـهُ المُحمَّـلُ بالمطر.

(٣) اللُّـجَـيْـنُ الصافي: ماء المطر، شبَّـهَـهُ ببياض الفضة (اللُّجَيْن) لنصاعته. النضار: النبت.

المقطع السادس

عمرو يحدث المسلمين

يا قوم إنَّ الفتحْ دَرْبُ الفاتِحين للْعُلَى للعزِّ والسؤْدَدِ
وهو مَا نَرى
واللّه قد وطَّـدَها لنا كما شاءَ القَضا
ألاَ نسوُسُها على حُكم الهُدى
على النُّـهَى
الفتح نازلٌ على الآهل ربما احْتَوى
والعُنفُ والقوةُ والإرهابُ لا تُبْـقِي على صَاحبِها
قلما نالَ بها غيرَ الأسى
لكنما العدلُ وإنصافكَ من تحكُمهُ
منكَ وممنْ هو أدنى منكَ بالحكم السَّوا[1]
لا ظلم في الحُكمِ ولا هوادَةٌ لكنه العدلُ
على رأيِ التُّقَى
تَمشي مَعَ الضعيفِ في مَسْكَـنَـةٍ
وتَـدَّنِـيْهِ بَاسِماً لا تعتليهْ
وتجودُ محسناً على فقيرٍ بائسٍ مُواسياً له بلطفٍ وسخَا
وتَـجْبُـرُهُ باللطفِ بالأخلاقِ حتى بالعَطَا
غداةَ تشْتَدُّ على ذِي جَبَروتٍ ظالم
لم يَرْعَ حقّ اللّه فيمنْ قَد رَعىَ

(١) السَّـوا: العدل.

المقطع السابع

عمرو يستشير المسلمين في بناء المسجد

هَلُمَّ نَبْني مسجداً يَجمَعُنا عند الدعاء
نُـبْرِمُ فيه أمرَنا
نَأخذُ فيه عِلـمَـنَا
نحكمْ فيه بالهدَى

المسلمون:

خيراً رأيتَ وهُدى
قم فابْنِه على التُّقى على الأساس المُرتَضى
كما بَنى المختارُ في طَيْبَتِه مسجدَه الشريفَ في خَير بِنا
ورَفَع الخليلُ وابْنُهُ قواعدَ البيتِ على مكةَ واللّه بَنَى
لا نَقشَ لا زخرفة لكن جَلالٌ وعُلاَ
قمْ فابْنِه على التُّقَى
على سواعد الرجِال والوفا على أكُفِّنا
حتى يطول في السما
ذلك عرشُ مُلكِنا
ذاك مقرُّ حُكْمنا
ذلك حصنـنا الحصينُ لا سوىَ

عمرو يتحدث في نفسه:

انْبَسِطِيْ يا أرضُ تيْهي فرحاً
بنظرةِ اللّه عليكِ أبدا
هذي صفوفُ المسلمينَ في الصلاةِ
في الجهادِ مثلما رُصَّ البِنَا

المقطع الثامن

عمرو والعجوز

بَيْتُك يا عجوزُ بيعيه لنا
نُدخِلُ أرضَ صَحْنِهِ بأرضنا كما نشا
لنبنيَ المسجدَ واسعَ البنا
يضم كل جمعنا
فلا يضيقُ بصفوف المسلمينَ صحنُهُ
والحمدُ للّٰه على ازْدِيادِهِمْ ولا خَفَا
وهاكِ أرضاً غيرَ أرضِ البيت ضِعْفَيْ أرْضِهِ
وهَاكِ ضِعْفَ قيمة المَبِيعِ وكَفَى
والمالُ ثَرَا

العجوز:

بيتي لا أبيعهُ بمال أبدا
ورِثْتُهُ عن وَالدي ووالدي عن جَدِّهِ
فهو حريٌّ أن يكونَ مُقْتَنَى

عَمْرو:

عَساكِ قد خَرِفتِ يا لكَاعُ[1] والدهرُ فتَى
وازْدَدْتِ شُحَّاً وبَلغتِ غايةً
واجِبُنَا نرعاكِ حفظاً وصيانةً بها
نَبيعُه عنكِ ونبني لك عنه خيَر بيتٍ يُقْتَنَى

العجوز:

بيتي بيتي وَلِيَ العدلُ وِقَا
وأنتمُ وُلاتُهُ واللّٰه يهدى من يشا

(١) لَكَاعُ: لفظة تُقَالُ في سَبِّ المرأةِ بالحُمْق.

بيتي لا أبيعُهُ لو بلغَ السيلُ الزُّبا
وانْصرَفتْ عنهُ بقلب ملؤهُ غيظٌ وحقدٌ وسُطَا

المقطع التاسع

العجوز تذهب إلى عمر بن الخطاب تستعديه على عامله

وَرَكِبَتْ بَعيرهَا تطوي به وَعْرَ الفلا
تروم طيبة التي نورَّها الله بأكرمِ الورى
حتى أتتها وهي في أتعابها تُجاذبُ الغاربَ[1] وَعْثاءَ النوَى
تلتمسُ الفاروقَ في سلطانه
أُبَّهة المُلْكِ على الجلال والعُلَى
يا قومُ أين قَصْرُهُ؟
يا قومُ أين عرشُهُ؟
أين الأوَاوِيْنُ[2] بأعَنان السما؟
أين الذي تَرتْجفُ القلوبُ والأرضُ إذا ما لاحَ ذكرُهُ
وكاد أن يُرى؟
أين أبو حفصٍ ومن كمثله إذا سَطَا؟[3]

المسلمون بالمدينة:
في مسجد الرسول
أو في السُّوق
أو في بيوتِ الفُقَرَا
أو خارج البلادْ

(١) الغاربُ من البعير ما بين السنام والعنق.
(٢) الأواوينُ: مفردُها إيوان، وهي كلمة فارسية الأصل ومعناها قصر ملك الفرس كسرى. فدخلت العربية وصارت يُعَبَّرُ بها عن البنيان الرفيع الشامخ العجيب الصنعة.
(٣) سَطَا: قَهَر.

يستنشقُ أخبار جيوشِ المسلمينْ
يستقبلُ الركبان يَـتَـلَـقَّى مَن أتى

العجوز:

اللّه، هذي العزةُ القَعْسَا[1]
وهذا القهرُ والسلطان والتنفيذ
في هذا العَرا
لا سورَ يحميهِ ولا عَرشَ ولا عبدَ على الأقلِّ منه يُتَّقَى
اللّه، إن كان كذا حكم الهُدىَ
أَتَّـبِـعْـهُ
لكنني هل أنا إنْ رأيتهُ أعرفهُ ولا خَفَا
وذهبتْ في دَرْبِهاَ
يا بِيْدُ أين بُغيتي؟ أينَ فتى الخطاب مفتول القُوى؟
أين الذي ترهبهُ الملوكُ وهو بِزيِّ الفقرا
لا تاجَ لا أُبَّهةً ولا غِنَى
لا يعرف الشِّبعَ على حالٍ ولا لينَ الغِذَا
لعل ذاك القاعد البعيد في أسمالِه
في الجُبَّةِ المُرَقَّـعَـهْ
في سَمتِهِ الرزين في الوقارْ
كأنه الطودُ الأشمْ
كأنه البدر المنيرْ
كأنه الشمس ضِيا
اللّه، أنه الجلالْ إنّه الكمالْ
وهو الذي أردتُه دونَ الوَرَى

(١) العِزَّةُ القَعْسَاءُ: الثابتة.

المقطع العاشر

العجوز عند عمر

مني سلامُ اللّه يا شيخَ الهُدَى
عليكَ ما سَحَّ سَحَابٌ وهَمَى
ما خَفَقَتْ بحبك القلوبُ واطمأنَّتْ باللِّقَا
ما ضُرِبَتْ إليكَ أكبادُ البُرَى[1]
واشتاق مؤمنٌ إلى هذي العِراصِ وسَـرَى

عمر:

يا أَمَـةَ اللّه
عليك مثلما حَيَّيْتِ تسليماً يردُّه الإخا

العجوز:

أنت أميرُ المؤمنينْ
أنت الملجأُ الذي ليس يُضَامُ مَـنْ به الْـتَـجَا
جئتكَ أشكو عاملا كأنّه الليثُ سُطا
سَطاَ على بيتي ولم يَرْعَ الهُدى
فيَّ وفي شَيْبي الذي قد انْحنَى
وقالَ إني قد خرِفتُ وتَولاَّني هَوىَ
وباعَه مني لَـهُ، للمسجد الذي سيبـتنيه للتُّقَى
والأرضُ إمَّا غُصِبَتْ لا تُقبلُ السجدةُ فيها أبداً أو تُرتَضى

المقطع الحادي عشر

وعُمرٌ كان بِـجِـذْرِ دوحةٍ مُتَّكِئاً
فسَلَّ قشراً منه حيث المُـتَّكَا

---

(١) البُـرَى: الإبِـلُ.

فشقَّهُ نِصفينِ
وبهُدْبٍ مِن ردائهِ طَواهُ
ورَماهُ نحوها وقال:
أبْلِغيْهِ عَمرو وهو ما أرَى.

العجوز:
ربَّاهْ
رباهُ ما هذا القَضا
هل في جُذورِ شجَرِ الصحراءِ سرٌّ في اللِّحا[1]
أم ثَمَّ ما يُخاف من تحت الغطَا
أم ثَمَّ في الحكم اغْتِصابٌ يُرتضى
أم إنها سياسةٌ من هاهنا وهاهنا
اللّه،
إنه الفاروقُ مضربُ الأمثالِ في العْدلِ وفي الحكم السَّوا
ماذا أقولُ لِبَنِيَّ وصحَابِيَ الأُلَى خَلَّفْتُهُمْ يَنتظرونْ
ينتظرونَ عودَتِي
إنْ جئتُهم قطّ بِقِشْرٍ لا سِوىَ
وكيف أنْجو من فَتى العاص وقد شاع السُّرَى
رباهْ، وليس لي من وَزَرٍ[2] أوْ عاصمِ
منهُ وشرّ البطش ما أخشَى وقد عزّ الوِقا
اللّه ربّي، يا تُرى أُراجِعُ الفاروقَ والهيبةُ منه تملأُ الحَشا
لا أستطيعْ. لكنني أمضي
وعندي صَرخاتُ الظلمِ واللّهُ وليُّ المُبْتَلى

(١) اللحاء: قشر جذوع الشجر.
(٢) الوَزَرُ: المَلْجَأ الذي يُعْتَصَمُ به.

المقطع الثاني عشر

وَرَكِبَتْ ذَلُـولَها
تطوي الدُّجى به ويطويها الدُّجى
حتى أَكَـنَّـتْها الكِنَانةُ التي
قد أسْلَمَـتْها قبلُ للوَعْر وذؤبانِ الفَلاَ[1]
فهل تُرى تُكنُها عن ذلك الليثِ
وقد أغْضَبَهُ مسيـرُها للإدِّعا
أغضَبَهُ حقيقةً
لا..
بل أخافَهُ وهَدَّ منْ كيانِه القُوى
وباتَ يرقبُ القَضا ويَتَّقِي
صَرامةَ الفاروق فهوَ في اللّه شديدٌ لا يُبالِي ما أتى
وهل لدَى العجوز منه قَطُّ تأنيبٌ وزَجرٌ وكَفَى
أم أنهاّ عقوبةٌ صارمَةٌ
هل لفتى العاصِ من الحكمِ وقا
وهل ينامُ ليلَه حتى يَرى
يَرى الذي تحملُهُ تلكَ العجوزُ إنَّهُ ما يُختَشَى

المقطع الحادي عشر

عمرو يرسل للعجوز
ليستفسرها عما وراءها
عَليَّ يا قومُ بها
ولا تُخِيفُوا قَلبَها

(١) ذُؤبانُ الفلا: ذُؤبانُ مفردها ذئب. الـفَـلاَ: مفردُها فلاة وهي الأرض الواسعة المقفرة.

لا تَذعروهاَ أبدا
ثم سَلُوها ما الذي قال أمير المؤمنين المُرتَضى

رسول عمرو يسأل العجوز:
أمَّاهْ. هَا إنّ الأميَر قال لِي يحبُّ أنْ يراكِ
كيْ يَرَى الذي جئتِ به
من عندِ أكرم الورى عليه بعد المصطفى
هياً بِهِ ليَستريحَ من مَخَاوِفِ الشقا
لأنَّمَا الخوفُ شَقَا
ليستريحَ من وساوس الحِجَا
هياً إليه أنه على اللظَى

العجوز وهي خائفة:
باللّٰه
باللّٰه عليكَ أتقولُ الحقَّ أم ذَا منكَ خِدْعٌ وريَا
لأنني أخَافُهُ وليسَ عندي ما يَبلُّ غُلَّةَ الظَّما

الرسول:
لا تخشَينَّ لو كان ما لديك
حفنـةٌ من التراب من أبي حَفْصٍ فحسبُ
أو قُلامةٌ من ظُفُرٍ لطائرٍ
لكانَ فيه لكِ سيفٌ مُنْتَضَى
هَيَّا إليه ولكِ اللّٰه وِقاَ
ولأميرِ المؤمنينَ صولةُ لا تُتَّقَى

المقطع الرابع عشر

العجوز عند عمرو

مني سلامُ اللّٰه يا شيخَ الحجا
عليك ما هَبْتْ من العَدْل صَبَا
ودونَك السرَّ الذي جئتُ بِهِ إنه قطُّ لِحَا
قد شقّه نصفين قبل أن يُعطِنِيهِ
وأنا لا أعلم السرّ الذي به انْطَوَى
خُذْهُ ودَعْنِي والشقا
دَعْنِيْ والخوفَ الذي أُحِسُّهُ عنديَ
دَعنْي والأسى
فُقْدان بَيتِي ومتاعبي التي ضاعتْ سُدَى
أمرانِ مُرَّان فلَيْتي لَيتنِي
لَيْتِي رضيتُ البيعَ بالأمسِ
ولم أجْشَمْ سُرَى
لكنه القضاء والعبدُ أسيرٌ للقَضا

المقطع الخامس عشر

عمرو يعتذر للعجوز

أماهْ
أماهُ عفواً فأنا أحَقُّ منكِ بالشقا
أماه عفواً إنَّ دَمعي مارَقَا[1]
منذُ ذهبتِ وأنا أعرِفُ ما تحتَ اللِّحا
بيتكِ أُمَّاهُ خذيه وأقيلي زَلَّتي

(١) ما رَقَا: ما انقطع.

وما جَنَيْتُ واقْبلي معذرتي
فإنني معترفُ
ثم مُري الكاتبَ أن يَكتُبَ عنكِ بالرضا
وأنَّكِ استلمتِ بيتكِ
الذي ورثتْيهِ بغير ما عنَا
أمّاه
ثم مُري العَدْلَيْنِ فيما قد كتَبتِ لِيَشْهَدَا
ودونك البيت كما أخذتُهُ ما فيه تَغَيُّرٌ يُعَدُّ أبَدَا
وهاكِ مني صَدَقاتي فاقْبليها ولك اللّه رضا

العجوز تثني على عمر بن الخطاب:

اللّه، يا أعْدَلَ الناس وأقواهمْ قَضاَ
يا أيُها الفاروقُ يا رَمْزَ الهدى
ويا ضياءَ المُدْلِجِيْنَ في الدُّجى[1]
أقمتَ حكمَ اللّه حتى لم تدَعْ
بينَ الورىَ ما يُشْتكَى
هذا هو القِسطُ فأين منْ أقامَ عالياً أُسَّ البناَ
الأُلَى لم يَعْدِلوُا ولم يُراعُوا اللّه فيما قد رَعَى
رَاحُوا وجاءتْ بعدَهم عَواصفٌ
سَفَتْ عليهم وهم تحت البِلى[2]
فلم تكدْ تبقي لهم حياتهم مآثراً غير الخَنا[3]

(١) المُدْلِجِيْنَ في الدُّجَى: السائرون في ظلام الليل.
(٢) سَفَتْ: ذَرَتْ عليهم التراب. البِلَى: الفَناء.
(٣) الخنا: الفَحْشُ.

وكل مَن بَنَى على أُسِّ الهُدى علاَ وطالَ بَنْيُهُ ودَامْ
ولم يَمُتْ جلاَلُهُ لو مات جسمُه وَواراهُ الثَّرى
لكنه يعيشُ خالداً
في ذكره وعدْلِـهِ وفضـلِهِ طُولَ المدَى
وأنتَ ياَ فتى الخطاب
خيرُ مَنْ أقام لِهُداةٍ عالياً صرحَ الهُدى
فدُمتَ للإسلامِ رُكناً وحمِىَ

المقطع السادس عشر

المسلمون يستفسرون عمرو عن الحقيقة

أميـرَنَا
مالكَ والقُشر الذي جاءَكَ في شطْرَيْهِ في طيّ الخفا
مالكَ قد خشِيْتَـهُ وخفتَ منهُ
وهو ما أحْراهُ أنْ لا يُختَشَى

عمرو يجيب:

لم أخْشَهُ لذاته
كَلاَّ ولكنيّ خَشيتُه لأمرٍ قدْ مضىَ
لِـقصَّةٍ لا تُنْتَسى
قد كنتُ وأميـر المؤمنين رُفقةً لا تُجْتَوَى
وذاكَ قبل المصْطَفَى
جئنا إلى بلادِ كِسرىَ
للشِّرَا
تِجارةً نبيعُها ونَشتري
نربحُ فيها غالباً وحسبناُ الربحُ ثَرَا

ونأخذ الأثمانَ نقداً تارةً
لسببٍ نُرْجِئُها إلى مَدىَ
لكنَّ بعضَ الوُزراءِ ما رَعَى غُربتَنَا
وكان قَدْ شَرَى ما شاءَ منَّا فأبَى عنِ الوَفا
وطالما جئنا إليه طلباً فما وَفَى
وليسَ بالقليل ما عَليهِ
أوْ نَسكت عَنهُ ونُضيْعُهُ سُدَى
ألفاً دنانيرَ نُضاراً[1] لا يُضَيِّعُها أخو حِجَا
فمذْ يـئسناَ منهُ من وَفائِهِ
عُدْنَا كما شَاءَ القَضا
عُدْنَا إلى كسرىَ وكان عادلاً ولا خَفَا

المقطع السابع عشر

عمر وعمرو عند كسرى

كِسرى أتيناكَ يَسوقُنا الوَبَى[2]
نشكوُ إليكَ عاملاً لديك أدنى جانبا
ممنْ سواهُ ولكَ العدلُ رِدَاَ
إنَّ لنا عليه صَفقَةٌ
بألفِ دينارٍ تعدُّ ذَهَبَا
وقد يئسْنَا من وفَائِه لنا
وكم تعبناَ وسئمنا دَرْبَناَ إليه عَبَثاً
ولا يزالُ صامداً في غيِّهِ وقاسياً في مَطْلِهِ بِلا اخْتِشا

(١) النُّضَارُ: الذهبُ.

(٢) الوَبَى: من آباه الشيء مَنَعَهُ منه. والمعنى أنهما يقولان لكسرى أن ما حملنا للمجيء إليك ما نعلمه من منعتك للمحتمي بحماك.

الترجمان المدلس:

فَسمع الحديث منا التّرجمانْ
وقال للملكْ كما شَاء
ولا ندري الذي يقولُـهُ ثم انْثَنَى
فقالْ
إنّ أنُـوشَروَانَ يَرعاكمُ كما شَاءَ الرِّعَا
وسوف تُـؤْتَونْ
تُـؤْتَونَ غداً بما أردْتُم أنظُروا الخير غَداَ
فجاءَنا في الغَـدِ رزقٌ وكِـسَا
اللّه. ما هذا أردْنا
إنْ أردناَ غيرَ حقٍّ قد هَوَى
تحتَ العروشِ هل أضاعتْه الرُّشا
لا.. لن يَسكتَ المظلومُ لو طالَ المدَى
عليه
لكنّنا عُدناَ إليه مّرةً دون حَيَا
والترجمانُ عنده ونحن نَشتاَكُ الأذى
فقال مثلَ قوله بالأمسِ فانْصَعْنا سُدَى
وذاك ما نسطِيعُهُ لجهلِنَا لُغَتَهم وجَهلِـهِم لُغَتَـنَا
وفي اللُّغاتِ صِلةٌ روحيِّةٌ بينَ الورى
فجاءَنا بالغدِ ضِعفُ ما الذيْ بالأمسِ جاءَ من عَطاَ
اللّه. نسكت عن حقوقنا نَتْركها ولا رِضا
اللّه. أينَ العدْلُ والحُكمُ السَّوا
لكنّـنا نَعودُ مرة أخرى
على كسِرىَ فَـنُـظْهِـر الحَماسَ نُـبْدِي الغَضَبَا

لعلَّه يُدرِكُ ما نرومُه فَيَعتَني بأمرنا
وما عسى يكونُ لو أغضَبَهُ حماَسُنا والإجْتِرَا
وحَسبُنا اللّه وكيلاً وكَفَى
وفي صباحٍ باكرٍ
جئناهُ والقولُ لظَى
يَبُدو الحماسُ ظاهراً مناّ على الوجوهْ
على اللسان إذ جرى
فردَّ نحوَ الترجمانِ رأسَهُ ماذا يقولونَ لنا
هاتْ
فقالَ ما أعطَيتموهم غير كاف
وبلادُهْم بَعيدْ ولهم فيكمْ رَجَا

كسرى يفطن للغرض:
قالَ لهُ ماذَا لذاك غَضَبٌ وجُرأةٌ كما أرى
لكنْ هَلُمَّ ترجمانُ آخرٌ
ماذا يقول العَرَبيّانِ وما لديهما
قُــلْ لنا

الترجمان الصادق:
ماذا الذي لديكما أغْضَبتُما كِسرىَ فمَاذَا الإجْتَرا
قُلنا ثلاثاً نحنُ نأتيهِ بشكوْانا فما أجْدَى الرُّقا
جئناهُ نشكو ذلك الوزيرْ
ذاك الذي بجنْبِهِ
ذاك الذي مَاطَلَنا في حقِّنا الذي بهِ اشْتَرَى
عَشْرَ مِئينٍ عَسجَداً[1]

(١) العسجدُ: الذهب.

مَضْروبَةً وقدْ تَردَّدْنَا عَلَيهِ وسَألنَاهْ مراراً فأبَى
واليومَ آنَ أنْ نعودَ فاضطُررْنا فَشكَوناَ خصْمنا
فَياَ تُرى هلْ غَيرُ كِسرى منصفٌ منه لَنَا عندَ القَضاَ
ونحنُ لم نأت لرزق مُجْتدَىَ
وفضلْ كسرىَ واسعٌ وهو كريمٌ غيرَ أنَّا في غِنَى
فقصَّ ما قلناهُ دونَ فريةٍ ودونَ تدليسٍ لكسرى أو خَفَا
قال له عِدْهم غَداَ يأتُونَنَا إلى هُنَا
وسوفَ يَلْقَونَ من النَّصفِ الرِّضا

المقطع الثامن عشر

كسرى يعدهما للإنصاف

عمر وعمرو يريان جزاء الخيانة

وفي غد جئنا لننظر القَضا

اللّه. هذا الترجمانُ الأولُ الخَؤون
قد شُقَّ نصفينِ وأعْـيُـنُ الناسِ تَرَى
فصُلِـبَ الشطرانِ في مِصراعَيِ البابِ هناكَ وهُنا
وهكذا الجَزَا

العمران يستوفيان حقهما:

وحقُّنا على الوزير حاضرٌ أمامَ كِسرى فدُعِيناَ للوَفاَ
وقالَ ذاكَ الترجمانُ المرتضى
ها، فخُذَا حقَّكُما على التَّمام دونَ بَخْسٍ في الَوفَا
وذا أنو شروانَ يسْتَرضِيْكُما عن كُلّ ما كانَ جَرىَ
فهوَ أبو الأمْلاكِ لا يرضى سوىَ العدلِ لباساً وِردَاَ
وواصِلا سُرَاكُمَا لأرضه

فإنهَّ الراعي الذي يَحوطُ كل مَنْ بِعَدْلِه احْتَمَى
وتاجرا في أمْنِه
ولا تخافا بطشَ أو مطلَ ظَلومٍ طائشٍ في غيِّهِ
ولو قَسا
ثم أخذنا حقَّنَا على التمامِ وخرجْنَا شَاكرينَ عدْلَهُ ولُطفَهُ
وما به أفادَ وحَبَا

المقطع التاسع عشر

كيف فطن عمرو لقصد عمر
وهكذا يقولُ لي الفاروقُ
وأنَّه يَشقُّني نصفين مثل الترجمان
إنْ ظلمتُ أَحَدَا
وهو بلا شكٍّ سَيَقْضِي مَا رأى
إنْ أنَا أصْرَرْتَ ولم أرجْعْ إلى نهج الهُدى
وهَا أنا أُشْهِدْكُمُ بأنَني تُبتُ من الذي ارْتَكَبْتُهُ
وكَان مِنّي فعلَ عمدٍ أو خَطَأ
واللّه بَيْني وأمير المؤمنين والهُدَى
من كلِّ مَا أخَافُه نِـعْمَ الوِقا
واللّه حَسبِي وكـفَى
فأبلغُوا الفاروقَ عني
أنَّني تُبتُ ولَمْ أُصِرَّ ظَالماً كما بَدَا
وأنني أعدتُ للعجوزِ بيتَها
فرضَيتْ عَني وذاكَ غايةُ المدَى

المقطع العشرون

تكملــة

الخلفاءُ الراشدون رحمةٌ
في الكونِ للنَّاسِ لها اللّٰه بَرا
يا خلفاءَ اللّٰه يا رجالَهُ الأُلَى
بَنَوا صُروحَهُ شامخةً فوقَ السما
ونَصَرُوا اللّٰه كما شاءَ، فكان ناصراً لهمْ
وحَكمُوا بحكمه على النهج السَّوا
فدانَت الأرضُ لهم مُطيعة خاضعةً
لأمرهمْ ونَهيِـهِمْ ولا مِرَا
عزَّ بهمْ دينُ الهدى كما أرادَ اللّٰه جلَّ شأنُـه
فعَظُمُوا بين الأنامِ واسْـتَـوَوْا بقَهرِهمْ
فوقَ الورَى
أولئكمْ لوْ دُفنِوُا تحتَ الثَّرى
فإنهم أحياءُ خالدونَ أبدا
من لي بهمْ والدهرُ في عُدوانِه
يَعتَلِكُ الشكيمَ[1] خَيلاً وسُطَا
يُبَدِّدُ الدينَ كما شاءَ الهوى
خلْفَ الهوىَ
خلفَ الضلالِ والخَنَا
خلفَ الدعاة المارقين وهم حِزْبانِ
حزبٌ شُيُوعيٌّ مُضلّ طائشٌ
وخلفَ صَهيُونيَّةِ العالمَ حِزبٌ آخر دونَ حَيَا

(١) الشَّكيْمُ: مفردُها شكيمة وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس.

منُجرفَان خلفَ تكتيكهما مُوَحَّداً
لكنَّه على الهُدىَ
كم خلقا به لكن على الدينِ عناصراً منْ أهله
تَعصِرُهُ
معاولاً تهدُّه خلفَ دِعاياتٍ كلمساتِ البغا
محمومةً يُسْعِرُهَا السوءُ ويزجيها الدهَا
ونحنُ في غَفلتنا تحت الهوانِ شِيَعاً مثلَ الثَّغَا[1]

المقطع الحادي والعشرين

نصيحة

اللّٰه.
باللّٰه يا قوم إلامَ خُلْفُنَا
إلامَ جَهلُنَا عما يُحاكُ خَلْفَنا
ماذا يضرُّ لو تَيَقَّظْنَا قليلاً فاجْتَمَعْنا
دولةً واحدةً في صارمٍ مُسمَّمٍ على العِدَى
يَحكم كلٌّ نفسَه منا كما شاءَ الهُدى
يحكم بينَ قومه بين بنيه داخلياً
وعلى حُكمِ الكتابِ لا سِوَى
ودولةً كُبرى نُقيمُها
تَضُمُّ أهلَ لا إله إلا اللّٰه مُتَّحداً رجالُهَا
على كتابِ اللّٰه وعلى سُنَّة خير خلقْهِ
وكُلَّما أسلاَفُنا قدْ أجمعُوا عليه
نُقِيمُها مصانِعاً[2] **نَجمعُها مُعَسكرات تُتَّقَى**

(١) الثغاءُ: صياح الخراف. وليس المقصود هنا صياحها بل التشبيه بها.

(٢) مصانعا: حصونا.

لا يستبدُّ بِهَـوَانَا منصبٌ يمشى بنا في زهوه إلى القفا
اللّه.
بأيِّ شيء سَبَقَـتْنَا دُوَلُ الغرب وكانتْ خلْـفَـنَا
لكنهم قد درَسُوا بدقَّةٍ شأنَ الحياة فَرأوا في أمرْهِم
ما لا نَرَىَ
فاتّحدُوا فَعملوا لكنْ برأي ديننا
وذاكَ في تـنظيمهمْ حياتَـهُمْ
فَنَجَحوا كما نَجَحْـنَا أمسِ واللّه يرى
اللّه يا قومِ وأنتم أعلمُ الناس بما أقولُهُ
فمهدِّوا السبيلَ للعلى
وطَهِّروا من رجسِ صَهيونَ اللئيم أرضَكُمْ
وكلِّ رجسٍ طارئٍ
ولنْ تُطيقُوا ذاكَ إلا بالتُّقَى
بالاجتماع دولةً واحدةً لها كـيانٌ يُخْتَشَى

المقطع الثاني والعشرون

يا ربِّ خُذْها من لسانِي
وأمانةً لديكَ ألقى خيرها يومَ الجَزَا
ربِّ وحَقِّقْها على حُكمِ القَضا
أُمْنِيَّةً فيها رضاكَ لا سِوَى
والحمد للّه على ما قد جَرى
على لساني
وختاماً أتمنَّى للهُدى
نَصراً وتمكيناً وفتحاً وعُلاَ

كالمسكِ نفحُ عَـرْفِـــهِ كما بَـــدَا
يحسدُ فيه الأرضَ
كل المَلأ الأعلى ومن تحت السَّما
وتَـنْفُسُ الأرضُ بِهِ كلَّ الفضا

* * * * *

(٣) لا تحتكمي

المقطع الأول

مُنَى

أنت مناه وهواه

وعيشه الذي به يعيش ونعيمه المقيم

وسعادة الحياة

فتابعي خطاه

وأحسني عشرته كما يليق

لا تحتكمي

في ماله ولا تَحَكَّمِي

في شأنه

لكن دعيه والذي يشاؤه

لا تستغلي حبه

إياك وسفاسف الأمور

والذي ليس يعود لك أوله بنفع

أو بعز أو بجاه

لا تستغلي أبدا غفلته

لكن كما يُؤَمِّلُ كوني لتكوني موضعا لثقته

على الصفا

منك

والوفاء والإخلاص

تكسبي الرضا

مباركا من ذي الجلال الله جلَّ شأنه

ومن بني جيلك والقرين
فاكسبي رضاه

المقطع الثاني

إن كان غرك الذي يدور
في خَلَد الحسان مثلما يدور
من أنها نصف الوجود ليشتري[1]
وإن ذلك النصف الأخير
في يَـدِهِنَّ كالأسير
ليس له إلا كما شئن مصير
ومنطق العصر الحديث مثلما يقلنه
لو سئل اليقين
لو سئل الحقيقة التي انْـبَـنَى عليها
ذلك الرأي الخطير
عاد وفكره حسير
لكنه منجرف وراءه لا يرعوي
ولبه وعقله الواعي كان يطير خلف المستطير
تناقض غريب
تباين عجيب

المقطع الثالث

اللّٰه.
اللّٰه يا ابنة الدين الحنيف

(١) هكذا وردت هذه العبارة هنا وفي الديوان المطبوع ولعل الصواب: (من أنها نصف الوجود البشري).

عالي الصروح
مثلما شاء الجلال باذخ العروش
راسي الدعامات
متينٌ راسخُ نَـجَـارُهُ[1] الشريف
راسي الجذور
عودي إليه إنه القيد الذي
به تـقيَّدْتِ وقيَّدْتِ به كل خطير
كل صغير وكبير
قيد الهدى قيد التقى قيد الشعور
لو رام أن يفكه دهرك
لانْفَكَّتْ عراه ومشى في وهمه مَشْيَ العَثُور
عودي إلى تعليمه فإنه
عَلَّمَكِ العيش نظاما وسلاما في السرور
على الوئام والحبور
وانجلت آياته على السرير
تـنّظم الكون وتستدرّ في الوجود
حكمة التكوين
يدين لنظامه كل نظام في الوجود
وهو على عليائه ليس يدين
عَلَّمَكِ الثبات
عَلَّمَكِ الصمود
والدهر شرور
وإنْ تلن من غيره قناته

(١) نَـجَـارُهُ: أصْـلُـه.

لنظم مستوردات ونظريات
توافدن إليه من بعيد
فيا له من شامخ كالطود رابٍ لا يلين
تعلقي بركنه
واعتصمي بحبله فحبله متين

المقطع الرابع

عودي إلى زوجك بالخلق الكريم
بطاعة يفرضها عليك ذو العرش العظيم
لزوجك الحميم
والمصطفى حيث يقول في مقاله الحكيم
يقول ما معناه
هاَ لوْ أمَـرْتُ أحدًا يسجد دون اللّٰه لابن جنسه
أمرت ذات الحسن أن تسجد للزوج الحليم
حاشا الرسول في عظيم خلقه
في حكمه الـسَّـوِيِّ في الإنصاف في عدالته
حاشاه أن يقصد بالإهانة الحسناءْ
وقد أوصى بها خيرا
وأعلا شأنها فوق الحدود
لكن لكيما تعرف الحق لذيَّاك القرين
فتؤديه كما شاء لها اللّٰه الحميد
وتستقيم
ويستقيم الكون في نظامه الحكيم
فلا يشذ أبدا ولا يحيد

فإن "قوّامون"[1] فيه طابع
ينظم الحياة والوجود

المقطع الخامس

وأنت يا وَادِعُ
بل يا حَمَلَ العقل البليد
قم فاقْرَا كتاب الله جلَّ شأنه
فهو شفاء للصدور
وهو ينادي كل ذي رأيٍ سديد
ويحكَ لِمْ عنه تحيد
تسمعه يقول:
"واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن"[2]
فتدبر أخريات ما يقول
"واضربوهن"[3]
فاصْغ إليه وتدبر إذ يقول
"فإن أطعنكم"[4]
من أُلْـزِمَ الطاعة للآخر منكم يا بليد
أم أنه غيركما ذاك المنادى من قريب أو بعيد
يا لك من قول كمشبوب حديد

(١) من قول الله عزَّوجل: ﴿الرجالُ قوَّامونَ على النساء بما فَضَّلَ اللهُ بعضهم على بعض﴾. سورة النساء، جزء من الآية: ٣٤.
(٢) سورة النساء، جزء من الآية: ٣٤.
(٣) سورة النساء، جزء من الآية: ٣٤.
(٤) سورة النساء، جزء من الآية: ٣٤.

يغرس في النفس الإبا والوفا
يغرس في النفس الصمود
بات يناجى كل صنديد أخي عزم عتيد
يعرف آفاق الكلام
ويَـرَى في شمسه وبدره المضيء
آيَـتَـهُ الكبرى تضيء من بعيد
فيضع الفصَّ على النصِّ
فيبدو ليناً طوراً وتارة شديد

المقطع السادس

كعمر الفاروق إذ شُجّ بمفتاح حديد
شجّته زوجه فقال يا تُرى ضعيفة
لم تبغني بالسوء لكن
لدوافع الحب القديم
تدافعت نحوي
فزاد الشوط في طموحه على المدى
وحلبة السبق إذا ما ارْتَـكَزَتْ غُلْوَتُها[1]
على طموح الأدب الغض
فلا لوم على ذاك الشرود
وترك المنـزل راضيا فَصْلَ قضائها الشديد
ما باله
وأم كلثوم نقيّة الجيب الفتاة
زَوْجُـهُ الصُّـغْـرَى فتاة المجد والفخر العتيد

(١) غُـلْـوَتُـها: شِـدَّتُـها.

بنت أبي السبطين[1] والجَدّ النبي المصطفى
زين الوجود
أشرف من مشى على هذا الأديم
ما باله
لما رآها ورأى من تحتها حصيرة
زاهية كأنها فَـرْوٌ كريم
ما باله لم يتريث
أنْ دنا منها بوجه يـتلظى غضبا
ثمة أهوى بـيديه ممسكا
بطرفي حصيرها الصغير
ثم رَمى بها من فوقه
كأنها قلامة تحت الحصير
ثم علا هامتها الشما به
بضربة فيها النكير
وقال أنّى لك ذا
قالت أبو ذر الصحابي الكبير
أهداه لي
وإنني لَمَنْ عَلِمْتَ عفة ومحتدا وشرفا
وهو بمثلها شهير
فأخذ الحصير واستدعى أبا ذر وقال
يا هذا أما يخجلك الإهداء للنساء
وهي في الخدور
ثم علاه دِرَّةً وقال كالنذير

(١) أبو السبطين: الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

إياك إياك أنْ تفعلها حتى النشور
ذاك أبو حفص اللبيب المستنير
دوافع الغيرة شيء لا يطاق
والفحل بالطبع غيور
ولم يُعِبْ ذاك أبو السبطين
وهو ملء الدهر والأيام في فخر وصيتٍ مستطير
يأخذ ما شاء من الدنيا ويقضي ما يشا
وهو قدير
لكن أقر فعلة الفاروق ذي الجاه الخطير
كما أقرته فتاته الطهور

المقطع السابع

وقصة على لسان الحيوان
هاكها فخذ بها العبرة والعبرة نور
يُرْوَى بأنَّ رجلا
كان له عَيْرٌ[1] وثور يعملان في الحقول
ذا يحرث الأرض
ويمتح الدلاء للريّ لسقيِ الأرض
والأرض وَصول
والعَيْر
يحمل المتاع والمحصول من هنا إلى هنا
وقد رأى متاعبا من ذلك الحمل كما يلقى الذلول
جاع الحمار مرة

(١) العَيْرُ: الحمارُ.

فقال للثور تمارض يا نبيل
لعلهم يعاملونك الجميل رحمة فتستريح
ودع طعامك الكثير
أكفيكه ولا نكير
واكْتُمْ حديثا بيننا ولا تَبُحْ
فالويلُ كل الويل للذي يبوحْ
ففعل الثور كما قال له زميله
وربما غشك في النصح النصيح
فسمع السيد ما قالاه
كُلَّه وكان يدري ما يقول الحيوان
لكنه يكتمه فلا يبيح
إذ أنه إذا أباح السر جهرا فليبادر للضريح
لذلكم خبَّأَها بنفسه
لكنه قال لغلمانٍ له
خلوا الحمار الشهم في الأعمال هذا اليوم
خلوه مكان الثور فالثور طريح
ففعلوا ما أمروا به
فكان عملا أنكأ للحمار من وقع الجروح
فعاد للثور يقول
يا أخي سمعتُ فيك ما يسوء خاطري
جدا فأخشى أن تكون ذيَّاك الذبيح
فقم وسارع لطعامك الشهي
وازْدَرِدْهُ[1] نَشِطًا فعل الصحيح

(١) ازْدَرَدَ الطعام: التهمه بسرعة.

وقَلِّبِ الأرض بقرنيك يميننا وشمالاً
وتعمق في الثُّؤاج[1] والرغاء
واستدع الغبوق والصبوح[2]
فضحك السيد لما سمع القول الصريح
من الحمار حين تاب توبة شبه نصوح

المقطع الثامن

ففطنت زوجته الحسناء ذات الغنج والدلال
ذات المحاسن التي تبهر أرباب العقول الباهرات
والجلال
ذات العيون الحور والطرف الكحيل
والصوت الرخيم
ذات الشفاه الحمر والخد الأسيل والجمال
فسألته ما الذي أضحكه وأحرجته في السؤال
يا ويحه كم حاول الخلاص من إخبارها
بحيلة وألف حيلة فلم يُجْدِ احْتيال
ثمَّتَ[3] قال إنْ أنا كشفتُ هذا السر أقضي
دونما شك ففيم الإنفعال
وصبيتي كما ترين صبية ليس لهم عني غنى
أهكذا حبك يا حسناء قال
فصرخت في وجهه

(١) الثُّؤاجُ: صوتُ صياح الحيوان. وكذلك الرغاء.
(٢) الغبوق طعام العشي وخلافه الصبوح الذي يؤخذ في الصباح.
(٣) ثَمَّتَ: هناكَ، عند تلك اللحظة.

مُتْ إنْ تشا أو فاحْيَ إغضائي عن الفصح
محال
قال لها أُوصي وأقضي ما عليَّ من ديونْ
ثم أوافيك لتوديع العيال
فحزن الحمار والثور
لما عسى يرى السيد من شر نكال
وهل تُرى وَارِثُـهُ يرعاهما
كرعيه ذاك بعيد الإحتمال

المقطع التاسع

وصفق الديك على رأس جدار طربا
وردد الصداح بين غيده ثمَّتَ قال
لي أربعون امرأة وسعتهن أدبا
فلا يطيقنّ
خلافي واعتراضي قط في شيءٍ بحال
وربما يهربن من خوفي
فأعدو خلفهن نشطا
محكما في الرأس منقارا كرمح أو نصال
فيتضاءلن أمامي راضيات أبدا
رشق النبال
وسيدي له فقط امرأة واحدة
تحكمت في شأنه الخاص إلى حد الفناء
ويْحِيْ عليه إنه فَدْمٌ[1] جبان

(١) فَدْمٌ: أحمَق.

أهكذا شأن الرجال
وأينهُ من "عَـلّقِ السوط"[1]
بحيثما أهلك قد تراه
جاء في مقال
يا فرحة السيد إذ أيقظه الديك
لأمر فيه بال
وقال هذي خطوة
فيها نجاتي من هلاك واحتكام لا يقال

المقطع العاشر

وقال للزوجة
يا ترين
مصرة وَيْكِ[2] على طلبتك التي
أنت بَنَيْتِها على عش الوبال
ترين
أم أقلعتِ عنها والإرادات سجال
قالت له
عجِّلْ ليَ المطلوبَ لا تكثر جدال
قال إلى الحجرة حيث الناس لا يدرون
ما ثم يقال

(١) جزء من حديث مروي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه أدبٌ لهم".

(٢) وَيْـكِ، وَيْـكَ: كلمة مركبة من «وَيْ» و «كاف» المخاطبة، وهي كلمة تعجب، تأتي بمعنى: عجبا لك، وتأتي بمعنى: ألم ترَ. يُقال وَيْكَ، ووَيْ لفلان. وقد تدخل وَيْ على كأن فتصير: وَيْكأن. قال الخليل هي مفصولة تقول وَيْ ثم تبتدئ فتقول كأن. وقال الكسائي هو وَيْكَ أُدخل عليه أن ومعناه ألم تر.

فدخلا وقد أعدّ السوط
للتأديب، لا لإهانة يرومها بها
كلا ولا قصد نكال
وأغلق الأبواب كلها
وهي في غرفتها تنتظر السر المصون المُخْتَبَا
تحت الرمال
تحسبه ورد خدود أو لَمَى[1]
أو دُمى[2] راقصة في وَشْيِها بين الحجال
لكنه جاء بلون آخر
اللّٰه
يا لدهشتي
مالي أرى السر من الصوت انهيال
مالي أرى الأخلاق قد تنكرت أهكذا شان الرجال
ثمَّة قالت والدموع لؤلؤا في خدها
كالوبل[3] يهميه مع الفجر السحاب
رفقا حبيبي فالهوى جربته
ولم أجده قبل يومي شائكا
إنَّ ذا شيءٌ عُجَاب
ونَشَجَتْ[4] ثم تَلَوَّتْ مرة ومرة أخرى
وصوتها تنفح عنه نبراتٌ من عتاب

(١) اللَّمَى: سُمْرَة في الشفة تُسْتَحْسن.
(٢) الدُّمَى: النساءُ المتصفات بالجمال. الدُّمَى مفردُها دمية وهي تمثال صغير يُضْرَبُ به المثل في الحسن، فيقال: نساءٌ كالدُّمَى.
(٣) الوَبْلُ: سالَ دمعُها غزيرا. من وَبَلَتِ السماءُ: اشْتَدَّ مَطَرُها.
(٤) نَشَجَتْ: نَشَجَ الباكي غَصَّ بالبكاء من غير انتحاب.

فضمَّها وقال ما أحلى العتاب
إنْ يكن إثر دموع رَقْرَقَـتْـها
أعْـيُـنٌ كَـسَّـرَ من أجفانها تراجُع الحبيب
بعد جفاء في الحديث مستطاب
كالوردة الحمراء
لولا شوكها القاسي لما لَـذَّ جناها
ولما عزَّت أزاهير رباها في الخطاب
وضمها أخرى لتقويض جفاء مارد
أيقظه السوط متى مسَّ الإهاب
ثمَّـة أرخى الستر
ستر اللطف كي يمسح ما ران على الذهن المُصَفَّى
والتعاويذ غلاب

المقطع الحادي عشر
وخرجا زوجين كل منهما
يعرف ما لِحِبِّهِ من الحقوق
ويخاف الاغتصاب
خشونة شِـيْـبَتْ بماء اللطف
لو أبْـصَـرْتَـهَا تجسدت فيه
ولو أبْـصَـرْتَـهُ فيها كطل الورد
في الأشواك ذاب
أبْصَـرْتَ سرَّ الله في التكوين
والجنسان كلٌّ منهما مُكَـمِّـلُ الثاني

ولكن باختلاف النـزعتين
واختلاف النـزعتين هو سِـرُّ الائتلاف
بين سيف ونقاب

المقطع الثاني عشر

وهذه أُقصوصة بطلها الديك
ومن ناموسها الحسناء
وفي إطارها موعظة وعبرة لا قسوة
على برودات الرضاب
وهكذا فَـلْـيَـكُ مثل عمر
كل أخي حسـناء كالدر المذاب
في درعه الشدة واللين
وفي بسمته الرقة باللطف تشاب
وفي يديه نِـعَـمٌ بِـيْضٌ
وفي فضاء عينيه بريق كالحراب
وكعليٍّ ذي الفقار فليكن كل وليّ
أنه الفحل الذي يرعى حقوق الله والصهر
كما يرعى الصحاب
أصدق مَنْ فَدَى بغالي دمه نَبِيَّهُ
ومَنْ قضى بشرعه عدلا ومَنْ عفَّـرَ وجهه التراب
وكفتاته الحَصَان فلتكنْ
كل فتاة ذات زوج أريحيّ
وكيف لا وأمها فاطمة الزهراء أفضل الكعاب

وجدها الهادي أبو القاسم
خير الرسل خير العالمين
طاهر الجناب
والدها حيدرة باب مدينة العلوم
سلاسل مِنْ شَرَفٍ
تحدّرت عن شرف فشرف بين القباب

المقطع الثالث عشر

إني أهيب ببني الدين الحنيف
كلهم كما أهيب ببناته الحسان
أنْ يقلدوا أولاء في سلوكهم
فإن في تقليدهم رضا الإله
ودوام العز والخير الكثير والفخر العتيد
والجلال والكمال والثواب
أولئكم رأيهم الإجماع أصلٌ ثالثٌ[1]
شاب الزمان حوله وهو شباب
دعني رجعيا ورأيي رأيهم وسُنَة المختار هديي والكتاب
ولا تقل تقدميا يدي من هديهم صفر
كما اصفرّ الوطاب[2]

(١) إجماعُ صحابة النبي على رأي واحد في مسألة من مسائل الدين معدود مصدرا من مصادر التشريع الثلاثة في الشريعة الإسلامية.

(٢) الوطاب: سقاء اللبن وهو إهاب كانوا في القديم يمخضون فيه اللبن ويحفظونه فيه فإذا خلا قالوا: اصْفَرَّ الوطاب. وبقاؤه خليا من اللبن يؤدي إلى ميلان لونه للصفرة بسبب الجفاف. ثم استعملت الصيغة لوصف من خلت نفسه مما هو قَيِّمٌ من المعاني كالهدى والعلم والخلق. كما هو مقصود أمير البيان هنا.

وحسبي الختم بهدي المصطفى وهديهم
مسكا سرى ينفح عنه بالصلاة والسلام طاب
لسيد الرسل وآله الصيد
ومن أخلص في النصح له مِنَ الصِّحاب

* * * * *

(٤) لقيط والخُيلاء[١]

في الحيّ بين قومِهِ
بين حسان الفتيات
بين المروج الخضر والسفوح والجِمَامِ الزُّرْقِ[٢]
والتلال
بين الجياد والسيوف والرماح
بين مضارب الضيوف
بين الهواء الطلق والنسيم والظلال
بين أغاريد الرعاء وهم على الجبال
بين العلاء والمعالي والعوالي والنبال
حيث أبوه سيد القوم الكريم
يحتبي[٣] حبوته كأنه البدر المنير في الرجال

(١) هذه القصيدة نظم لقصة تزوج لقيط بن زرارة بن عدس (ويقال لقيط بن حاجب بن زرارة) ومؤداها أن زرارة نظر إلى ابنه لقيط فرآه يختال في مشيته فقال له ناقدا خيلاءه: كأنك جئتني بابنة ذي الجدَّين، أو مئة من هجائن النعمان. فقال لقيط: والله لا يَمَسّ رأسي دهن حتى آتيك بهما أو أبلى بعذر. فانطلق إلى ذي الجدَّين وهو قيس بن مسعود الشيباني فوجده جالسا في نادي قومه فخطب إليه ابنته علانية، فقال له: هلاَّ ناجيتني؟ قال: علمتُ إنني إنْ ناجيتك لم أخدعُك، وإن عالنتك لم أفضحك. قال ذو الجدَّين من أنت؟ قال لقيط بن زرارة. قال لا جرم، لا تبيتنَّ فينا عزبا ولا محروما، فَـزَوَّجَـه وساق عنه المهر وبنى بها من ليلته تلك ثم خرج إلى النعمان فجاء بمئتين من هجائنه وأقبل إلى أبيه وقد وفى نذره. وللقصة تفاصيل أخرى تتضمن نصائح الأب لابنته تجاه زوجها. أنظرها في كتاب العقد الفريد، تأليف شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، تقديم الأستاذ خليل شرف الدين، منشورات دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٩م، الجزء السادس، ص ٦٦ وما بعدها.

(٢) الجِمَامُ الزُّرْق: غُدْران المياه.

(٣) يحْتَبي: من الاحتباء وهو أن يجلس المرء على إليتيه ضاما فخذيه وساقيه إلى بطنه بذراعيه. والمقصود مكانةَ زُرَارَة بين قومه.

أقبلَ أيْ لقيط في الأتراب يمشي مشية المختال[١]
وأعين القوم إليه تترامى
وهو في سكرته ومعمعان الفخر
يهوى راكعاً يلثم في أقدامه السمر الجلال
أنكر تلك الخيلاء[٢] قومه أنكرها أبوه
إنكار الكريم إذْ تُنَافي الإعتدال
قال له أبوه في تَنَكُّرٍ شديد
في لهجة الشهم الحديد[٣]
في سورة من غضب القَرْم[٤] المجيد
لقيط هل أنت رشيد؟
هل جئتنا بمائتين من هجائن النعمان[٥]
أم اقترنت بكريمة الجدَّين
إبنة مسعود الكريم ابن الكرام
سيد شيبان أخي الفخر العتيد
بُنَيْ إنَّ الخيلاء لفتى ليس بذي رأى سديد
للعيي للبليد
أما الكريم ابن الكرام
وحصيف الرأي لا يُرَى قطُّ فخوراً كالعبيد
والناس لا يرون بالإعجاب والإكبار مختالاً يميد

(١) مشية المختال: مشية المتباهي كِبْراً بنفسه .
(٢) الخُيَلاءُ: التَّكَبُّرُ والعُجْبُ.
(٣) الحديد: الصارم.
(٤) القَرْمُ من الرجال: السيد المعظم.
(٥) النعمان: هو الملك النعمان بن المنذر اللخمي ملك العراق قبل الإسلام.

بل أنهم يرونه محتقراً بينهم مثل الطريد
بين النفايات كمنبوذ زهيد
بُـنَـيْ عش تواضعاً معتدل المشية والقعدة
كالصقر إذا انقض على صيدٍ بعيد
معتدل الأقوال والأفعال في حزم شديد

أسرها لقيط في فؤاده وقال
والله لن يَمَسَّ رأسي الدهن أو أُبلى على عذر مفيد
وراح يذرع الفضاء صامداً
مثل السحاب الجون في عرض السماء
ينشره الصبح ويطويه ظلام الليل في الأفق
البعيد
على رداء من هواء
كأنه فوق ذلولٍ أعْيَسٍ[1] يجاذب الزمام
تخاله ينقض كالنجم على الأفق
هوى وراء شيطانٍ مريد

ويا لحسن صدفة عَـنَّـتْ[2] له بلا عناء
ساقت إليه الأمنيات سُـبَّـعاً[3]
كأنها في سيرها وسرها سَيْب السماء[4]

(١) الأعْيَسُ مِنَ الإبل: الذي يخالطُ بياضَه شُـقْـرَة.
(٢) عَـنَّـتْ: ظهرت.
(٣) سُـبَّـعاً: من سَبَعَ السَّبْعَ رمَاه. أي أن أمنياته في تحققها كانت أشبه بقنص سَبُـع.
(٤) سَـيْـبُ السماء: مَطَـرُها.

إذ جاء ذا الجدَّين في منعته
سيد شيبان وقمة العلاء
وكان ذو الجدَّين في محفله
بين وجوه قومه محتبياً بالعزة القعسا
وسؤدد السخاء

قال لقيط
إيه يا عم أتيت خاطبا إليكْ
يحدوني إلى القصد رجاء
قال ألا ناجيتني
فالسر والكتمان أرجى للصفاء
قال إذا عَالَنْتُ لم أفْضَحَكْ في حال
وإنْ ناجيتُ لم أخْدَعَكْ واللّه عليمٌ بالوفاء
نجابة به يشهدها الكل ويصبو نحوها كل إباء

من أنت يا بُنَيَّ قلْ لي
فلقد شَفَّتْ ليَ الأخلاق عن عيصٍ كريم
الإنتماء
قال أنا ابْنُ حاجبٍ فتى زُرَارَة
أنا لقيطُ من كرام لكرام كبراء

أهلاً بُنَيَّ يا فتى المجد وسادات تميم
واللّه لن تبيت فينا عزبا
دونك ابنتي فاغتبط

بمجدها الشامخ ما بين القروم
وسأسوق المهر من مالي لها
ولي في ذلك الفخر العظيم

وزفت الخود إلى قرينها الفحل
كأنها البدر على الأفق انْجَلَتْ عنه الغيوم
يرتعد الحسن على أشقره حين يراها
فتراه وهو يهوي راكعاً
يلثم من أقادمها مَرَّ النسيم[1]
ويقف الجمال في محرابها مستمتعاً
تبهره تلك الأساريرِ[2] وتستهويه ألحان النديم
فينثني يوزع البهجة والأنس على عشاقه
وينطوي خلف الدُّمَى[3] وهو لها خير خديم
يا للقيط عندما قد ولج القبة حمراء الأديم
ومنية الدهر على راحته
تلحن العزة في الغنج على وقع رخيم
بَنَى عليها وقضى ليالي العرس نعيما في نعيم
غصنان أعْلاَ دوحتي مجد سما
شدتهما آصرةُ الحب على فخر جسيم
ثَمَّتَ قال لأبيها إنَّ لي قصداً كأنْ نيط بعلياء
النجوم

(١) أقادمها: ما واجهه من مُحيَّاها. مَـرُّ النسيم: هبوبه.
(٢) الأساريرُ: الملامح.
(٣) الدُّمَى مفردُها دُمْـيَة وهي المرأة الحسناء.

أُزْجي قَـلوصي[١] يـتبارين به مثل القطا
وذمام الليل يحدوني إلى النعمان[٢] والقصد عظيم
وغادر الخباء والشوق شريط أحمر
يـتلوى بحنايا قلبه مثل الجحيم
واتجه النعمان[٣]
يحدوه الرجا وحلة العزة عنوان الكريم
هشَّ له النعمان إذ أبصره وصبغة الفخر
على جبينه الناصع أمثال الرقوم[٤]

فقال من أنت
فما أجدر أن أعرف من أنت
رعاك الفخر والسؤدد[٥] العليا وناءتك الهموم

قال أنا ابن حاجب
أنا لقيط

قال ما أكرم
إنَّ القرم لا ينجبه غير القروم

(١) أُزْجي: أُطْلِقُ. قَلوصي: ناقتي. وهي الفتية من الإبل المجتمعة الخلق.
(٢) الملك النعمان بن المنذر اللخمي.
(٣) "واتجه النعمان": أي جعله وُجْهَتَه.
(٤) الرقوم: مفردها رَقْم، وهو الخط البارز الغليظ، خاتم الشيء، علامته،.
(٥) السُّـؤْدَدُ: السيادة، العز، الشرف، المجد.

إليك خذها مائتين ناقه
هَجَـائِـنًا تأخذ أبصار الحليم

وعاد قافلاً إلى أبيه
ومن الفخر على مفرقه[1] تاجٌ من الدُّر النظيم
للّٰه ذو الجدَّين في آرائه
والكرم العريق والقلب الشجاع
إذْ قال لابنه بسطام[2] رَحِّلِ القِلاَص
واحمل أختك الحَصَان[3]
إلى قرينها الشهم المطاع
وقام يوصي ابنته تلك التي تربعت
من قمم العزة علياء القلاع
وهو يقول: بُنَيَّتِي
لقد تزوجتِ سَرِيَّ[4] قومه فبالغي
ما اسْطَعْتِ في إحسانه
كوني له الأرض يكن لك السماء واللفاع[5]
بُنَيّتِيْ نكحت في أبَاعِدٍ
وستلدينَ إنْ ولدْتِ بينهم أعداءنا ولا نزاع
وزوجك الفارس لا يقعده

(١) المِفْرَقُ: مُقَدَّمُ الرأس.
(٢) بسطام اسم ملك من ملوك الفرس، وقد سمَّى به بعض العرب أبناءهم.
(٣) الحَصَانُ: المرأة المتزوجة.
(٤) السَّرِيُّ: الشريف.
(٥) اللفاعُ: ما يُجَلَّلُ به الجسد كلُّه من كساء وغيره.

عن سورة الحرب الضروس جَزَعٌ ولا ارتياع
لكنه الفحل القريع كلما أضْبَعَتِ الحرب[1]
هَفَا إلى القراع[2]
وربما يُصْـرَعُ في آذِيِّها والشرر الجاحم[3]
والحرب صراع
فلا تشقي الجيب من حزن ولا تحلقي
الشعر ولو أنهكك الحزن له والإلتياع

عاشت لدى قرينها في دعة
وعزة قعساء ما فيها اتضاع
يلتهم الحب نكايات الأذى
بينهما مثل التهام النار بالي الرقاع
وينثني مغامراً يبحرُ بالزوجين في آذِيِّه
وقارب النجاة مفتوح الشراع
وغبطة السعد تلم في الهوى شملهما
لو أنها دامت لما كان انصداع
لكنها قط لا تدوم
إذ خطفتْ رأسَ لقيطٍ حرْبةٌ
حددت الحرب شباها
فأصيب العش من جرائها بالانصداع
فانفصمت بذلكم أواصر الوصل التي

(١) أضْبَعَتِ الحرْبُ: اشتد القتال فيها.
(٢) هَفَا: تَاقَ، تَطَلَّعَ. القِرَاع: المضاربة بالسلاح بين المتقاتلين في الحرب.
(٣) الآذِيُّ: الموج. الجاحمُ: الجمرُ الشديدُ الاشتعال.

شُدَّتْ بأمْرَاسٍ[1] على عالي القلاع
ولم تكد تبقى علاقات فلا إبْنٌ ولا قَـرَابَـه
ولا يجمع الحيين صلح أو دفاع

هنالكم تلك الحَصَانُ جعلتْ
وصية الشيخ كما شاء الذمام
فركِـبَـتْ ركابها عائدة لقومها
والحال حزن وكِلاَمْ[2]
وقبل إن تغادر الحي ثَنَتْ زمامها
وهي تقول:
يا بني دارم[3] يا خير الرجال
اللّٰه في غرائب النساء بينكم
إنَّ لقيطا كان خيرة الكرام
وواصلت مسيرها حتى أتت حي أبيها في سلام
وزُوِّجَـتْ في قومها بابن عمها القريب
لكـنها ما نَسِيَتْ قطُّ لقيطاً ذلك الفحل الهمام
بل لم تـزل تذكره وتضمر الحب له والاحـترام
ولا تسل ثمَّتَ حال زوجها
يا غيرة الفحل على ذات اللثام
وذات يوم قال في تَـغَيُّظٍ وحَنَـقٍ
ماذا الذي أبقى لقيطُ لكِ من ذكرى الغرام

(١) الأمْـراسُ: الحبال.
(٢) كِـلام: جروح.
(٣) إشارة إلى نسب قوم لقيط فهم تميميون من بني دارم.

قالت له اصْطَـادَ غزالاً مرة
وجاءني والدم في قميصه
وعندها قبلني وضمني
قُـبْـلَـةَ مشتاق وضمَّ مُسْـتَـهَامْ
فليتني متُّ غَـدَاتَـئِـذْ
تحت جناحيه ولم يطل بيَ المقام
فانتهز الفرصة كي يعملها
يا ويح ذلك المسكين إذ سنح الصيد له
فسدَّدَ الرمية عن قوسٍ وحدَّدَ السهام
ولطخ القميص بالدما وجاءها بقبلة وضمة
قالت له ماء ومرعى لا كصَـدَى ذا
ولا ذلك كالسعدان[1]
فافتح غطاء القلب عن أسراره
إذا استطعت أو فدعه يا غلام

وهاكها قصةَ فخرٍ وهوى
تلعب بالعقل كما قد تلعب الصَّهْبا[2]
بأعطاف الرجال
فارفع ذراعيك وضمها إلى الصدر
وعانقها إلى السحر الحلال

(١) هذا الشطر من الحكم العربية وأصله: "ماءٌ ولا كَصُـدَى، ومَرْعَى ولا كالسعدان". يقال للشيء الذي فيه فضل وغيره أفضل منه. صُـدَى: اسم موضع ماء. السَّعْدَانُ: نبات بَـرِّيٌّ من أفضل ما ترعاه الإبل.
(٢) الصَّهْبَاء: الخمر.

ولُفَّـهَا في ورق الحب فما أحلى
وما أنضر أوراق الجمال
وفض خـتم المسك عن رقائق
ينشرها الحسن ويطويها الدلال

* * * * *

تم بحمد الله تبارك وتعالى
ديوان على ركاب الجمهور

المجال الثاني
قصائد قصصية

منقولة إلى هذا الديوان من ديوان
وحي العبقرية ومن ديوان فارس الضاد

(١) الملك ووزيراه[١]

الملك يحدث نفسه

يا حمام الغصون أنت تنوحُ ... وعيوني تهمي وقلبي جريحُ
وغرامي شرائحٌ من قلوبٍ ... أثخنتها اللحاظ فهي جروحُ
وحياتي مضاربٌ من خيالٍ ... هام فيه الهوى وعام الطموحُ
وكأني والماء ينساب حولي ... مَرِحٌ لا يؤوده التطويح
وأديم الصحراء يحتضن الدفء ... أمامي وكله ترويح
وأنا فيه أرصد الظَّبْيَ حرا ... وأُدَاجي الورقاء وهي تنوح[٢]
وأضم النسيم بين ذراعيَّ ... فأخفي شوقي وحينا أبوح

الملك يحدث وزيريه

يا وزيريَّ للمرام النبيل ... خلياني مع النسيم العليل
أتَغَنَّى مع الخيال بكورا ... وأحاكي أنَّاته في الأصيل
وأناغي الطيور فوق غصون الْـ ... ـضَال[٣] ما بين شَدْوِها والهديل
وأُوَارِي[٤] قوارع الدهر عني ... تحت كوم الزهور خلف الحقول
يا وزيري الكبير حسبيك للجُلْـ ... ـلَى بِمُلْكِي فأنت غير دخيل[٥]
يا وزيري الصغير خاصة ملكي ... وشؤوني فأنت خير كفيل
أخلفاني حتى أعود وكونا ... يا وزيريَّ عند ظني الجميل

---

(١) هذه القصيدة وقصيدة هند والكاهن (٢)، وقصيدة أخت الزليخا (٣)، وقصيدة الغار الرهيب (٤) منقولة من ديوان فارس الضاد.

(٢) الورْقاءُ: الحمامة.

(٣) الضَّالُ: شجرُ السدر.

(٤) أُوَارِيْ: أُخْفِيْ.

(٥) الجُلَّى: الأمر الشديد.

الوزير الكبير يستأذن الملك في السفر لبعض شؤنه

سيدي قد مضى عليَّ زمان ... ساوَرَتْنِي بضيقها الجدران
حركاتيْ مَثْنَى وثالوث دهري ... يتهاوى كأنه العقبان
وركابي بِعُقْلِهَا تَتَنَزَّى[1] ... كجريح أضاعه الإخوان
والليالي ترسو بساحل صبري ... سفنا لا يطيقها الإدمان
فتدارك مولاي ليل جمودي ... بضياء له التسامح شان
فلعلي أغيب في بعض شأني ... نزهة حلوة ولا إمعان
ومتى عدتم فسوف تروني ... في مكاني لا عاقني الإمكان

الوزير الصغير يبدي استعداده لنيابة زميله

سيدي إنَّ حقكم لمتين ... وأنا بالوفا لكم لقمين[2]
أوْثَقَتْنِيْ أفضالكم وسجايا ... كُمْ فحُبِّي مُوْفٍ وقلبي مدين
أترونِي أطيق رد جميل ... لكم إن أطِقْ فحظي متين
وزميلي هذا له الحق عندي ... وأداء الحقوق نعم الدين
فسأكفيه ما هنا دون بخس ... ليت شعري وإنني لأمين
فليروِّح عن نفسه وليغادر ... حيث يهوى رعى مداه المتين
وليعد سالما إلينا ولكن ... قبل أن يرجع المليك المكين

الملك يوافق وزيره الكبير ويبارك قصده

يا وزيري الكبير بوركت قصدا ... ولُقِّيْتَ المرام سعيا وسعدا
وَقَرَتْكَ الأنواءُ سيبا مريئا ... يتوالى برا وينساب رفدا[3]

---

(١) تَتَنَزَّى: تُسْرِعْ.

(٢) قَمِيْنُ: جديرٌ بالشيء.

(٣) وَقَرَتْكَ: أكْرَمَتْكَ. الأنْوَاءُ: مفردُها نَوْء وهو العطاء.

سر معافى وعد إلينا معافى ... من عوادي الأيام لينا وشدا
ولك الله حافظا أينما كنـ ... ـت بهذا الفضاء قربا وبعدا
بادر السير كي تعود إلينا ... مسرعا تحفظ المسيرة عهدا
يا وزيري الصغير بوركت رأيا ... ووفاء فأنت أصدق ودا
عَرَفَتْكَ الأيامُ أنك كفءٌ ... فاستدارت إليك تسحب بردا

الوزير الكبير يحدث نفسه

فرصة ما رأيتها في حياتي ... ونعيم من فضل ربي آت
سوف أغدو مبكرا ليس عندي ... غير مُهْري وصارمي وقناتي

ويحدث الخادم

أيها الخادم الوفيُّ أنلني ... ظهر مهري وهات حَدَّ شَباتي[1]
هات زادي هات الحقائب والنقـ ... ـد وأقلام مكتبي ودواتي

والسيدة زوج الوزير تناقشه

نَبَأٌ ما سمعتُ ناقض عادا ... تلك فيما مضى من الأوقات
أين تبغي وأين تذهب قل لي ... يا ابن ودي وُقِيْتَ شرَّ الشتات

الوزير يتهرب من جواب زوجته

سوف تدرين بعدُ عن كل شيء ... يا جمال الكواعب الغانيات

الوزير يتعجب من خيمة يراها في وسط الصحراء

عجبا ما أرى على الصحراء ... بين آلٍ[2] يدنو وآخر ناء

(١) المقصود بحد شباتي: سيفي.
(٢) الآلُ: السراب.

خيمة كالخيال تبدو لعيني بين هذي الظلال حول الماء
بين طير يشدو وريم نفور وغزال ذي مقلة حوراء

الوزير مع الشيخ التاجر صاحب الخيمة في الحوار الآتي

أيها الشيخ قاعدا وسط الخيـ ـمة فردا في هذه الصحراء
أين منك العيال والأهل والجا ر وفيم القعود في ذا الفضاء

الشيخ

أنا شيخ ولي تجارة مثلي فادْنُ مني لمتجر الحكماء

الوزير

أي شيء تبيع قل لي فإني لا أرى قط ما يراه الرائي

الشيخ

أنا في متجري أبيع كلاما جملا أحكمت به إحكاما
جملا حشوها سلامة عُقْبَا كَ وإنْ أنت لم تُعِرْها اهتماما
قيمة الجملة الفريدة ألف من نقود البلاد فابتع كلاما

الوزير

أتراني إذا اشتريت يقول النـ ـاس عني جن الوزير تماما
غير أني سأشتري وليقولوا ما يشاءون مدحة أو ذاما[1]
هاك ألفا وهات جملتك الأو لى لعلي أحيا بها مستهاما

(١) الذَّامُ: العيب، المذمَّة.

الشيخ

"احفظ السِرَّ إنْ تَـرَ الشرَّ واكتـم" رُبَّ سـرٍّ فشـا فكـان حِمـاما[1]

الوزير

هـات أخـــرى وخـذ كذلك ألفا دمــت للحكمـة الفـريـدة إلفا

الشيخ

"استجب للدعاء إن يك خيرا" وابْـتَـدِرْهُ إنْ مُثقلا أو مُخِفًّا

الوزير

قط لم يـبق غير ألف بجيبـي هـات أخـرى وخـذه بالعد ألفا
ثـم دعـنـي أعـود بيتيَ صفرا عَـوْدَ كلبٍ رأى جـراداً فَخَـفًّا

الشيخ

"الزم الصدق لو هلكت عليه إنما الصـدق بالسلامـة أحْـفَى"

الوزير

يا جـوادي هيا إلـى الـدار سعيا أو لـم يكف أننـي عُـدْتُ خِفًّا
ليس بالجيب والحقيبة إلا مُطْـرَفًا[2] عن حقيقة الوهم شَـفًّا

السيدة تتعجب من عودة الوزير

ما لذا الشيء عاد يهوي سريعا أَنَـفَـتْـهُ صحـراؤه أم رِيْـعَا
لـم يـبارحْ منْ شَـبَّ كَسْرَ فـناه[3] قابعا فيه كالحصـير قبوعا

(١) الحِمَامُ: الموت.
(٢) المُطْـرَفُ: رداءٌ من خَـزٍّ وهو الحرير.
(٣) فَـنَـاه: الفناء ساحةُ الدار. كَسْـرُها: ناحيتها.

السيدة تعاتب زوجها الوزير

يا ابنَ وُدِّي سواك يذرع هذا الأ ... فـق للجاه والهبات جموعا
أفلا تجتوي الدؤوب[1] على الأعـ ... ـمال دوما ولا تمل الربوعا
قلتَ بالأمس أنْ ستغدو إلى النز ... هة حينا فعدتَ تعدو سريعا
وأضعتَ النقود في غير شيء ... فأضعت الحجا بها تضييعا
يا لَحَظِّي كحظ صاحبة الشا ... عر عَدْوًا خلف الخيال وجوعا

الوزير يجيب أهله

يا جمال الحسان ماذا دهاك ... فَتَوَهَّمْتِ أننا أسراك
فتحاملت بالملام علينا ... ما ملام الحسان غير تباك
فدعينا وما نعاني وجوزي ... عَدْوَةَ الواد واستبيني خطاك

السيدة

جانب الدرب واخبط الشوك عمدا ... ثم قل لي تَبَيَّنِيْ مسراك
لتغطي أخطاءك السود عني ... وتواري دسيسة الإرتباك

الوزير

أنا بالله يا أُمَيْمُ[2] وثوق ... فدعيني من نظرة الشكاك

رسول الملك يدعو الوزير الكبير

عاد مولاي سيدي فهلما ... دمت ركنا أسمى وطودا أشما

---

(١) أَفَلاَ تَجْتَوِيْ: أفلا تَمَلّ. الدُّؤُوْبُ: الاعتياد، المُدَاوَمَة على الشيء.

(٢) أُمَيْمُ: تصغير أمَة. والأمَةُ المرأة المملوكة. واللفظة هنا في مقام التحبب للزوجة.

الوزير يبادر نحو الملك

خـــبـرا مـا سـررتـنـي بتلقيه فـهـيـا إلـيـه نـلـقـاه غـنـمـا

الملك يرحب بالوزير ويأمره بدخول القصر

مرحبا بالوزير قد عدت قبلي هكذا هكذا الوفا فَنِعِمَّا
ادخل القصر وائتني بدواتي وتـعـجـل نـخـط شيـئـا مهما

الوزير يلبي

طاعة سيدي وإنْ كنتُ لا أعـ ـلمُ أين الدَّوَاة توضع قِدْمَا[1]

الوزير مع القصر

إيـه يـا قصر أيـن محبرة المـلـ ـك وأيـن الأقـلام إنـيَ أعمى
ويـك حـيـرتـنـي لتـثـأر مني أم لـتـبـدي سـرا عـلـيَّ مُعَمَّى

الوزير يرى زوجة الملك والوزير الصغير في حال سيئة

أخسئي يا حياة إنْ كنت أهلا لـفـسـاد يـشـف لـلـنـاس فضلا
زوجة الملك والوزير الخصوصي بحال سوداء شوهاء تُقْلَى[2]
نَـدِيَ القبح فاستحال تماسا كـهـرب الـوصـل لـلـعـنـاق فـذلا
أتـرانـي أقـول عـمـا أراه لا فـبـالألف قـد شريت بـأنْ لا

الوزير الكبير يعود بالدواة كاتما ما رآه

سـيـدي دونـك الـدواة فخذها بـارك الله فـي حـيـاتـك فحلا

(١) الدَّوَاةُ: المِحْبَرَة. قِدْمَا: أي ليس لي عهدٌ بالموضع الذي تضعها فيه.
(٢) تُقْلَى: تُكْرَهُ، تُبْغَضُ، تُجْفَى.

الملك

يا وزيري هلمَّ جَنْبِيَ تقضي ... واجبات باتت على النفس كلاَّ[1]

حرم الملك تَسْتَرْئي[2] الوزير الصغير وتُبَيِّتُ المكيدة للوزير الكبير[3]

حركات كانت لنا والليالي ... قد رآنا الوزير والليل شد
أترى ذلك الوزير اللئيم الـ ... ـنتلقى طياتها وهي سعد
سيقص الذي رآه على الملـ ... ـفدم يرضى بقاءها وهي برد
لا وقاني الإله إن لم أكده ... كيد دهري فالكيد للغيد عبد

السيدة والكيد

مَزِّقي يا أظافري كل أثوا ... بي ويا جفن أرسل الدمع يحدو
واجهشي بالبكاء يا شُعَبَ الصَّدْ ... رِ فنعم السلاح للغيد جهد

الملك يرى السيدة ويتلطف بها

ربَّةَ الحسن يا أميرة قصري ... ما دهاك الغداة من أي أمر
أدموعٌ في الخد تجري وحزنٌ ... ونشيجٌ كأنه نَوْحُ قُمْرِي[4]

---

(١) كلاً: الكلالُ العناءُ، التعبُ، الإعياء.

(٢) اسْتَرْأى الشخص: سأله رأيه.

(٣) أشطر هذا المقطع تداخلت، فَحَلَّ بعضُها محلَّ غيرها. فالشطر الثاني من البيت الثاني محله في مكان الشطر الثاني من البيت الأول. والشطر الثاني من البيت الثالث محله في مكان الشطر الثاني من البيت الثاني. والشطر الأول من البيت الثالث لا يوجد له شطر ثانٍ يلائم سياقه. ومثله الشطر الثاني من البيت الأول حيث لا يوجد له شطر أول يلائم سياقه. والآن سأرتب الأبيات طبق التوضيح السابق:

حركات كانت لنا والليالي ... نَتَلَقَّى طيَّاتها وهي سعدُ
أَتُرَى ذلك الوزير اللئيم الْـ ... ـفَدْم يرضى بقاءها وهي بردُ
لا وقاني الإله إنْ لم أكِدْه ... كيد دهري فالكيد للغيد عبدُ

(٤) النَّشيجُ: بكاءٌ من غير انتحاب. القُمْري: طير الحَمام.

السيدة

بـادَرَتْـنِـي مـن الـوزيـر الـذي أر ... سـلـت نـحـوي بـــوادر ذات نكر
رام مني البِـغَـاء قـهـرا ولكنْـ ... ـنِـــيْ جـالـدتـه بـعـزم وصـبـر
مـا تـرانـي مُـمَـزَّقَـاتِ ثيابي ... وبجسْمِيْ الآثار من خدش ظفر
فـإذا لـم ينـلْ جـزاءَ تَـعَـدِّيْـ ... ـهِ فويلي مـن شـرِّه المستمر

الملك

اطمئني فسوف أنـزل بالبطـ ... ـش عليه عقوبة المُتَجَرِّي

الملك يأمر الخدام بما قرره من العقوبة

احـفـروا يـا عبيدنا التـنـورا ... احـفـروه وأوقـــدوه سـعـيـرا
واقـــذفـوا فـي لـظـاه أول آتٍ ... مـن لـدنـا يستفسر التقريرا

الملك يرسل الوزير الكبير للحتف

يا وزيري الكبير هيا إلى الخُـدْ ... دَامِ سَلْهُـمْ هـل نفَّذوا المأمورا

الوزير يذهب مطمئنا

يـا لرجلي تـداركـي الأمـر سعيا ... لو ترين المقام أمسى خطيرا

صاحب وليمة يعترض الوزير بدعوته

يا معالي الوزير بوركْتَ بـارِكْ ... دعوة أحضرت وصحبا حضورا

الوزير يحاول الإعتذار

أنـا أُرْسِـلْـتُ فـي مُـهِـمٍّ فدعني ... قـبـلُ أقضيه ثم آتـي أخـيـرا

صاحب الوليمة يُصِرُّ عليه

مـن كفيلي بـأن تـعـود قريبا ... ورفـاقـي ملـوا انـتـظاري كثيرا

الوزير يربح تجارته

أنا بالأمس قد شريت بمال ... "من يوافق وافقه" دون جدال
لا أراني إلا أوافق وليقـ ... ـض تعالى ما شاءه ذو الجلال

الوزير الصغير مع السيدة حرم الملك

انظري نحوه فقد سار سعيا ... نحو قصدٍ مُحَتَّم الآجال
أترين البريء يعلم ما قد ... خبَّأتْهُ له يَدُ الآصال
يتبع الشمس وهي تدلف للغر ... ب بخطو مبارك الإعتدال
سوف أمشي وراءه وأوافيـ ... ـك بخير الأنْبا على أيِّ حال

السيدة

سِرْ سريعا وعُدْ إليَّ سريعا ... فبحسبي تحقُّقُ الآمال

الوزير الصغير مع خدام التنور

هل تُرَاكُمْ نفَّذْتُمُ يا عبيد ... ما أُمِرْتُمْ به فأنتم جنود

الخدام

هذه ساعةٌ نُنَفِّذُ فيها ... ما أُمِرْنا به ولا تفنيد
فإلى المضجع المُعَدِّ لعليا ... ئك حيث السعير وهو شديد
فَتَبَسَّمْ له وعانِقْهُ شوقا ... وأرِحْنا فالإنتظار كؤود

الوزير

يا أحباء قد أُعِدَّتْ لغيري ... ليس لي هذه الشظايا السود
فدعوني أعود خلفي سليما ... ولكم عندي الرضا إذْ أعود
ولقد تعلمون عز مكاني ... عند مولاي والمقام شهيد

الخدام

لا تحاول وتطلب المستحيلا نحن لا نرحم الكلام الجميلا
قال من يأت أولا فاقذفوه ولأنت الآتي الذي عنه قيلا
يا تراه لو شاء حدد شخصا وإذَنْ لم يَسُغْ لنا أنْ نحولا
فَتَصَبَّرْ وليس غير ثوان أو تلاقيك في السعير قتيلا

السيدة

ما لخير الأحباب طال به المُكْـ ـثُ وغابتْ رؤاه عني طويلا
أتُرَاهُ كالقارضين فإنْ كا ن فقد أدرك المكيد السُّوْلا[1]
يا لعيني أغرقا السهل والحَزْ ن دموعا ولا تملا العويلا

الوزير الكبير يخاطب الخدام

ما فعلتم يا موقدي النيران أتراكم نفذتم بأمان[2]

الوزير الكبير يعود للملك

سيِّدي قد سألتهم فأفادوا أنهم نفذوا بدون توان

الملك يستفسر

من تراهم قد أحرقوا ويكَ قل لي إنني قد برمت مما أعاني

الوزير

قلتَ سَلْهُمْ هل نفذوا لم تَقُلْ لي وبمن نفذوا وحسبيَ شأني

الملك يستفسر الخدام

من تراكم أحرقتم خبروني فلقد غص بالشكوك جناني

(١) القارضُ: قَرَضَ في سيره عَدَلَ يَمْنَةً ويَسْرَة. السُّؤْلُ: الطلب.
(٢) هذا البيت مختل الوزن.

الخدام

قلتَ من يأت أولا والوزيرُ الْـ ـخاص ذاك الآتي مع الحَدَثَان

الملك مع نفسه

يا لنفسي تَبَيَّنِي الحال أمرا فكأن القضاء يحمل سرًّا
وسلي ذلك الوزير العمومي إذا كان ثم شيئا أسَرًّا
فكأني بنبأة توقظ القلْـ ـبَ لسوءٍ تحت الخفاء استقرا

الملك يستجلي الحقيقة من الوزير

يا وزيري الكبير ماذا وراء السـ ـتر إني أرى هنالك أمرا

الوزير مع نفسه

أأوافيه باليقين وهل يقبـ ـل مني أم يصبح الحق نكرا
غير أني اشتريت بالألف "لو أهـ ـلكك الصدق قله" وقّيت شرا
فأراني أقوله لا أبالي وليكن ما يكون نفعا وضرا

الوزير يصرح للملك

سيدي قد خرجت بعدك سعيا نزهة واصطياد ما عَنَّ رمْيا
فإذا بالقضاء يجلو أمامي خيمة في الفضا وما ثمَّ أحيا
ما بها غير قاعد بفناها قلت من أنت قال تاجرُ أشْيا
قلت ماذا تبيع قال كلاما هات ألفا وخذه مني ريا
جملة منه قط بالألف عدا هاك خذها وخذ بها الدهر تحْيا
وألوف ثلاثة كن في جيـ ـبي فابتعتها ثلاثا لأحيا
"اكتم السر لا تذعه" و "وافق داعي الخير" و "اصدق القول" حيا

الوزير يتابع

قلتُ علِّيْ بها أشم السلاما ... أرَجًا كالصَّبا رَعَتْها الخُزامى
فَتَذَكَّرْ غداةَ قلتَ ادْخُلِ القصْـ ... ـرَ وقد هُبْتُ حينذاك المقاما
غير أني رأيتُ أنَّ امتثالي ... واجبا فامتثلتُ ذاك الكلاما
فالتمستُ الدَّوَاةَ حينا فلم أظـ ... ـفر بها أو هممتُ أُثْنِيْ الزماما
ثم لاحت لناظري من بعيد ... فَتَمَطَّيْتُ نحوها أترامى
فإذا بي أرى هنالك عُرْياً ... شَفَّ عنه الخفا فلاح قتاما
وإذا بالخفا يُمَثِّلُ أدْوا ... را يذوب الحياء فيها غماما

الوزير يتابع

حركات مثنى ثلاث رباعا ... حركات تستوقف الأسماعا
والسرير العالي يئط لوطء الـ ... ـحِبِّ والوصل يطرب الإيقاعا
وكأنَّ الوزير فوق جواد السبـ ... ـق جساسُ وائلٍ إسراعا[1]
وكأن الجمال في حلبة الركْـ ... ـض بدا في بسوسه استجماعا
وكأن اللقاء في طفرتيه ... نبرة السيف يقرع الأدْراعا
والرحا بالهوى تدور على القطْـ ... ـب فتلقي ثفالها[2] مرتاعا
فكتمت الذي رأيت وهذا ... سرُّ ما قد شريته إيداعا

الوزير يتابع

ثم إني ظننتُ أني مَكِيْدُ ... وعلى الكيد يستريح الحسودُ
فاحتسبت الإله ربي على ما ... أنا أخشى والله مولى عتيد

---

(١) جساس بن مُرَّة الشيباني البكري الوائلي (٥٣٤م). قاتل كليب بن ربيعة لقتله ناقة البسوس بنت المنقذ خالة جساس. كان جساس شاعرا شجاعا حتى عُرِف بالحامي الجار.

(٢) الثَّفَالُ: ما يُبْسَطُ تحت الرَّحَى عند الطحْن.

ثم لما بعثتني أبحث الخدْ ... دَام أيقنتُ أنَّ قتلي تريد
غير أني ذهبت لو لا صديقٌ ... قد دعاني فما استطعت أحيد
ذاك أني اشتريت بالألف "وافق ... من يوافقْكَ" والوفاق سديد
وبهذا نجوتُ والله عندي ... وبصدقي الحديث حين أفيد
حيث أني اشتريت "حدِّثْ بصدقٍ ... لو رأيت الهلاك فيما تفيد"

الملك وقد بان له الحق

يا وزيري رأيت قولك صدقا ... إذ تَبَيَّنْتُهُ ونصحا وحقا
قد توخيت صدقه منذ أن قد ... عبث الجرذ بالحواجز بثقا
غير أنَّ الغرام في سورة الكأ ... س بكيد الأنثى طغى فاسترقا
فرمى بي في طفرة الجور لكن ... حافر السوء كان بالسوء أشقى
وسيلقى ذو الكيد شر جزاه ... ويله من نكال ما سوف يلقى

الملك يعاتب زوجته على خيانتها

زينة القصر يا أميرته الحسْـ ... ـناء يا عرشه الذي ليس يرقى
كنت لي دمية إذا الليل وارا ... ني وأُنْسا إذا رِدَا الليلُ رَقَّا

الملك يتابع

كيف خُنْتِ الهوى وخُنْتِ المُحِبا ... ورضيتِ الخؤون يلقاك حِبَّا
أَنَسِيْتِ الساعات نضحك في اللـ ... ـهو وفي الأنس والمسرات نهبا
والليالي يذيبها الوصل لذَّا ... تٍ ونحن الغرام أُنْساً وحُبَّا
ونسيما من جانب الحب كم هَبْـ ... ـبَ شذياً يسقي الخميلة غرْبا
فجزاء من جنس فعلتك الشنْـ ... ـعا عذابا يَنْصَبُّ بالويل صبا

الملك يصدر حكمه القاسي

فارسَيْنَا على كُمَيْتَيْكُمَا[1] الحمـ ـر وهذا الجمال حولي أكَبَّا
اربطاه رجلين هذي بذيَّا ك وهذي بذا فشرقا وغربا

الملك يتابع مع وزيره

يا وزيري أرْضَيْتُ هَبْكَ ضميري بخلاصي من بؤرة التغرير
غير أني رأيت نفسي بواد من بوادي الهموم كالتنور
فاعترتني وساوس توقظ الهـ ـمَّ وتوحي بخيبة التفكير
أتراني أعيش اعتصر الوحـ ـشة خمرا وأحتسي معصوري
وأناجي النجوم شهبا تهاوى بسريري في أنة المصدور
فابْغِ لي مؤنسا من الخُرَّد العيـ ـن حَصَانا من غمزة المغرور
يحسب الناظر المحدق فيها أنها النور في بهي النور

الوزير يطلب الأمان ليبين للملك أخطاءه

إنْ تُنِلْني منك الأمان كريما فاسمع النصح من لساني حكيما
إنَّ مولاي عنده بعض أخطا ء وخَطْءُ العظيم يبدو عظيما
قد تزوجت من وضيعة قدر رقّم اللؤم ثوبها ترقيما
واصطفيتَ الوزير من سوقة النا س فكان الإنتاج عقما ولوما
وخطاء العقوبتين كبيرا لو أنَّ الإجرام كان جسيما
وعيون الوجود ترقب ما جَـ ـلَّ وما دَقَّ فاسدا أو سليما
وذباب اللسان أفرى شباة من ذباب السنان حدا وخيما

(١) فارسَيْنَا على كُمَيْتَيْكُمَا: هذا خطاب الملك لاثنين من فرسانه على فرسين لون بشرتيهما: الكُمَيْت، وهو بين الأسود والأحمر.

الملك يقبل النصيحة ويبدي التراجع

لا تبالغ في اللوم فيما كانا ... يا وزيري لو كنتُ ثمَّ مُدانا
وتَبَيَّنْ دربي لمستقبل العمـ ... ـر نجد خطة سواء وشانا
فسبيل الخطاء يفضي بذي العقـ ... ـل لصرح الصواب مهما كانا
وعليه فقد أهاب بي العقـ ... ـل سرارا فما ملكت العِنانا
ورأيت الرحمن في قدراتي ... وتبينت خوفه والأمانا
فأتيت الإقلاع من نقطة الإقـ ... ـناع حتى استويت فيه مكانا
وعلقت الرشاد فاجتاحني الشو ... ق إليه وهمت فيه جنانا

الملك يطلب من الوزير أن يخطب له قرينة صالحة كما يصفها

فابغ لي طفلة توافق وصفي ... في عفاف وفي جمال وظرف
تخجل الغصن قامة وجبين الشمْـ ... ـس وجها والحسن في كل وصف
وتَرُوْضُ الحياة فوق جبينِ الدْ ... ـدَهر طرفا ينسابُ في إِثْر طرف
ويكاد النسيم يلمس خدَّيْـ ... ـها ولو رام راشه كل طرف
أتراها تُرَى بشعبي وهل فيـ ... ـه من الحسن من كسابق إلفي

الوزير يؤكد أن في شعبه من توافق طلباته

إنَّ فيه كمن وصفت جمالا ... وبفضلٍ تربو عليها وعَرْف

الملك يتابع

بلها[1] تحسب الحياء عليها ... وهي أذكى من ذات غنج ولطف

الوزير

سيدي فيه من تفوق كمالا ... ودلالا وعفة وجمالا

(١) هذه اللفظة: (بلها) لا يستقيم الوزن بها إلاَّ إذا نطِقَتْ بتشديد اللام. وهي على هذه الحال لا تفيد المعنى.

الملك

ذلـــة الـحـب للضجيـع ولكن عـن سـواه بالكـبـريـاء تعالى

الوزير

فيه من لا ينال أخلاقها الوصـ ـف ولـو حيكت السماء مقالا

الملك

شـرف بالسماء صيتا وعليا ء وبـــالأرضـــ عـــزة وجـــلالا

الوزير

إنـــمـا بـــيـن لابـتـيـك كـنـوز لـو رأتـهـا ذُكـا[1] لطارت خبالا

الملك

إنْ يَـكُ الحق ما تقول فبادر خطوة السعي لا حرمت نوالا
وعـلـيَّ الـوفـاء للّه بـالـعهـ ـد وأنْ لا أُخَـيِّـبَ الآمـالا

الوزير مع أمير قبيلته

سيد الـواد يا أمير العنانوعليَّ جاءك الجد في كريم الأماني
أَقْـبَـلَ المُلْكُ والمليك إلى مجـ ـدك إقـبـال مستهام عان

الوزير يتابع

تلك صغرى كريمتيك ومن يحـ ـسر عـن شـأوهـا فحول البيان
تسبق الذهن نحو بـادرة الذهـ ـن وتسمو بكبرياء الحسان
فهي إلا لـمثله غـيـر أهـل وهـو إلا بـمثلها غـيـر بان

(١) ذُكا: الشمس.

الأمير

قد سمعتُ الذي تقول فهبني فرصةً أجتلي دخيلة شاني
وأناجي الحياة أسبر مغزا ها وأبلو في حلبتيها عِناني

الوزير

لك ما شئت من مدى معقول فأرحني من كثرة التطويل

الأمير

نصف شهر يمضي وثلثاه إنْ طا ل غيابي لكن بلا تعطيل

الوزير

سوف آتيك بعد عشرين لأرى منك منتهى مأمولي

الأمير يستشير قومه

يا لقومي هلم نحوي لأمر مزج الجد عرضه بالطول
قائد الشعب جاء يطلب مني يد لمياء للهوى المقبول

قومه على فئتين

الفئة الأولى

فَعَلَ المَلْكُ شر ما يفعل الإجـ ـرام في أهله على تأويل
بعد حرق الوزير بالنار جهرا يا لَسُوأَى العقوبتين استحيلي

الفئة الأولى تتابع

أتراه لو أخطأت لمياء غافرا ذنبها ولا إيذاء
وإذا أغْلظ العقوبة فيها ما الذي ثَمَّ يفعل الأولياء

أسكوتا منهم على مضضِ الذُّلْ ... لِ إذا الموت لا سواه الدواء
فتنة ترتمي إليكم وداء ... مصمئل[1] وراءه أدواء

الفئة الثانية

إنه الغاية التي ينبت السؤ ... دد فيها وتورق العلياء
أترانا نرد كفيه صفرا ... من مرام له عليه ولاء
أم ترانا نكون أكثر أمنا ... إنْ منعناه والجفاء ابتلاء

الفئة الثانية تتابع

زوجوه فإن يكن رام رشدا ... فلقد نلتمُ بزلفاه جَدَّا[2]
وإذا كان في مطاويه شرٌّ ... فمن المنع قد يكون استعدا
وهي الفتنة التي يحطب الدهـ ... ـر عليها بحبله مستبدا

الأمير

كلكم رأيه مصيب وفيه الْـ ... حُبُّ بادٍ فما أجَدَّ وأجْدَى
فدعونا نلقي على شخصِ لميا ... ء من الضوء نظرة لن تحدا

الأمير يستشير ابنته

إيه لمياء جاء حاكم هذا الشْـ ... ـشَعْب يدعوك للزواج مُجِدَّا
فاسمعي ما يقول قومك فيه ... ولك الرأي إنْ قبولا ورَدَّا

لمياء

نيل أمس الوزير بالإحتراق ... وأصيب الحسناء بالانشقاق
وغموض يسود ذاك وهذا ... هل يقيني منه إذا طاش واقِ

---

(١) مُصْمَئِلُ: مُشْتَد.

(٢) الجدُّ: الحظ.

فوفاقي عليَّ وحدي ولكنْـ ـنَ على الكل من ذَوِيَّ شقاقي
فَلأَكُنْ نعجة الفداء لقومي وليعيشوا ما بين جفني ومآقي

الأمير

إنْ أُزَوِّجْهُ يا ابنتي فعليكِ الْـ ـعبء دوني وهفوة الإنزلاق

لمياء

لا تَرَدَّدْ ففي الوفاق سلامٌ لكَ يا والدي ولي والرفاق

الوزير يراجع الأمير

أَجَلٌ قدْ مضى وغاية فخرٍ أزْلَفَتْها إليك عشرٌ لعشر
فجوابا يا سيد الواد فيه أمل مثمر ونبأة يسر

الأمير

يا معالي الوزير أنت صدوق وعلى الصدق ينبني كل أمر
أترانا إذا جسرنا فزوَّجْـ ـناه تنجو من أي بطش وعر
فيم حرَّق الوزير نارا أما ثـ ـم عقاب سواه للمتجري
مثلما شقت الأميرة شقا بين خيلين دون عذر ونذر
أترى بنتنا أعز عليه بين خيلين دون عذر ونذر[1]

الوزير

إنَّ للملك نزعةً إحسانا وفؤادا برحمة ملآنا
عرف النكر في تصرفه الما ضي فما انفكَّ يمقتُ النكرانا
ورأى الخير من بعيد فراعتـ ـه نواصيه تقمع الشيطانا

(١) هذا الشطر تكرار للذي سبقه.

فسما نحوه على صهوة الصد ق فـوافـى عـنـانـه الأعـنـانـا
فـإذا مـا زوجـتـمـوه بلغتم كـل خـيـر ونـلـتـم الإمـكـانـا
ولـتـكـن بـنـتـكم ركـيـزة خير لـبـنـي الـشـعـب عـنـده إحـسـانـا
فعلى الحب ينبت الحب والإخـ ـلاص جـذرا ويكتسي ألوانا

الأمير

إنـه الـكـفء فـلـيـمـد يـديـه إنَّ لـمـيـاء لا تـعـز عـلـيـه
فـلـيـبـارك يـدا مـن الله مُـدَّت نـحـوه وانـطـوت عـلـى بـردتـيـه

الوزير يبشر الملك

يـا مليك الـبـلاد بـشـراك هذي يـد لـمـيـاء لـلـعـلا فـي يـديـه

الملك

اجـلـبـوهـا إلـيَّ والـدهـر غض وأشـيـروا عـمـا أعـانـي إلـيـه
فلقد آن أن أسـافـر فـي السعـ ـد وأرسـو منـه عـلـى ضفتيه
وأَرُوْضُ الحياة خضراء كي ألْـ ـثم منها النعيم فـي شفتيه
وشمـوع الـسـرور توقد حولي وغـرامـي يـقـص عـمـا لـديـه

الوزير يهنئ الملك

يـا مـلـيـك الـبـلاد سـعـد تجلى ونـعـيـم أتـى وبـؤس تـولـى
وهـنـاء مـن مطلع الـنـور كالبد ر على الأفـق بالجمال تجلى
كـبـريـاء لـهـا الأنـوثـة تـاج وتـقـاسـيـم تبهر الحسن شكلا
وجـلال إلا لـمـثـلـك لا يصـ ـلح فـأسـعـد بـه وبـاركـه أهـلا
هاك لمياء في الملاحة والحسـ ـن وفـي الغنج والـدلال تجلى
فأضِفْـها إلـيـك واحْـيَ سعيدا بهواها جـذلان واتَـتْـهُ جذلى
فهي المرهم الذي يبرئ الجر ح ولـو غـال فـي الـفـؤاد وغلا

الملك مع أهله

إيه لمياء يا شريكة روحي ... في حياتي ويا شفاء جروحي
أيْقَظَتْنِيْ بك السعادة للجدْ ... ـدِ فقامت على هواك صروحي
فأقيمي وأقْعِدِيْ الدهر حولي ... وأعيدي إليَّ بالأنس روحي

الزوجة مع زوجها

دمت مولاي للجلالة والمُلْـ ... ـك وللعز والعُلا والطموح
أنت للشعب سُوْرُهُ وحماه ... فَقِهِ الشرَّ تُوْقَ كل جنوح
وارْعَ أبناءه بعطفك يرعو ... ك وأكرم ذا همة وطموح
وتحدث إليهم وأَعِرْهُم ... أذنا في التصريح والتلويح

الزوجة

وإذا ما شكوا إليك وليا ... أو وزيرا مقربا أو صفيا
فتولى الإنصاف وحدك واسمع ... ما يقولونه هدى أو غَيَّا
فإذا جانبوا الصواب فَبَصِّرْ ... هُمْ وأرشدهم الصراط السَّوِيَّا
وخذ الظالم المسيء ولا تر ... حمْه لو كان مخلصا أو وليا
وإذا ما أتوك للأنس فافتح ... لهم الباب وانتظرهم مليا
واقض حاجاتهم فرادى ومثنى ... وجموعا تكن لديهم رضيا

الملك

يا لُمَيَّا ختمْتُ قلبيَ بالنو ... ر فأصبحتُ للجميع وفيا

* * * * *

(٢) هند والكاهن[١]

على أي ذنب تُسْتَهانُ فَتُقْمَعُ ... ومن دونها ماء السماء وتُبَّعُ
فريدة حسن بل كريمة محتد ... غَذَاها العلى ألبانه وهي ترضع
محجبة لا يستطيع خباءها ... مَرِيدٌ ولو أن الأسنة شُرَّعُ

(١) القصة في هذه القصيدة تتعلق بالسيدة هند بنت عتبة بن ربيعة القرشية، فحسب الرواية التاريخية فإنَّ الفاكه بن المغيرة بن عبدالله المخزومي الفارس المعدود بين فرسان قريش، قد تزوجها في الجاهلية. وكان أنشأ بيتا للضيافة يغشاه الناس بلا استئذان. فقام يوما في ذلك البيت وزوجته هند معه، ثم خرج عنها وتركها نائمة، فجاء رجل ممن كانوا يغشون البيت فلما رأى المرأة نائمة انصرف، وكان ذلك لحظة رجعة الفاكه فرآه وهو يخرج من عند هند، فدخل الفاكه على هند وأنبهها وقال: من هذا الخارج من عندك؟ قالت: والله ما انتبهتُ حتى أنبهتني، وما رأيتُ أحدا قط. قال: الحقي بأبيك. وخاض الناسُ في أمرهم. فقال لها أبوها: يا بُنَيَّة أنْبئيني شأنك، فإن كان الرجل صادقا دَسَسْتُ عليه من يقتله فينقطعُ عنك العار، وإن كان كاذبا حاكمته إلى بعض كُهَّان اليمن. قالت: والله يا أبت إنه لكاذب. فخرج عتبة فقال: إنك رميت ابنتي بشيء عظيم، فإما أن تُبَيِّنَ ما قلت، وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن. قال: ذلك لك. فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ونسوة من بني مخزوم، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف، فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند، وكُسِفَ بالُها. فقال لها أبوها: أيْ بنية، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا؟ قالت: يا أبت، والله ما ذلك لمكروه قبلي، ولكنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب، ولعله إنْ يَسِمَنِيْ بِسِمَةٍ تبقى على ألسنة العرب. فقال لها أبوها: صدقت، ولكني سأختبره لك. فعمد إلى حبة بُرّ فأدخلها في إحليل (قضيب) حِصانه، ثم ربط عليها وسار. فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم. فقال له عتبة: إنا أتيناك في أمر قد خبَّأنا لك خَبِيَّة، فما هي؟ قال: ثمرة في كمرة (الكَمَرَةُ: رأس الإحليل). قال: أريد أبْيَن من هذا. قال: حبة بُرّ في إحليل مهر. قال صدقت، فانظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن، ويقول: قومي لشأنك، حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها، وقال: قومي غير رسحاء ولا زانية، وستلدين ملكا يسمى معاوية. فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها فَنَتَرَتْ يده من يدها، وقالت: والله لأحرصنَّ أن يكون ذلك الولد من غيرك. وطلبت من أبيها أنْ لا يزوجها إلا من ترتضيه بنفسها فارتضت أبوسفيان صخر بن حرب فأنجبها معاوية الذي صار من أعظم ملوك العرب. أنظر تفاصيل القصة في كتاب العقد الفريد، تأليف شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، تقديم الأستاذ خليل شرف الدين، منشورات دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٩م، المجلد السادس، ص ٦٧.

سلالة أقيال كرام تربَّعَت ... معاقل من عليائهم قد تربعوا
لك الفخر يا "هند" الهنود سُقِيْتِهِ ... بغرب المواضي فهو ريَّانُ أمْرَعُ[1]
فأَسْعِدْ بمن يرعاك بعلاً مظفراً ... تسوم الأماني في حماه وترتع
فيا "فاكه" الْثَمْ بالمحبة والهنا ... على السعد فاهاً فهو لا شك ممتع
وقبل يد السراء يا "ابن مغيرة" ... وقد بِتَّ في أحضانها تتربع
وصنها فكم صان الحليلة باسل ... على شرف الخَطِّي[2] والسيف يلمع
رأيتك لما شِدْتَ للصحب مجلسا ... على عُمُدٍ أركانه تترفع
ترى الكل منهم كل وقت يزوره ... بلا حرج مثنى فرادى تجمع
فقلت لهند يا هلمَّ تَرَيْنَه ... فسارت وفيها خيفة وتمنُّع
فما لك إذ وافيتماه دعوتها ... لنوم ويا للنوم حين يشعشع
وكيف إذِ اسْتَيْقَظْتَ عنها تركْتَهَا ... وولَّيتَ عنها وهي في النوم تسكع
فعدت وبعض الصحب يخرج مسرعا ... وما الذنب إلا ذنبك المتوقع
لِتَرْمِيَهَا بالإفك وهي بريئة ... وتشهد في تطليقها وهو أفظع
وتترك فيها الشؤم بوما مجنحا ... يروح ويغدو في حماها ويرتع
وتبقي رداء المجد فيها ملوثا ... وتلك الهَنَاتُ[3] السود فيه تجمَّعُ
وفعلا فقد كان الذي رمت كله ... وفائهة السُّوآى[4] إلى السوء أسرع
فَخَيَّمَ ذاك العار في عرصاتها ... يَدُبُّ دبيبَ النمل وهو مشنع
وفي ذات يوم جاء والدُها لها ... يقول أعارٌ يا هُنَيْدُ ومَقْبَعُ[5]

(١) غَرْبُ المواضي: الغَرَبُ القَدَح، والمواضي السيوف. المعنى أن قومها بذلوا دماءهم في سبيل ما ابْتَنَوْهُ من المجد. رَيَّانُ: فاعلٌ من رَوِيَ. بمعنى مليء. أمْرَعُ: كثيرُ الخَصْب، أي أنه نضيرٌ بالبذل والعطاء، مليءٌ بالمحامد.

(٢) الخَطِّيُّ: الرُّمْحُ. منسوبٌ إلى الخط، البلدةُ التي تُصْنَعُ فيها الرماح قديما.

(٣) الهَنَاتُ: مفردُها هَنَة وهي ما يُسْتَقْبَحُ ذكرُه.

(٤) فائهة السوآى: حديث السوء.

(٥) مَقْبَعُ: ذُل.

فقالت له يا والدي احْكُمْ كما ترى ... فإني بما تقضي لِك الدهر أطوع
فقال نلاقيه لدى كاهنٍ لَهُ ... نُبُوغٌ وجلَّ اللّٰه ما شاء يصنع
فإنْ يكُ ما قد قيل يا هندُ واقعا ... فقولي وإلا فالشجاعة أنفع
فقالت وأيْمُ اللّٰه لم آت منكرا ... فأقدم تجد ما قد يعز ويمنع
فساروا جميعا أربعين متوجا ... ومثلهم الغادات[1] واللّٰه يجمع
وكانوا من الحيين قسمة بينهم ... مشاطرة في الكل والرأي أجمع
فلما دَنَوْ من داره اصْفَرَّ وجهُها ... فقال أبوها السيف يا هند أقطع
فقالت له قدَّامُنا بشرٌ وقد ... يصيب ويخطئ والخطا ثم أشنع
فقال ولكني سَأَخْبُرُهُ[2] بما ... أرى وصواب الرأي قد أتوقع
فَصَفَّرَ لِلْمَهْرِ فَجَرَّ قضيبه ... فأدخل فيه حبة البُرِّ تسرع
وقال ضميرا كاهنَ الحيِّ إنْ تكن ... عرفت فقله والمجالس تسمع
فقال له في الحال هاتيك ثمرة ... على كَمْرَة والشك بالحق يدفع
فقال له صرح وبيِّنْ غموضها ... لعل على التصريح ما نتوقع
فقال قضيب المهر في جوفه كما ... ترى حبة البُرِّ التي كنت تزرع
هنالك صف الغانيات[3] جميعها ... وهند على الطرف المؤخر تقبع
فطاف على تلك العقائل[4] أو أتى ... لهند وهند شد ما تتوقع
فقال لها قومي فما ثم وصمة ... عليك ولا عار فنعم الترفع
وملكا من الأملاك من تلدينه ... معاوية الشهم الفتى المترفع
فمد إليها الفاكه اليدَ آملاً ... رضاها فصدَّت والصدود تمنُّعُ
وقالت أبي إنْ جاءني منك خاطب ... فخذ قبلُ رأيي فهو لا شك أنجع

(١) أربعون مُتَوَّجا: أربعون رجلا، وتيجانهم عمائمهم. الغادات: النساء، مفردها غادة.
(٢) سأخْبُرُهُ: سأختَبِرُه، سأمتحنه.
(٣) الغانيات: مفردُها غانية وهي المرأة التي فيها غناء لزوجها عن غيرها خلقا وجمالا.
(٤) العقائل: مفردُها عقيلة وهي الزوجة الكريمة، السيدة المُخَدَّرَة.

فجاء إليها بعد رَدْحٍ[1] مضى له ... يـردد أبـيـاتـا لها وهـي تسمع
"أتاك سهيلٌ وابنُ حرب وفيهما ... رضىً لك يا هند الهنود ومقنع"[2]
"وما منهما إلا يعاش بفضله ... ومـا منهما إلا يضر وينفع"
"وما منهما إلا كريم مُـرَزَّأٌ ... وما منهما إلا أغَـرُّ سميدع"[3]
"فدونك فاختاري فأنت بصيرة ... ولا تخدعي إنَّ المخادع يُخْدَعُ"
فقالت كـرام سـادة غير أنني ... إلـى العلم عن أخلاقهم أتطلع
فـقـال لها أمـا سهيلٌ فمحسنٌ ... إذا الخـود أرضـتـه وإلا مضيع
وأما ابْنُ حربٍ فهو لا يضع العصا ... ولا يدع التقتير لو كاد يُصرع
فقالت له هذا هو الفحل فابْـغِـهِ ... وأحْـرِ[4] بـه إنجـاب من أتوقع
فـزوجـها منـه فعاشت سعيدة ... لـديـه لها مستقبل لا يُـرَوَّعُ
وعاش على أحضانها عيش شَـيِّقٍ ... لهفي رياض الأنس مَغْدَا ومرتع[5]
فأسعد وقـد زفت إليـه كريمة ... تـغار ذُكا[6] من وجهها حين يطلع
فضـم خـوافيـها مـبـاركـة إلـى ... قوادمه كالـراح بالماء يشفع
وبعد ثلاث سِـيْـقَ هـدْيٌ لـمكة ... من الملك الحبشي للّٰه يُـرْفَـعُ
ويشترط الحبشي أن ينحر الهَدَا ... لـه سـيِّـد الـوادي ولا يـترفع
وكـان أبـو سفيان ثَـمَّ مُسَـوَّدًا ... بأم القرى يحمي الذمار ويمنع
فقالت له سِرْ وانْحَرِ العيسَ ثم عُدْ ... وأنـت بعين الدهر للفخر مطلع

---

(١) الرَّدْحُ: المُدَّةُ الطويلة.

(٢) الأبيات الواقعة بين علامتي تنصيص لعتبة بن ربيعة والد هند. أنظر كتاب العقد الفريد، لابن عبد ربه، المجلد السادس، ص ٦٨.

(٣) المُـرَزَّأُ: الرجلُ السخي الكريم. الأغَرُّ: الواضح في أعماله وأفعاله. السُّمَيْدَعُ: سيِّدٌ رئيسٌ شجاعٌ خفيفٌ سريعٌ في حوائجه.

(٤) أحْرِ به: أحسبه الجدير بأن أحمل منه بالولد الذي ذكره الكاهن.

(٥) مَغْدَا: مَغَدَ الرجلُ في ناعم العيش تَنَعَّم. مَرْتَعُ: المكان الذي يتنعم فيه الإنسان بالعيش الهنئ.

(٦) ذُكا: الشمس.

فقال سأقضي نحرها بعد سبعة ... وما إنْ لغيري لو تباطأتُ مطمع
فجاء إليها بعد سبع بواركا ... على عُقْلِها والناس تأتي وترجع
فأوسعها نحرا وقال لقومه ... هلم إذا شئتم وإلاَّ تَرَفَّعُوا
وقال لها يا هند ما الفخر غير ما ... رأيت وإني للفخار لموضع
فعاشا هناء في هناء وأنجبا ... معاوية الفحل الذي ليس يُقْرَعُ
فسبحان من لا يملك الملك غيره ... يعز ويدني من يشاء ويرفع

* * * * *

(٣) أخت الزليخا[١]

وخـــزتـــه عـيـونـهـا آمـاقـا ... فـتـلاشـى مـثـل الـهـلال محاقا
وتولى فارْفَضَّ يهوي به الأفْـ ... ـق شظايا لا تتقي الإحراقا
وتـدلّى منه إلـى الأرض خيط ... أتـــراه يـسـتـرجـع الإشـراقـا
وتـفـانـى فـي الـحـب مـنـذ صباه ... "ونجاة" تـراقـب الأحـداقـا
هو يهوى فيها الأمومة والـدِّفْ ... ءَ وتـهـوى فـيـه الـغـرام مـذاقـا
قصة تجتلي الأمـانـيَ سكرى ... هـاكـهـا تـنشر الضـيـا أوراقـا
"ونجاة" الحسناء أخت الزليخا ... فـي لـحـون تـبلبلُ المشتاقا[٢]
والأهـازيـج تستبي العاشقينا ... وتـنـاغـى في الصالة الراقصينا[٣]
هـذه حـالـة ولـلأمـس أخـرى ... ذرفـت دونـهـا الـعـيـون العيونا

خطاب في السر

يا يتيمين غَـالَ أصلهما الحتْـ ... ـف[٤] فباتا يستلهمان الحنينا
ليس في الحي من يربي اليتامى ... فـلـيـكُ الـخـال حـافـظـا وأمـيـنـا
ماتت الأم قبلُ فاندثر الحو ... ض فـراحـوا يعاتبون المنونا
من لكم أن تـروا "كراوية" الأ ... م حـنـانـاً وشـفـقـةً للبنينا
أو "كعمران" في المشايخ شيخا ... طالما طال زمـرة المحسنينا

---

(١) الزليخا: يريد بها زوجة ملك مصر زمن سيدنا يوسف بن يعقوب عليهما السلام.

(٢) نجاة: امرأة تدور حولها أبياتٌ من هذه القصيدة، وتشبه في سلوكها الزليخا زوجة ملك مصر القديم. تُبَـلْـبِـلُ: أي تثير لواعج شوقه.

(٣) هذا البيت والذي يليه جاء على قافية المقطع التالي وكان ينبغي أن يكونا على قافية المقطع المتقدم لتعلقهما به.

(٤) غالَ أصلهما الحَتْفُ: أخذ الموتُ والديهما غِـرَّة.

الأب يوصي بولديه خالهما

يـوم أوصـى أبـوكـما الحنان ... بـكـمـا الـخـال إنـه حسـان
"بركات" كُـنِ الأبَ الـبَـرَّ للطفل ... ـين يـشـرق بـقـلبك الإيـمـان
ذاك إبـنـاك فـارع من جانبيهم ... فـالـخـؤولات دأبـهـا إحـسـان
قد حُرِمْتَ الإنجاب فاستخلص الطفل ... ـين تـلـف الـهـدى بـهـم يـزادن
ربِّ في الصون "عبلة" وعلى العـ ... ـز أخاها "المختار" حيث السنان

ويوصي بهما زوجة الخال

ونجاة يـا زوجـة الـخـال كوني ... لـلـيـتـيـمـين خـيـر أمٍّ تـصـان

عند وفاة أبيهما

قُـبِضَ الـوالـد الكريـم فكن يا ... خال ذاك الركن الذي يستعان

الخال يرعى الولدين

أنـا أرعـاكـمـا بـبـرد النعيم ... ولـديـن فـي حـضـن أمٍّ رؤوم
فانْشَئَا نشأة الـدلال إلـى أنْ ... تبلغا في الصبا مدى التعليم
ثم هُبَّا إلـى الـدراسـة سعياً ... ويـد الله عـنـد كـل يـتـيـم
واستمرا حتى إذا اكتمل العو ... د نـمـواً كالنبع فـي التقويم
واقطعا الإبـتـداء والثـانويا ... ت إلـى الجامعات خلف العزوم
والليالي عليكما تنشر الحسـ ... ـن شبابا وَشَـتْـهُ أيدي النعيم
وتُغَـذِّيْ شخصيكما بكريم الخـ ... ـلق عن منبت كريم الخيم[1]

(١) الخِيْمُ: السجايا الحسنة.

نجاة تناجي قلبها

يا لقلبي لنضجهم ترتاد خلف أمنية لها أبعاد

نجاة تخاطب الأخوين

إيه يا عَبْلُ واصلي السعيَ للعلْ ـم دؤبا فالعلم نعم الزاد
والزم البيت تلقَ مختارُ جَوًّا هادئاً فيه للبيب ازدياد

مختار يستحسن الرأي

قولك الحق يا نجاة وفيه نصح حب فيما يراه السداد
وأراني سأمتري العلم في البيـ ـت وبالإمترا ينال المراد

نجاة مع الغرام

ما لقلبي تبيت تعصره الفتـ ـنة كرماً وللغرام اتقاد
وكأن المختار ليس لديه نزعة للهوى ولا استعداد

نجاة تعد الحيلة

سأعد الجمال للإسكار بسلاف الأنوثة المعطار
ومن الشوق جامح في فؤادي تحت سلطان طافر قهار
وجياد الميدان تعتلك اللجـ ـم وتهفو للسبق في المضمار
وسريري يقض مضجعه الشو ك بشوق لقبلة "المختار"

نجاة تدخل الحلبة

ذهب الشيخ للتجارة يا مخـ ـتار والنهر هادر التيار
ولغات الطيور حولي عبارا ت حيارى لنغمة الأوتار

ونجاة تستاك أسنانها شو قــاً ملحا لضمة الإســكار

نجاة تبدأ المهمة

فسآتيك في ثياب الشذاء يا حبيبي أجر فضل الرداء
وأديــر المصراع للباب غلقا "كالزليخا" في حسنها الوضاء

نجاة تبالغ في التلطف

يا حبيبي وهزتي وارتعاشي في اشتياقي كفيت كل شقاء
أيقظ النضج للعناق بِــدَاراً واشْفِ من طفرة الأنوثة دائي
وأنــلـني لقاك في زفــرة الحـ ـب فلقياك من غرامي دوائي
وبمحرابيَ الحرام فقف فوْ ق حصيري واسجد على كبريائي
وامسح الدمعة التي هاجها الشو ق فطارت على بساط الرخاء

مختار يتلطف في الرد

حَـرَمُ الخال قد جَمَحْتِ جموحا وعضضت اللجام خلفي جموحا
وتخطيت في الهوى نُظُمَ العقـ ـل فمن لي إذا ارتكبت الجنوحا
أنا أهوى فيك الأمومة إذْ كنـ ـتِ لخالي روحا شذيا وروحا
وأرى فيك طهر أمِّيَ في الحرْ مة دهري حتى أزور الضريحا

نجاة

أنا أهواك يا حبيبي مذ كنـ ـت غلاما حتى بلغت الطموحا
وأناغي فيك الهوى مرهف الحـ ـس وقلبي يئن خلفي جريحا
فتدارك روحي وصل رحم القر بى لتشفي من الفؤاد الجروحا

المختار

حاش ربي وهو الشديد المحال أن أكون العبد المسيء بحال
ومعاذ الإلـــه أن أتـــعدى طور نفسي أو أستهين بخالي
ومعاذ الرحمن أبصر في ذا تك إلا ظهرا عزيز المنال

نجاة تستعد للكيد

أنـــت للكيد لا لحبـــيَ أهل فَتَدَرَّعْ إنْ تستطع من وبالي
يا رداء الغرام أبعدك الله وأهـــلاً يا لبسة الإنـــفعال

نجاة تحدث نفسها

قد أتى الشيخ كالقلامة يهوي يا لكيدي فاجِئْهُ غير مبال

الشيخ

ويح نفسي ما بال ربة بيتي في بكاء يشف عن سوء حال

نجاة

ويك عني فما أراك تراني بعدها بين هذه الجدران
وإذا شئت أن تراني ففي منـ ـزل شيخي مبارك الحيطان

الشيخ

أنا من لي أعيش بعدك يوما يا نجاتي وأنـــت نبض جناني

نجاة

ويحك انظر فهل ترى ترك المخـ ـتار لي من كرامة أو كيان

جاء عندي لغرفة النوم فاستق ـبلت إبنـاً كـأي أمٍّ حَصَـان
قلتُ مـاذا تـريـد قـال وكَفَّـا هُ بخصري أريـد خير الحسان
قـلـتُ أمٌّ ولـــلأمـومـة حـقٌّ فاتـق اللّه لا تـعرض لشاني

نجاة تتابع

قـال مالي نجاة عنك مَحِيْدُ أو أرانـــي فـرغـت مـمـا أريـدُ
فاستـقـامت مـعـارك داميـات كـان لـي غِـبّـهُـنَّ نصـرٌ عتيد
وعلى العز والكرامة قد صنـ ـتُ عفافي والصون شيء مجيد
فـلـيَ البـيـت دونـه أو لـه دو نـي وعش عنده كما قد تريد

الشيخ

ويكِ يكفي ما قلتِـهِ وسآتي المـ ـختـار مـا يـستـحقـه وأزيـد
ودعيني آتيه ينفضني الحقـ ـد كما ينفض الضعيف المريد
لـو أراه عـلـى مـصـلاه يـدعـو ومـن الـحـق لـلـمـحق شهيد

الشيخ

إيـه مختار فـوق هـذا المصلَّى أصـــلاةٌ لـذي فـواحـش ضَـلاَّ
جئت تبغي البِـغَـاء ممن رعتْ فيـ ـك صبياً في يتمه عاش كلاًّ[1]
وهـي الـبَـرَّةُ التقية صِينت أن تُـرَى للخنا وللفحش أهلا

المختار

يـا لخـالـي إيـاك والـظـن إنـي لست للسوء والفساد محلا
وقـريـبـا سيظهر الحق نـوراً كسنا الشمس للوجود أطلا

(١) الكَـلُّ: الذي يعيش معتمدا على رعاية غيره له.

الشيخ

قم فغادر بيتي إلى حيث تبغي ليس بيتي لرائدي السوء نُـزْلا

المختار

غـادري داره كـرامـة نفسي واستـمـيحي الإلـه عـز وجـلا

عبلة

يا لَـوَيْـحِـي[1] نجاة بـادٍ سطاها وأرى الـدار كالجحيم وطاها
وأرى الـخـال يستطير شـراراً وجـهـه والـحـيـاة صعبا مطاها
وأخـي كالطريد قد ترك البيـ ـت دمـوعـا مثـل الـدمـا خطَّاها
من معيني؟ أخـي طريدٌ، وخالي مستجيشٌ،فيالسُّحْقِ[2]عَبْلُخُطاها
يـا لخالي عـلام تقسو لمثلي أتـرى البنـتَ كالصبيِّ خَطاها

الشيخ

شأنك البعد لا تعودي لداري إنَّ داري غير الهدى لن يطاها

عبلة

يـا سـيـول الـدمـوع لا تذبليها وردة داعـب الـربـيـع غطاها

حديث الواقع

كفكفا الـدمـع وابـلـعـاه سيولا واصـبـرا للقضاء صبرا جميلا
واسكنا حيث شئتما تجدا اللـ ـه كفيلا والفضل منه جزيلا

(١) يا لَـوَيْحي: كلمة تَوَجُّعْ، أصلها يا ويحي، وزيدت اللام لتأكيد شدة التوجع.
(٢) السَّحْقُ: البُعْدُ الشديد.

متابعة

واعملي خادما ببيت كريم ... "عَبْلُ" أو تدركي منالاً قليلا
ثم قولي لمن صحبت دعوني ... فأراني ولو أبيع البقولا
واسمحوا لي بشكركم ودعوني ... لسبيلي فلن أضل السبيلا
وحياتي ما عشت أذكر منكم ... ذلك الفضل بكرة وأصيلا
ودعيهم يودعوك عيونا ... باكيات تكاد تبلى عويلا
وافتحي بعد ذاك كشكاً صغيراً ... نمقيه وجبري تجبيرا
ثم بيعي المرطبات عليه ... ربِّ بارِكْ تجارة لن تبورا
وحواليك بائع الحُلِيِّ في السو ... ق محلا بين المباني كبيرا
يشتري منك كلما احتاج من شـ ... ـيء إليه قليله والكثيرا
فلمختار يا عبيلة شأنٌ ... غير هذا وكان شأنا خطيرا

المختار

أين أمضي لا أعرف القصد في عيـ ... ـني طويلا طريقه أم قصيرا
فبدا لي في وجهتي زكريا ... صاحبا كان بالوفاء جديرا
صاحبا كان في الدراسة أمس ... يوم كنا على زمالة درس

زكريا

ما لمختار في الشوارع يمشي ... فاقد الوعي كالحصور بعرس

المختار

صاح دعني فإن قسوة خالي ... طردتني ولم أصب أي رجس

زكريا

يا أخي قم معي إلى عقر داري ... نَحْيَ فيها معا بأكمل أُنْسِ
فأبي البَرُّ والدُ والكل منا ... ولأهلي ما شئته من مَجَسِّ[1]
هو (باشا) له البشاشة خلق ... وله بالرسول خير تأسِّ
فامش عندي وليس هذا ينافي ... ما به أنت من ترفع نفس

المختار

يا ابْنَ وُدِّيْ إليه حتى أراه ... فهو شيخ مبارك مرآه
نسرع الخطو كي نسر بمرآ ... ه ونلقى حنانه ورضاه
ها هو الشيخ فوق كرسيه الفخـ ... ـم قعودا كالبدر في علياه

الشيخ

مرحبا مرحبا وأهلاً وسهلاً ... نَصْبُ عيني أخٌ يحاذي أخاه
ما وراء المختار إني أراه ... باكيات حزينة عيناه
زكريا وحق ربك قل لي ... ما دهاه حتى بكت مقلتاه

زكريا

أبتي ما تقول فيمن تولى ... طرده دون موجب أبواه[2]
إذ مشت بالنميم فيه نجاة ... فقسا قسوة به بركات
ورمته بالسوء وهو براء ... فنفوه والنفي فيه شتات
فرجائي بأن يعيش بجنبي ... فلكم عندنا له حسنات

---

(١) المَجَسُّ: سعة الصدر. يقال فلان ضيِّق المَجَسّ أي ليس برحب الصدر. والمعنى في البيت: أي لك من أهلي ما شئت من التوسعة.

(٢) هنا القافية تابعت المقطع السابق. وهنا مقطع جديد كان الحري أن تكون قافيته أصلا يقفوه ما بعدها.

الشيخ

إيـه إبـنـي فـأنـت عـنـدي عزيز ولـمـخـتـار لـم تـكـن هـفـوات
وأبـوه قـد كـان قـبـل صديقي من كعمران إذ يُـعَـدُّ السَّـرَاةُ[1]
فهلمي يا "راوي" الطهر للمخـ ـتار صنوا ما إن لديه هَـنَـاتُ[2]

راوية

مرحبا مرحبا بصنو كريم طاردتـه فـي لـؤمها النكبات

راوية تصارح المختار بالمحبة

أنـا أهـواك يا حبيبي جَمًّا[3] فـإلـى عصـمـة الـزواج هلُـمَّـا

المختار

مـا لـمثلي ومـا تـقـولـيـن إنـي عشت فيكم لا أملك الدهر طعما
فدعيني أواصـل الجد عمري في نشاط أمارس الطب علما
وغـداً سـوف أبـلـغ القصد جـراّ حـاً ويـغـدو الـزواج ثَـمَّ أَتَـمَّـا
وعسى أنت أن تكوني لي الزو ج فـنـعـم الـقـريـن أنـت نعما

راوية

يا حبيبي أصبحتَ أمهر جرا ح فـبـادر زواجـنـا مستتما

---

(١) السَّـرَاةُ: أشراف الناس.

(٢) الهَـنَـاةُ: مفردُها هَـنَـةٌ وهي الفُحْش، الفساد.

(٣) جَـمًّا: كثيرا.

المختار

زكـريـا إنـي رأيـت وفـي را ... ويـة الطهـر منيـة لـي ونعمى
أتـراهـا تـرضـى بـمثلي قرينا ... وتـرانـي أهـلاً لـها أن أصـونا

زكريا

سـوف آتـيـك بالحقيقة منها ... وأرى أن تـكـون ذاك القرينا
"راوي" الخير إن مختار يهوا ... ك أتـرضـيـنـه قـريـنـاً أمـيـنـاً

راوية

إنـه الـكـفء غـيـر أن لشيخي ... عـقـد أمـري إذا رآه قـريـنـا

المختار يخطب راوية من أبيها

شيخي البر إنني الدهر ما زلـ ... ـت لما قد حبوتموني مدينا
أتـرانـي إذا طـلـبـت يـدا را ... ويـة منـك صـالـحـاً أن أكـونـا

الشيخ

ويك دعني أستأمر البنت فيها ... فهي أولـى بـمن تـشاء خدينا
وائـتـنـي بـعـد فـتـرة لـلـجـواب ... لا تـجـئـنـي بـخـطـوة الـهـيـاب

المختار يراجع الشيخ

ها أنا جئت حسب أمرك قل لي ... مـا تـراه يـا أكـرم الأحـبـاب

الشيخ

أنـت كـفء وابـن كـفء كريم ... فـاحْـيَ فـي غبطة بـلا أتـعـاب

وتقبل يمين "راوي" واحيوا خير زوجين يا لباب اللباب

المختار

زكريا أخي إلى السوق نأخذ ما نشا من حُلِيٍّ ومن أثواب
وإلى ذلك المحل بجنب الكشـ ـك لِلْحُلِيِّ ذو النقاش العجاب

صاحب المحل

مرحبا مرحبا ضيوفي وأهلا "عَبْلُ" هيا بالشاي للأصحاب

عبلة وقد أبصرت أخاها

يا شقيقي ومن يعز عليا جمع الله بيننا يا أخيا
فعناقا ونحن في الطهر منه كالتماثيل خشعا وبكيا

الحاضرون

عجبا ما نرى فتى وفتاة أَهُدًى كان منهما أم غيا

المختار

هي أختي قسا الزمان علينا فافترقنا كأننا غير أحيا
عَبْلُ هيا معي فبيتي أولى بك في رحبه نعيش ونحيا

زكريا

عَبْلُ أني أهواك من عمق قلبي وأراني إلا لديك شقيا
وأرى في عيونك السود سعدي أفترضيني الشريك الوفيا
إيه مختار أنت صنوٌ شقيقٌ وصديقٌ إن عزَّ مني صديق

فابغ من عبلة الحصان شريكا لحياتي فإنني لخليق

المختار

زكريا لكم عَلَيَّا أياد وسأسعى جهدي كما قد أطيق
عَبْلُ إني سمعت من زكريا رغبةً فيك وهو خل صدوق

عبلة

أنا أرضى من أنت ترضاه كفؤاً فاقض ما شئت لن ينالك ضيق

المختار يأتي زكريا بالموافقة

زكريا أتتك عبلة في القد س حصاناً وأنت نعم الرفيق
فهنيئاً لك المحبة منها وهنيئاً لها هواك الرقيق

عبلة تسأل أخاها عن خالها

كيف مختار خالنا المسكين أطوته مع "النجاة" السنين

المختار

مات يا عبل بعدنا بزمان ونجاة بنى بها مأفون
دفعتها له الميوعة دفعا أهو بالحب يا نجاة قمين
ما له بدد الثراء يميناً وشمالاً فأثقلته الديون

المختار يعاتب نجاة

يا نجاة ارتمى بك الغم حتى بؤت بالداء وهو بئس القرين
فبدار المصح يجتمع الطـ ـب بأن الجراح نعم المعين

وأنـا مـن يـكـون جـراحـك الما هـر لـكـن نـجـاة لا تستبين

نجاة تحب التعرف على جراحها

قمت بالجرح والعلاج المفيد فترامى النشاط بي من جديد
أتـرى لي حق التشرف بالاسـ ـم لأدري ولـي فضـل عتيد

المختار يصارح نجاة

أنـا مـختـار يـا نـجـاة فـلا وا خـذك[1] الله يـا جـمـال الغيد

نجاة

هبني العفو يا ابْنَ وُدِّيْ على ما كـان مـن قسوة لـذاك الطريد
وأرانـي لـو يقتل النـدم الحـ ـيَّ لأبصرتني برمس[2] بعيد

المختار

يغفر الله يـا نـجـاة لـك الما ضي وإنْ كـان غير فعل حميد
فـلـئـن سـاءت الـبـدايـة يـوماً فَـلْـيَـكُ الخير مسك ختم سعيد

* * * * *

(١) وَاخَذَك: ورد في المعجم آخَذَ، يؤاخِذُ، مؤاخَذَة، ولم ترد واخَذَ. واللفظة ترد بمعنى المعاتبة كقول الله عزوجل: ﴿لا تؤاخذْني بما نَسِيْتُ، ولا تُرْهِقْني من أمري عُسْرا﴾. سورة الكهف، الآية: ٧٣. وتأتي بمعنى عاقبه على ذنبه، كقوله تعالى: ﴿فَكُلاً أخَذْنا بِذَنبه فمنهم مَنْ أرسلْنا عليه حاصبا ومنهم من أخَذَتْهُ الصيحة ومنهم من خَسَفْنا به الأرض ومنهم من أغْرَقنا﴾. سورة: العنكبوت. الآية: ٤٠.

(٢) الرَّمْسُ: القبر.

(٤) الغار الرهيب

الخادم يحدث نفسه

طاردتني تحت الخفاء رُؤَاها ... فتمنيت في الخفا أنْ أراها
وتــراءت مظاهـراً من جمال ... بهرتني فكيف لي بِخَفَاها
ورَنَــتْ كالغزال رَوَّعَــهُ القا ... نص والنفس كم تدسّ مناها
ثــم لاحــت خميلة من زهور ... بَلَّلَ الغنج والدلال ثراها

الخادم يشبه سيدته بخميلة

فــإذا الآســس قامة تــتهادى ... في نضير الحياة فوق رباها
وإذا طاقة الرياحين خدّ ... ضرَّجته تحت الحياء دماها
وإذا الياسمين في بَلَجِ الحا ... جب[١] فجرٌ ينشق عنه دجاها
وإذا النرجس الحَيِيُّ عيونٌ ... خجلت من عشيقها إذ رآها
وإذا الورد وجنة صافحتها ... نسمات الهوى تمج نداها
وإذا كوثر الشقائق في الطلـ ... ـع زلال تضمه شفتاها
وإذا السوسن المورد جِيْدٌ ... نَصَّهُ الحُسْنُ[٢] في الحليِّ فتاها
وإذا الفُلُّ وهو في زهرة السو ... سن قرط بأذنه يتلاهى
وإذا الجُلَّنَار يزهو على الور ... د برمانة عليه جلاها[٣]

الخادم يواصل حديثه

وتَخَالُ[٤] النسيم يعبث فيها ... همسات العشاق تشكو هواها

---

(١) بَلَجَ الحاجِبُ: تَنَظَّرَ سرورا.
(٢) نَصَّهُ الحُسْنُ: بلغ منتهاه من الحُسْن.
(٣) الجُلَّنار: الرُّمان.
(٤) تَخَالُ الشيءَ تظُنُّهُ.

وتخال الفراش يرتشف الزهـ ـر كرشف الحبيب فضل لماها
وكـأن الطيور وهي تغني نغمات الأوتار بين رباها
وكـأن المياه فيها خريرا رجع عصفورة تنادي أخاها
وحياتي لها وفارس أحلا مي هواها ومنيتايَ لقاها
وسأحيا أدبر الكيد والحيـ ـلة حتى تلين لي كتفاها

الخادم يبدأ بالمكيدة

سيدي هذه الرسالة فاقرأ ها وقل ما تراه في معناها
وأنا عبدك المطيع فَمُرْني تُلْفِ نفسي مُطَهَّرًا مغزاها[1]
ولقد طالما وقفت على جنـ ـبك أتلو الصلاة إذْ تقراها
ولكم صُمْتُ للمهيمن نفلا في حياة أكاد أن أشآها[2]

السيد يسأل الخادم

أبريد أعطاكها أم رسول يا لَلَهْفي حوادث أخشاها

السيد في قرارة نفسه

أترى صهرنا قضى أم سيقضي حالة للنفوس ما أنكاها

السيد يطمئن للخادم فيرسل معه السيدة

هذه بنته وسيدة البيـ ـت فخذها إليه كي يلقاها
وأعِدَّ الظهر الوطيء وبادر ماشياً خلفها لدى مسراها
وسآتي غداً إليكم ويقضي الله ما شاء إنه مولاها

---

(١) تُلْفي نفسي: تجدها.

(٢) أشآها: أسبقها.

الخادم يتحقق له ما أراد

فرصة العمر فجأة سنحت لي ... كم رجوت الزمان أنْ أُوتاها
ليلتي ليلتي أبيت أصلي ... ساجدا في ترائبٍ أهواها
بين سحر وبين نحر تناهى ... فيهما الحسن والجمال تباهى
ألْثَمُ الورد وجنة وأَمُجُّ الثغـ ... ـر عن خمرةٍ شهيّ جناها
يا أتاني عن الطريق إلى الغا ... بة كي تبلغ المنى منتهاها

السيدة تسأله

أين نبغي فإني أراك عن الدر ... ب عدلت الزمام نحو سراها

الخادم يصرح للسيدة عما يكنه

كي أريح الأقدام من دأب الوط ... ء عليها مساءها وضحاها
وأقضي لديك ساعة وصل ... السعيدُ السعيدُ من قضاها

السيدة تتضرع إلى الله

يا إلهي كيف التخلص من حا ... ل رمتني فأقصدت مرماها
دس ذا العبد كيده فسطا بي ... ما لزوجي كرامتي ينساها
أِلسَهْوٍ تراهُ أم حسن ظن ... يا لظن يذوب في حسناها

السيدة تفكر في الكيد

أتراني إلا بكيد ولين ... أستطيع الخلاص من بلواها
يا إلهي الموت أهون عندي ... من ركوب الفحشاء أو مأتاها
فاقض لي بالخلاص أو بوفاة ... فالكريم الكريم من يؤتاها
وأنلني شجاعة واصطباراً ... عند مس اللأواء أو لقياها

السيدة تبدأ ممارسة الكيد

يا رفيقي أرى فؤادي لا يصبـ ـو لشيء أو أستبين مداها
فأبي في السياق في القلـ ـب كنارٍ تأججت في لظاها
أتريد الأعضاء والقلب يغلي أم تريد الجميع عند لقاها
سر بنا أو نرى حقيقة ما حلْ ـلَ بداري إنْ عَفْوُها أو بلاها
فإذا العَفْوُ كان عُدنا وللنفـ ـس سرور يشدها لمناها
وإذا كانت الأخيرة فالنفـ ـس عن الحزن إنْ يطُلْ تتلاهى
وسأبقي قلبي لديك رهينا وفؤاد الحسناء كل رضاها
وبنفسي قد شدّ نحوك خيط من غرام نِيْطَتْ عليه عُراها

الخادم يشتد نحو مهمته

خدعة ما أخالُها[1] لك تجدي قط نفعا فلا تَحُثِّيْ خُطاها
واستقري لمتعة الوصل حتى تستقر النفوس وسط حشاها
فهي لا شك ساعة كم تمنَّيْـ ـتُ لقاها في حبها أو قلاها
وبذلت النفيس والنفس فيها أتريني أُضِيْعها إذ أراها
هذه حيلة المحبة إنْ شئـ ـتِ وإلاَّ فهاكِ حَدَّ مُدَاها[2]

السيدة تعيد التفكير

أتراني فشلت في الكيد لكن نزعة الموت لا يطاق مداها
سأعاني ضربا من الكيد حتى أحرز النصر أو أصيب تَوَاهَا[3]
سَأُرِيْ العِلْجَ شرَّ ما قد جناه كمْ أماتَ الحيَّاتِ شرُّ جِناها[4]

(١) ما أخَالُها: ما أظُنُّها. العِلْجُ: كل شديد جافٍ. جِنَاها: مفردُها جناية، وهي الذنب، والجريمة.
(٢) مُدَاها: المُدَى، مفردها مُدْيَة وهي السكين.
(٣) تواها: هلاكها. من التَّوَى وهو الموت والهلاك.
(٤) العِلْجُ: كلُّ شديدٍ جافٍ. جِنَاها: مفردُها جِناية، وهي الذنب، والجريمة.

السيدة بضرب آخر من الكيد

أنـا أهـوى مـا أنـت تـهـواه مني ... غـير أن الأحـزان مـا أقساها
طـوَّحَتْ بـي عن الغـرام ومـا فيـ ... ـه وباتَتْ يفري الحشا حدَّاها
فـحـديـثـا حُـلْـواً وبـسـمـة حب ... أو نـراهـا تـمـوت فـي مثـواها
وعلي الحديث فاسمعه إنْ شئـ ... ـت وخـذ قصة كما نُـرواهـا[1]

السيدة تروي القصة

حَـضَـرِيٌّ لـه حـلـوب مـن الأبـ ... ـقـار صـفـراءُ فـاقـعٌ مـرآهـا
تـبـهـج الـنـاظـريـن أروع مـن مو ... صوفة الـنـص[2] عنده معناها
شَـرَكَتْ أهـلـه وأبـنـاءه فـي الز ... اد حتى فـي الـحـب إذ يرعاها
جـاء يـومـاً لـداره بَـدْوِيٌّ ... حـلّ ضـيـفـاً عـلـيـه فـي مبناها
فـرأى البقرة الحلوب فراعتـ ... ـه فـوافـى يـرفـضّ آهـا وآهـا

البدوي للحضري

يـا رفـيـقـي أهـنـتـهـا فـي ربـاط ... مـا لفحل الجيران لا يغشاها
إنْ تَدَعْها كـذاك تغْدُ قريبا ... عـاقـراً والألـبـان لـن تلقاها
فـدع الـربـط فـهـو أنـكـى عليها ... وإذا سمتها[3] اشتهت مرعاها

---

(١) كما نُرْوَاها: كم تُرْوَى لنا.

(٢) موصوفة النَّصّ: النَّصُّ من الشيء مُنْتَهاه ومبلَغُ أقصاه. ويجوز أنْ يكون المرادُ أنها أرْوَعُ من بقرة بني إسرائيل التي ورد وصفها في نص قرآني في سورة البقرة: ﴿قالوا ادْعُ لنا ربَّكَ يُبَيِّن لنا ما هيَ قال إنه يقولُ إنها بقرةٌ لا فارضٌ ولا بكرٌ عَوَانٌ بين ذلك فافْعَلوا ما تؤمرون ۝ قالوا ادْعُ لنا ربَّكَ يُبَيِّن لنا ما لونُها قال إنه يقولُ إنها بقرة صفراءُ فاقعٌ لونُها تَسُرُّ الناظرين﴾. سورة البقرة، الآيتان: ٦٨، و٦٩.

(٣) سمتها: أي جعلتها سائمة تبحث عن رعْيٍ لها.

الحضري

وَيْـكَ ما في البلاد فحلٌ فآتيـ ـه بها عَلَّه إذَنْ يرضاها
وإذا ما فككْتُ سلسلة الربـ ـط فإني من مهرب أخشاها

البدوي

أنا عندي فحل كريم ومرعى وفضاء إن شئت أن أرعاها
ومتى أخصبت وباشرها الفحـ ـل ترامت إليك ما أهناها

الحضري

هاك خذها وعُدْ بها عن قريب يا صديقي مباركاً مسراها

البدوي

لا تفكر فسوف تأتيك حُبْلى يتهادى في دَرِّها خِلْفاها[1]

الحضري

قد مضى منذ راح عامٌ وعامٌ كيف ضاعت مني؟ ومَنْ يرعاها؟
أتراني أدريه مَنْ هو أم أد ري مكان المهاة من صحراها

الحضري يشكو إلى الله فَيُشَكِّيْه

يا إلهي أشكو إليك ظلوما سلب المال من يدي إذْ أتاها
ليس إلاَّكَ يا إلهي من يشـ ـكو إليه الخطوبَ مَنْ يخشاها
فتدارك وديعتي من يد الخا دع رداً إلى مولاها
هذه الحلوب على البا ب كأنْ يقرع الفنا قرناها

(١) خِلْفَاها: مُثَنَّى خِلْف وهو الضَّرْع.

الخادم ينعس فتستغل الفرصة

نعس العبد يا يدي فاستغلي فرصة النوم قبل أنْ يشآها
واستبيحي سكِّينه من حماه ودعي صدره بها أفواها

السيدة تراجع نفسها بعد قتلها الخادم

يا للهفي قتلته أتُرَى إنْ عدتُ داري أُرْضي بفعلي أخاها[1]
إنَّ زوجي يحبه ويراه خير مَنْ في الحياة مِنْ أُمَنَاها
ليس يدري ما طَيّه مِنْ عيوبٍ كم عيوب أضفى عليها خفاها
أنا أدري به وأفهم منه نظرات ملعونة مذْ صباها
غير أنَّ الأحزانَ طاشت بِلُبِّي فنسيت العيون سوءا رؤاها

السيدة تقطع الجثة أشلاء

إِرَباً اقطعيه يا مُدية الشـ ـر ويا كيس ضم عني بلاها
وأعني يا ثائر الدم بالخو ف على حملها أواري خفاها

السيدة تقرر الهرب من الحادث

يا طريقي تَبَيَّنِيْ خطواتي عارياتٍ من عِظْمِ ما قد عراها
وانفرج عنك أيها الكهف واترك حلق الوهم تنشد الجن فاها
فأنا فيك سوف أبقى خيالا أو ألاقي المنون سودا خطاها
وأمامي ضحيتي وأذاها ووراءي مخاوفي وسُطاها

(١) أخو الدار: صاحبها. تعني زوجها.

السيد يجتمع سَمَرًا ببعض رفاقه

يا رفيقيَّ هلا سمعتم بشيء نال صهري في غدوتي أو مساها
فلقد جاءت الرسالة منهم ينظر الموت ضمنها من يراها
فَهَفَتْ بِنْتُهُ إليه ولا أعْـ ـلم ما كان ثَمَّ بعد سُراها

الرفاق

سِرْ إليهم فالليل شاتٍ طويل وستدري قبل الضحى ما وراها

السيد

أنا أهوى المسير مُنْبَلَجِ الصبـ ـح إذِ الشمسُ حول راد ضحاها

الرفاق

أنت تخشى الظلماء إذ تتحد اك أحاسيسها وجِنُّ دُجاها

السيد

لستُ أخشى الظلام والجِن فيه والشياطين سخطها ورضاها

الرفاق يراهنونه

إنْ يكن ما تقول حقا فهذي قطعة النقد تستبيك رؤاها
قم بها مسرعاً إلى ذلك الكهـ ـف على الغابة البعيد مداها
ثم ضع قطعة النقود عليه وتردّى الظلماء[1] تحت سماها

(١) تَرَدَّى الظلماء: التحف بالظلام.

السيد يتحفز للرهان

يا حسامي كن نبض قلبي فقلبي ... لا يخاف الأهوال في ظلماها
ودَعِ المُهْر وهو يعثر بالخو ... ف فَنَعْلي لديَّ ما أكفاها

السيد عند الكهف

يا فؤادي ما للذئاب تعاوَى ... حول ذا الكهف ما الذي أعواها
أضحايا في الكهف أم هؤلاء الجـ ... ـن أم غاية لها مغزاها
سِرْأمامي يا قلب وادخل على الكهـ ... ـف فإنَّ الشجاع لا يخشاها

السيد يُرْمَى بالآراب داخل الكهف

يا لَقَلْبي رُمِيْتُ قِفْ أَتَبَيَّنْ ... من رماني وما التي ألقاها
إنها مِعْصَم فسِرْ نحو راميـ ... ـها إلى أنْ نفضي إلى أقصاها
ما تُرانا نُرْمَى بإرْبٍ فإرْبٍ ... خلِّ عنك الآراب واستقصاها

السيد يرى في الكهف شبح امرأة

يا حسامي أرى أمامَيَ شخصاً ... ذا هموم تغشاه أو يغشاها
إنها غادة بدون سلاح ... وسلاح الحسناء في مبكاها
أمة الله من أنت قولي ... إنَّ سيفي كم هامةً أوداها

السيدة تسمع صوت الرجل فتعرفه

يا لنفسي أهذه نغمة الزو ... ج يقينا أم مسمعي أخطاها
فإذا كان ما توخيت حقا ... فحياةٌ تَبَيَّنَتْ مبداها
وإذا كان غيره فوفاة ... لوفيٍّ في عزة يهواها
وهما الحسنيان والله حسبي ... لحياة بقربه أرضاها

السيدة تجيب الرجل

أنا خَـــوْدٌ أضاعها الـزوج لما ... سـامها تـحـت خـائـن يـرعـاها

السيد يتأسف على ما أصاب زوجته

ويـل نفسي على شريكة عرشي ... مـا دهـاهـا ومـا الـذي أضـواها

السيدة تواصل الحديث

كادكَ العبد فيَّ كي يـبلغ القصـ ... ـد فَصَـدَّ الطريق عن مجراها
فـــأراد الـــذي أراد ولـكـن ... كِـدْتُـــهُ مثلَ كيده إذ تاها
فمزجت الحديث باللطف حتى ... نـام والـنـوم كـم نُـهـىً أنـاهـا
فوضعت السكين في النحر منه ... ووقـيـتُ النـفوسَ مـن مخزاها
ثم لما وقعتُ في القتل عمداً ... خفتُ شرَّ القصاص من مولاها
فـرأيـت الحـمـام أهــون عندي ... مــن تــرجـي إهــانــة ألـقـاهـا
فجمعتُ الآرابَ في الكيس هذا ... وانتحيت الغار الرهيب اتجاها
فاقضِ ما أنت يا حبيبي قاضٍ ... إنْ حـيـاة أو مـوتـة أهـواهـا

السيد يجيب السيدة ويكبر شأنها

أنت نفسي بل أنت أكرم من نفـ ... ـسـي لـمـا قـد بـنـيـتـه لعلاها
فاطمئني لا راعـك الدهـر إني ... بـك يـا مفـخـر النـسـا أتـبـاهـى
لك بالقلب أمس جـزء من الحـ ... ـب فأضحت أجـزاؤه لك جاها
وأنـــا والـغـلام والـنـاس طـرا ... للحَصَان الـرزان[1] نحن فداها

(١) الحَصَانُ الرَّزَانُ: المرأةُ العفيفة الوقورة.

السيد يقبض على يد زوجته ليعود إلى المنزل

فـإلـى دارنـــا لـنـحـيـا عـلـيـهـا وعـلـيـنـا مـن الـحـيـاة سـنـاهـا
لابسين الفخار والحمد أثـوا بـا يـضـيء الـكـونـيـن نـور بهاها
ونروض السرور والأنس والأفـ ــراح فـي غـبـطـة سـعـيـد هـنـاهـا

* * * * *

(٥) الخَيْزُرَان والرشيد[١]

هذه القصيدة والقصائد التالية نقلتها إلى هنا من ديوان وحي العبقرية، وهي: الخيزران والرشيد، وسلطان الغرام، ومن قصص الماضي، ومبعث الأسى، والبدويُّ والوهم، وعند المَوْصِلي، ومن مُلَح الرشيد، والحزم والوفاء، وعلى بيتي المأمون، ونزار وبنوه، ومن طرائف المأمون، وحفظ الكرام، وجذيمة والأحداث، والمأمون والجارية، وأقصوصة الروض. وذلك لارتباطها الموضوعي مع قصائد هذا الديوان. وجميعها راجعتها طبقا لديوان وحي العبقرية المطبوع.

(١) الخَيْزُرَان: نَشَأَتْ امرأتان في قصور خلفاء بني العباس عُرِفتا باسم الخَيْزُرَان. الأولى هي الخيزُران بنت عطاء الجُرَشِيَّة، جارية من اليمن، سمراء شبه زنجية، كانت على مستوى فاتن من الجمال، ممشوقة القوام، اشتراها الخليفة العباسي المنصور في مكة من رجل بدوي كان خطفها. فَبَهَرَتْ النخبةَ من سيدات المجتمع العباسي حتى رحن يقلدنها في حُلِيِّها وتسريحات شعرها. فافْتَتَنَ بجمالها المهدي بن المنصور، فأعتقها والدُهُ لأجله، فتزوجها المهدي وولدت له موسى الهادي وهارون الرشيد. وقد استغلَّت الخيزُران ما تتمتع به من جاذبية وقوة تأثير، ففرضت إرادتها على شؤون الخلافة، زمن زوجها المهدي وولديها الهادي والرشيد، حتى إنَّ كتب التاريخ تذكر أنَّ ولدها الهادي عمد إلى اغتيالها ليتخلص من سطوتها فقدم لها طعاما مسموما، لكن الله تعالى لم يقدّر نجاح خطته. أنظر كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢/١٤١٥هـ/١٩٩٥م، الجزء الثامن ص ٣٤٦-٣٤٨. كتاب تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) لمؤلفه أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ومعه كتاب صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي (ت ٣٦٩هـ)، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، ج٨، ص٢٠٥-٢٠٦. وانظر كذلك كتاب أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص٣٩٥-٤٠١. والخَيْزُرَان الثانية هي المَعْنِيَّةُ في هذه القصيدة، وهي أيضا جارية من الجواري، لكنها تخص الخليفة هارون الرشيد، وسيأتي بيان قصتها في حاشية تالية على البيت الثامن والثلاثين في هذه القصيدة. ملاحظة: بعض تفاصيل هذه القصة سترد أيضا في قصيدة تالية عنوانها: من مُلَح الرشيد. الرشيد: هو هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي ولد سنة ١٤٥هـ/٧٦٣م. خامس الخلفاء العباسيين، وأشهرهم وأعلاهم ذكرا وصيتا. بويع بالخلافة سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م، وتوفي سنه ١٩٣هـ/٨٠٩م.

سَـلاَهَا قبل هيمنة المساءِ ... أكانت والحبيب على جَفَاءِ
سَـلاَهـا والـظـلام لـه صُـداء ... حـواليـها ورَجْـعٌ مـن زُقـاء[1]
سَلاَها والدجى حيران تهوي ... به الأنـات في أرض عـراء[2]
سَلاَها والحبيب على فراش ... كـأن وطـاءه شـوك الفـنـاء
يَـبِـيْتُ يسـاور الأحـلام فيها ... فيصبح وهو محلول الوِكاء[3]
تـداعـبـه إشـارات الأمـانـي ... فيهفو خلف أجنحة الفضاء
وكم قد بات تحت السرّ يجلو ... سرير الأُنس في ليل الشتاء
يعانق غصنَ بانٍ فوق دِعص[4] ... ويلثم ما كسته يد الحياء
سَلاَ قصر الرشيد عن الزوايا ... وعـن أقـمـارها تحت الخباء
وقُـصَّـا عـن مـفـاجـأة الـتـلاقـي ... وعـن همساته حول الرفاء[5]
وعـن آلام لـيـل الـشـوق فيه ... وعـن أحـلامـه تحت الخفاء
وعن حسناء خامرها التَّمَنِّي ... بـشـهـد مـن خَـلِـيَّـات الـلـقـاء
فباتت تعزف الألـحـان فيه ... بأحضان الحبيب على هناء
مُـدافـعـةً تـذلـلـها عـزومٌ ... يطيش بها الغرام على كفاء
وآمـالٌ أتـاحـتـها الأمـانـي ... كـمـا شـاء الـهـوى دون اتِّـقـاء
لها عِصَمٌ خيوط الشرع فيها ... يـواصـل عَـقْـدها كـف الـثـراء
جـوارٍ بـالـهـنـاء لـمـالكيها ... جـوارٍ تحت أروقـة الصفاء
فما بـالُ الرشيد يحيدُ عنها ... مُـجَـانَـبَـةً إلـى غير ادِّنـاء[6]

(١) الزقاء: صوت الطائر.
(٢) الأرض العراء: التي لا أنيس بها.
(٣) الوِكاء بكسر الواو: خيط يشدّ به فم القربة.
(٤) الدعص: قِطْعَةٌ أوْ تَلٌّ مِن الرَّمْلِ مُجْتَمِعٌ وَمُسْتَدِيرٌ.
(٥) الرفاء: وِئام واتفاق وحُسن عِشْرة.
(٦) ادّناء: اقتراب.

أبـا الـمأمون في تـرف منوطٍ ... عـلى شـرفٍ تـحـدَّرَ عـن عـلاء
أتَسْـلُـو الخيـزاران وقد طواها ... عـلى الـهـجـران كـفُّ الإلـتـواء
وأنْـشَـرَهَـا جبينُ الفجر منها ... وأخْفَتْها الضفائرُ عـن مساء
وجاذبها الشبابُ إلى التصابي ... فباتت وهي فاقدة الذكاء[1]
تُمَـنِّـي من حبيب القلب وصلا ... ولا وصْـلٌ فـتـلـجأ للـبكاء
خـذي لليأس دربـك فهو أولـى ... ودلِّـي فـهـو أجـدر بـالنساء[2]
ونـادي الصبـر فـي سـرٍّ وجهر ... فـإنَّ الصـبـرَ مَـرْهَـم كـلَّ داء
وناغي في الرياض هواكِ طفلا ... لـدى نغماتـه تـحت السماء
لعل حداة ظعنكِ[3] في سُراها ... تسوق لكِ الحبيب على الحداء
فيالك صدفة حُسْنَى تجلَّت ... حواليها المنى دون اعتناء
أتـى فيها الحبيبُ بغير وعد ... إلى البستان في حسن احتفاء
فـصـادفـهـا وإقـــلاعٌ لـغـيـثٍ ... مَرَتْـــهُ[4] يَـدُ الأنوثة عن دماء
أعـــدت شـأنـهـا لـلغسل منـه ... فهل هي والحبيب على تَـرَاءِ[5]
فـسـاورهـا دلال أو حـيـاء ... فـغابت تحت أردية الـرواء
وأرسـلـت الـضـفـائـر حـالـكات ... تصون الحسن عن غمزات رَاءِ[6]
أزيحي الستر فالمحبوب وَلَّى ... وعـاد بجسمه نـحـو الـوراء
وخـلَّـف قلبه طيـراً أسـيـراً ... بـفـخ هـواكِ خـلـوا مـن عـزاء
يقوم على سواء العرش منه ... جـلالٌ كَـمْ تـربَّـعَ فـي السـواء
ينـادي مَـنْ مِـنَ الشعرا بـبابي ... عـليّ بـهـم لِحُـسْـنِ الابـتـلاء

(١) الذكاء هنا بمعنى الرشد.
(٢) ودَلِّـيْ: أي أظهري دلالا وغنجا.
(٣) حداة الظعن: الذين ينشدون الأناشيد للإبل استثارة لنشاطها في سيرها.
(٤) إقلاع لغيث: إمساك السماء عن المطر. مَرَتْهُ: أزاحته.
(٥) تَـرَاءِ: تناظُـرْ. كلٌّ منهما ينظر إلى الآخر.
(٦) الرائي فاعل من رأى.

فجاء أبو نواسٍ والرُّقاشي يَجُرَّان الرِّداءَ إلى الرَّجاء[1]
فقال لهم أجيزا ما بنفسي وجُسَّا واقعي تحت الغطاء

(١) حُكِيَ عن الخليفة هارون الرشيد (١٤٩هـ-١٩٣هـ) أنه كان ذات ليلة من الليالي يطوف في داره، فلقي جارية من جواريه سَكْرَى، كان يَجِدُ بها وجداً، ويلتمس منها حاجته فَتَأْبَى، فجمشها (غازَلها بقَرْصٍ أو مُلاعبة)، فقالت: أمهلني الليلة يا أمير المؤمنين، وغداً أسيرُ إليك، فخلاَّها، فلما كان الصبحُ أرسل إليها خادماً وقال: أجيبي أمير المؤمنين، فقالت: قل له: كلام الليل يمحوه النهار، فأخبره بذلك، فقال له: انظر مَنْ على الباب من الشعراء، فنظر فَلَقِيَ الرُّقاشيّ (الفضل بن عبدالصمد (ت: ٢٠٠هـ/٨١٥م)، وأبا مصعب (عبدالله بن مصعب بن ثابت الزبيري، ت: ١٨٣هـ)، وأبا نواس (الحسن بن هانئ الحكمي، ت: ١٩٩هـ/٨١٣م)، فعَرَّفَه بهم، فقال أدخلهم، فلما حضروا قال لهم: أشتهي من كل واحد منكم شعراً في آخره: كلام الليل يمحوه النهار. فقال الرقاشي:

متى تصحو وقلبُكَ مُسْتَطَارُ؟ وقد مُنِعَ القرارُ فلا قرارُ
وقد تركتْكَ صَباً مُسْتَهاماً فتاةٌ، لا تَزورُ، ولا تُزَارُ
إذا وعَدَتْكَ صدَّتْ ثم قالت كلام الليل يمحوه النهارُ

وقال أبو مصعب:

أما والله لو تَجِدِيْنَ وَجْدِي لأذْهَبَ للكرى عنكِ الشرارُ
فكيف وقد تَرَكْتِ العينَ عَبْرَى وفي الأحشاء من ذكراكِ نارُ
فقالت: أنت مغرور بوعدي كلام الليل يمحوه النهارُ

وقال أبو نواس:

وليلاً أقْبَلَتْ في القصر سَكْرَى ولكن زَيَّنَ السُّكْرَ الوقارُ
وهَزَّ الريحُ أردافاً ثقالا وغُصناً فيه رمَّانٌ صِغارُ
وقد سقط الرِّدَا عن منكبيها مِنَ التَّجْميش وانْحَلَّ الإزار
مَدَدْتُ يديَّ لها أبْغِيْ الْتِماساً فقالت: في غَدٍ منكَ المزار
فقلتُ الوعدَ سيّدتي؟ فقالت كلام الليل يمحوه النهارُ

فأمر لكل واحد من الاثنين بألف دينار، وقال عَليَّ بسيف ونطع واضربوا فيه رقبة أبي نواس، فقال: ولم تضرب رقبتي يا أمير المؤمنين؟ فقال: كأنك كنت معنا البارحة، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بتُّ إلا في داري، وإنما استدللتُ على ما قلتُ بكلامك، فقبل منه وأمر له بعشرة آلاف دينار. أنظر كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لعبدالله بن أسعد بن علي اليافعي، (ت ٧٦٨هـ)، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت،

فلم يُصِبِ الرُّقاشيُّ الخفايا ... وأطلق مُهره خلف العياء
فدعنا من طرائقه اللواتي ... قد استعصت على هذا البناء
ولكن هاك سحر أبي نواس ... يزيح الستر عن وجه الخفاء
يقول لِمَا هنالك مستبينا ... حقيقته فخُذْهُ بِلاَ ادِّعاء
"نَضَتْ عنها القميص لصب ماء ... فَوَرَّدَ خدَّها فرط الحياء"
"وقَابَلَتِ الهواء وقد تعرَّت ... بمعتدل أرَقّ من الهباء"
"ومَدَّت راحة كالماء منها ... إلى ماء مُعَدٍّ في إناء"

ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٣٤٥-٣٤٦. وأورد الأتليديّ الحكاية بتفاصيل مختلفة، يقول: "وذكر الخطيب في بعض مصنفاته أنَّ الرشيد دخل يوما قبل وقت الظهر في مقصورة جارية تُسمّى الخيزُران على غفلة منها، فوجدها تغتسلُ، فلما رأته تجلَّلَتْ بشعرها حتى لم يُرَ من جسدها شيئا، فأعجبه ذلك الفعلُ واسْتَحْسَنَه، ثم عاد إلى مجلسه وطلب مَنْ ببابه من الشعراء؟ فكان أبو نواس وبشار. فقال: ليقل كلٌّ منكما أبياتا توافق ما في نفسي، فأنشأ بشار يقول:

تَحَبَّبْتُكُمْ، والقلبُ صار إليكمو ... بنفسي ذاك المنزلُ المُتَحَبَّبُ
إذا ذكروا الهجران، لا عن ملالةٍ ... وذكراهم، ينمي إليّ، مُحَبَّبُ
وقالوا تَجَنَّبْنَا، ولا قرب بيننا ... فكيف وأنتم حاجتي تَتَجَنَّبُوا
على أنهم أحلى من الشهد عندنا ... وأعْذَبُ من ماء الحياة وأطيَبُ

فقال الرشيد أحسنت، ولكن ما أصبت ما في نفسي، فقل أنت يا أبا نواس، فجعل يقول:

نَضَتْ عنها القميصَ لِصَبِّ ماء ... فَوَرَّدَ خدَّها فَرْطُ الحياء
وقابلت الهواء، وقد تَعَرَّتْ ... بمعتدل أرَقّ من الهواء
ومدَّت راحةً كالماء منها ... إلى ماء مُعَدٍّ في إناء
فلما أن قضت وطرا وهَمَّتْ ... على عجل إلى أخْذِ الرداء
رأت شخص الرقيب على التداني ... فأسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليلٍ ... وظل الماء يقطر فوق ماء

فقال الرشيد: سيفا ونطعا. فقال أبو نواس: ولمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: أمَعَنَا كنت؟ قال: لا والله، ولكنه شيء خطر ببالي. فأمر له بأربعة آلاف درهم. أنظر كتاب نوادر الخلفاء المشهور بـ: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تأليف محمد دياب الأتليدي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ١٥٠-١٥١.

"فلما أنْ قضت وطراً وهمَّتْ ... على عجل لتأخذ للرداء"
"رأت شخص الرقيب على التـ ... ـداني فأسْبَلَتِ الظلامَ على الضياء"
"فغاب الصبح منها تحت ليل ... وظل الماءُ يجري تحت ماء"
"فسبحان الإله وقد براها ... كأحسن ما يكون من النساء"
فقال له الرشيد قُتِلْتَ سيفاً ... ونطعا فهو من حسن الجزاء
فقال علام يا مولايَ قتلي ... ولم أركب مِطَا غير الولاء
أيُقتل إنْ دُعي فأجابَ عبدٌ ... وَسِيْلَ[1] عن الصواب فلم يُناء
فقال لِمَا أَتَيْتَ به صريحا ... أكنت حضرته والحال ناء
فقال العفو يا مولاي حدْسٌ ... لديَّ فإن أصبتُ فعن دهاء
وللتوفيق أسباب خفيّ ... تَبَيَّنَها عزيز الإنتماء
فقال له أمِنْتَ فخذ صِلاتي ... وباركها على لحن الغناء
وناد الشعر إنْ ساءتك حال ... تَجِدْه العون عند الاستياء
وخذ نفحات مسك الختم طيبا ... يعانقه الوفا عبر الفضاء

* * * * *

(١) وسيل: وسئل.

(٦) سلطان الغرام[١]

قصة شعرية

(١) هذه القصيدة توثيق لقصة الشاعر السلطان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني مع محبوبته راية. وقبل ذكر تفاصيل القصة ينبغي أن نعرف أن حكم عمان آل إلى هذا السلطان متسلسلا أبا عن جد، وقد بدأ حكم النباهنة وهم من أزد العتيك سنة (٣٦٣هـ)، وتواصل إلى بدايات القرن الحادي عشر الهجري. ولد السلطان سليمان في ولاية بهلا في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، ونشأ منعما في بيت الملك. وكان شاعرا بكل ما يعنيه مسمى شاعر، وهو من مفاخر عمان في الشعر. يمتاز شعره بجزالة اللفظ وفصاحته، وقوة السبك ومتانته، وعمق المعنى وبلاغته، وسهولة البيان ومناعته. شاعرٌ من طراز شعراء المعلقات، من ذلك ما قاله الإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي عن قصيدته التي يقول في مطلعها:

أَلِلدَّارِ من أكْنافِ قَوٍّ فَعَرعرِ ... فخبتُ النَّقا بطن الصَّفا فالمُشَقَّر

كأن سطوراً مُعجماتٍ رسُومُها ... إذا لُحْنَ أو هَلْهَالُ بُرْدٍ مُحَبَّر

بأنها تزاحم المعلقات السبع بلاغة وتزيد عليها جزالة ورشاقة. أنظر تحفة الأعيان للإمام السالمي، الجزء الأول ص ٣٨٣-٣٨٥. قَصَرَ السلطان سليمان شعره على الفخر والغزل. ويُحْكَى أنه كان يعشق امرأة تسمى راية، ويُفْهَمُ من سياق شعره أنها زوجته. كانت على قدر سامق من الحسن والجمال، ولذلك تُيِّمَ بها:

لرايةَ وجهٌ يكْسِفُ الشمسَ والبدْرَا ... ولَدْنُ قَوَامٍ يُخْجِلُ الصعدةَ السمرَا

وثغرٌ كمَنْطور الأقاحيّ واضحٌ ... وسلسالُ ريقٍ يفْضَحُ الشهدَ والخمرا

إذا نظرَتْ أصْمَتْ قُلُوباً وإنْ مَشَتْ ... مَشَى الشوقُ في أحْشاء عاشقها جَهْرا

وكان من بعض حُسنها أنَّ شعر رأسها يُغطيها إذا أقبلت، وإذا أدبرت. وكان من شدة إعجابه بها أنه يذكرها في كل قصائده خلاف ما كانت راية تحاذره من انكشاف سر علاقتها به. وحدث أن ذكرها وذكر محاسنها لوزيره، فأنكر الوزير وصفه، فأخذه ليراها خفية، وكانت إذا أقبل تُلاقيه، فانتبهت لوجود الوزير، وغضبت لذلك وأقسمت على هجرانه، واتفقت مع من يُخرجها ويهرب بها، وقالت في ذلك:

وحياة حاجته إليَّ وقُربه ... لأبْدِلَنَّ نعيمه بعذابه

ولأمْنَعَنَّ جفونه طيب الكرى ... ولأمْزِجَنَّ دموعه بشرابه

فأجابها قائد ناقتها: "وما هو ذنبه حتى استحق ما ذكرت؟ فقالت له:

مُذْ بَاح باسمي بعدما كتم الهوى ... دهراً وكان سكوته أولى به

ولو أنه كتم الهوى بلغ المُنى ... من حُبه ويداه تحت ثيابه

علق الخيال فهام بين شعابه ... وأتى الحقيقة وهي في أطنابه[1]
ورأى الجلالة في الخيال صبية ... فصبا إليها وهو في أوصابه[2]
يجلو الهوى متفننا عن شاعر ... في سحره ويجول ملء إهابه
متحرك السكنات إلا إنه ... خاوي العزيمة فاقد لصوابه
حيران يحسب غيه في رشده ... أبدا ويحسب شهده في صابه[3]
وهب الشباب حياته لغرامه ... ونعى الغرامُ حياتَه لشبابه
وإليك قصته كقبلة شيِّق ... في خدٍّ من يهواه غِبَّ عتابه
ملكٌ أطاعته النفوس سخية ... وأطاعه الناموس من أحبابه
راعته رايَةَ في الخميلةِ شادنا ... يسْتَلُّ سيف اللحظ من أهدابه
سكرى تَمَايَلُ في غلائل سندس ... كالبدر يمرح في قشيب ثيابه
ما زال قرن الشمس يصبغه الحيا ... مذ شام مفرقها وراء حجابه
والبدر لا ينفك يحسد وجهها ... لما رآه يلوح تحت نقابه
راعته مقبلة فأقبل ناشطا ... وتسللت فانهار في أعصابه
وتَبَسَّمَتْ فرأى الحياة نضيرة ... وتَجَهَّمَتْ فهوى على آرابه[4]
نجدية ما فارقت كرسيها ... إلا لتصبح زينة لجنابه

وقد أكثر السلطان سليمان من التحسر والتأسف على فراق محبوبته راية من ذلك قوله:

بموذيَةٍ عنا الركاب اسْتَقَلَّتِ ... فلم أدْرِ من بعد النَّوَى أيْنَ حَلَّتِ
تَوَلَّتْ فَأَوْلَتْني السقامَ فلم أكن ... لأسْقَمَ حتى أزْمَعَتْ فَتَوَلَّتِ

بعد مفارقتها له أصبحت قصائده لا تخلو من ذكرها أبدا حتى صار يلهج باسمها في مطالع قصائده، وذلك لتعلقه بها، وقلة صبره على فراقها، حتى أمسى كالمجنون مدلها بحبها ومولها بجمالها. أنظر ديوان النبهاني، الصفحات ٤٣، ١١١، ١٢١.

(١) الأطناب جمع طُنُب وهو حبلٌ يُشَدُّ به الخِباء والسُّرادق ونحوهما.

(٢) الأوصاب جمع وصب وهو المرض والألم.

(٣) الصّابُ: شجرٌ به عصارة بيضاءُ كاللَّبن بالغة المرارة.

(٤) الآراب جمع إرْب وهو العضو من الجسد.

يا ابن المظفر قد ظفرت بدرة ... عصماء كالتمثال في محرابه[1]
دُرِّيَّة البسمات هاروتية اللفتـ ... ـات كالصمصام بل كذبابه[2]
فاهنأ بها واشرب على قبلاتها ... كأس الهناء مشوبة برضابه
جاءتك معجبة بما أوتيته ... تدعو أخا نبهان في آدابه
فانشر جناحك واحتضن إخلاصها ... واحفظ هواها عن هوى متشابه
يا أيها الملك الذي لمس الهنا ... في (راية) الأفراح شمس كعابه
خَوْدٌ[3] تصبِّحه بقبلة مغرم ... وتنير ليلته بمثل شهابه
وإذا نأى عنها رعته بعينها ... وإذا دنى فالعطف في جلبابه
تلْقاه في البسمات دون خبائها ... وتضمه شوقاً لدى أبوابه
تهفو إليه في ضفائر فرعها[4] ... كالليل يزجي البدر تحت نقابه
يا ليته كتَمَ الغرام فلم يُذِعْ ... أسراره ليعيش في أحبابه
لكن وقد خفق السرور بقلبه ... وطغى الجواد به على أضرابه
فأباح عما في الخبا لوزيره ... فمضى الوزير يتيه في استغرابه
ويقول إنْ يكُ ما تقول حقيقة ... فلقد ظفرت من الهنا بعجابه
قال المليك نعم.. هَلُمَّ على الخفا ... لترى بعينك سر ما أحظى به
فتماشيا هذا يُدِلُّ بعُجْبِه ... جهراً وذاك يلوذ في أعقابه
لكنَّ رايَةَ كالغزال وقد رأى ... شبَحاً يَهُمُّ بختله وطِلابه
رأتِ الوزير فأدركت غاياته ... فتمنعت كالليث غاب بغابه

(١) المقصود بابن المظفر هو السلطان سليمان بن سليمان بن المظفر النبهاني.
(٢) دُرِّية البسمات: تشبيه لجمال مبسمها بتلألؤ أنوار النجوم. هاروتية اللفتات: جمال ملامحها يسحر الألباب كسحر هاروت الذي ورد ذكره في القرآن الكريم. الصمصام: السيف الصلب القاطع. وذباب السيف: حَدّ طرفيه.
(٣) الخَوْدُ: الشابة الناعمة الحسنة الخلْق.
(٤) فرْعُها: شعْرُها.

ودنا الحبيبُ من الخباء فراعه ... تغيير عادته وصدمة بابه
وَيْلُمِّها لمَّا عَلَتْ أكوارها ... واسْتَتْلَعَتْ كالظبي في أترابه[1]
وغدت تغني بالقريض كأنما ... تحدو ذلولا بات في أتعابه
"وحياة حاجته إليّ وقربه ... لأُبَدِّلَنَّ نعيمه بعذابه"[2]
"ولأمنعن جفونه طيب الكرى ... ولأمزجن دموعه بشرابه"
فأجابها ساعٍ وراء مَطِيِّها ... ما ذنبه وعلام فرض عقابه؟
قالت وقد رِيْعَتْ لوقْع ندائه ... ومدى تساؤله ولطف خطابه
"مذباح باسمي بعدما كتم الهوى ... دهراً وكان سكوته أولى به"
"لو أنه كتم الهوى نال المنى ... من حبه ويداه تحت ثيابه"
هذا الغرام وهذه سطواته ... ما المُلْكُ في سطواته وقبابه
أَوَمَا ترى السلطان في حكم الهوى ... حيران مُنْبَتاً على أسبابه
أخذته رايَةُ من معاقل ملكه ... فمضى يتيه مُلَفَّعاً بضبابه
ومضى يغني بالقريض وراءها ... كالبلبل الصداح في أسرابه
يلقى النهار تجملا فإذا دجا ... ليلٌ عليه ساغ أكْؤُسَ صابه
إصْبِرْ أوِ اجْزَعْ ما حييتَ فإنه ... حكم القضاء فكيف باستعتابه
والصبر من شِيَمِ الكرام وقلَّما ... جزع الكريم لحادث يُمْنَى به
ولربما ضاق الصبور بأمره ... فأتاه مسك الختم في أعقابه

* * * * *

(١) وَيْلُمَّهَا للأنثى، وللذكر وَيْلُمَّه: كلمة مركبة من «ويل» و «لأمه» ومعناها الدعاء على الشخص بالويل لأمه. استتلعت: أخرجت رأسها مما كان يواريه.

(٢) هذا البيت والذي يليه هو لراية محبوبة السلطان سليمان النبهاني.

(٧) من قصص الماضي

أفي الحب دون اللقا مَرْبَحُ ... أم الوصل أبهج ما تربَحُ
أم الحالتان هما كلما ... بهذي الحياة له تطمح
أم الدهر بينهما ثالثٌ ... وما الدهر؟.. إنهما أرجح
تَرُوضُ الطبيعة جرَّاهما[1] ... وقد أوجدا فيك ما يجنح
وأنت لأجلهما باخع[2] ... حياتك نفسك ما تبرح
رأيتُ اليراعة[3] في أسطر ... تقص أحاديث تُسْتَمْلَحُ
تعبر عن واقع رائع ... بلابله بالهنا تصدح
يمثل دور حبيبين في ... تلاقيهما والهوى يمرح
يصوغهما الوصل أقصوصة ... لسانُ الغرام بها يُفصح
فدونكما متعة حلوة ... دموع المَشوق بها تُمسح
بروحيَ من غار منها الجما ... لُ وراح بطلعتها يفضح
وجاءت كما تشتهي فتنة ... يهيم بها الصالح المُصلح
فتاةٌ تبادلني حبها ... وفي المتن ما لم يكد يُشرح
تقول وقد زرتُها مرة ... وللأنس من بيننا مسرح
يكاد السرور يطير السري ... ـر من تحتنا والهنا يشطح
ويلثمنا الحب عن وردة ... يضوع بها السرُّ إذ تنفح
ويرشفنا عن رحيق اللمى ... على مبسم بالرضا يطفح
ويجني براعم مُحْمَرَّةً ... تُصَافَحُ ضَمًّا ولا تُصْفَحُ
وقد بات فينا كما يشتهي ... وبتنا به فُرَصاً تسنح
نعاقره من كؤوس الهنا ... ونعقره كيفما يجنح

---

(١) جرَاهما: لأجلهما، بسببهما.

(٢) باخعٌ فاعلٌ من بَخَعَ. وبَخَعَ نفسَه: قتلها غيظاً أو غَمًّا.

(٣) اليَرَاعَةُ: القلمُ يُتَّخَذُ من قصب اليَرَاع.

إذا قوَّضَتْ ساعة خَيَّمَتْ ... من الأنس أخرى بها نمرح
وقد ضرب الليل من حولنا ... سُرَادق بالسر لا تسمح
ومن نسره فوقنا عائم ... تخال النجوم به تسبح
إذا رَمَقَتْهُ عيون الحبيب ... ب ترى الصبَّ من حسنِ ما يَلْمَحُ
تراه يهيم ولِمْ لا يهيـ ... ـم وقد هامت الأنجم الوُضّح
حبيب تناوم فوق السريـ ... ـر يحدّق في الأفق لا يبرح
تخالُ السماء وأفلاكها ... بمرآة عينيه إذْ تلمح
هناك وقد شعشعت خمرة الـ ... ـعناق وطير الهنا يصدح
رضاب هو الأَرْيُ لكنه ... يَمُجُّ السعادة إذ يطفح[1]
ودمع يرقرقه الشوق عن ... عيون المسرات قد يسفح
حبيبان لفّهما الوصل في ... غِلالَتِهِ والشَّذَا يَنْفَحُ[2]
تقول وقد كنتُ في سكرة ... ولكن بها لا بما يفضح
أقلِّبُ طرفاً رماه الهوى ... أُفَتِّحُهُ وهو لا يفتح
وألمسُ من تحت ثوب الخيا ... ل عين الحقيقة لا أبرح
وأسطو على بُرْعُمِ الجُلَّنا ... ر وكفّي بروضته يسرح[3]
وبي ناشط كالجواد الأصـ ... ـيل في شوطه سَدِكٌ يَمْرَحُ[4]
تقول أسُكْرًا حبيبي وقد ... عَظُمْتَ عن السكر يا مفلح
أكْؤُسًا تُدَارُ وعَتْبٌ يَدُو ... رُ وجدٌّ وهزلٌ فهل تمزح؟

---

(١) الأريُ: العسل. يَمُجُّ: يُلْقِي.

(٢) الغِلالَةُ: ثوب رقيق يشفّ ما تحته.

(٣) البُرْعُمُ: زهرة الشجرة قبل أن تتفتح. وبَرْعَمَ الشجرُ: أَخْرَجَ بَراعِمَهُ، أي ثَمَرَه وَهُوَ فِي بِدايَتِهِ.
الجُلَّنَارُ: الرمَّان.

(٤) السَّدِكُ: الخفيف.

أم الشوقُ عَلَّكَ[1] عن كأسه ... مـــــراراً فـبـت لـه تـــرزح؟
تُلَـمْلِـمُ فـرْعـي إذا مـا هفا ... على الـوجـه أجْـعَـدُهُ يَسْبح
وتَـشْـتَـدُّ لِلْيَـدِ إنْ حَـاوَلَـتْ ... عـن الشدِّ تُثْنِيك أو تكبح
فـقـلـت وحـقـك مـا لـي سـوى ... رضـابـك خـمـر لـهـا أجـنـح
ولـكـن كـذاك يـطـيـب العِنـا ... ق عـنـد الـلـقـاء لـمـن يفلح
كـذاك يـنـال الحبيبان من ... حـيـاتـهـمـا كـل مـا يـصـلـح
دعـيـنـي أُرَوِّضُـــن سـود العيو ... ن وحـمـر الشـفـاه ومـا يـملح
وأعـطـي الـهـوى بـالـهوى حقه ... وإنْ جـدَّ أو شـدَّ مَـن ينصح
دعـيـنـي أفـض خـتـام الهنا ... ء مسكاً على أفـقـنـا ينفح

* * * * *

(١) عَلَّكَ: سَقَاكَ بصورة مُتَتَابِعَة.

(٨) مبعث الأسى

خليليَ ما للدهر للشر يجنحُ ... وما لليالي بالمصائب تجمحُ
خليليَ ما بال النواعير في الربا ... تحن ولا جفن هناك مُقَرَّحُ[١]
يطارحها شَجْوٌ بقلبي مُبَرِّحٌ ... ويَجْرَحُها هَمٌّ بنفسي مُجَرِّحُ
ويغدو عليها السعد وهو مُكَبَّلٌ ... ويغدو عليها النحس وهو مُوَشَّحُ
وما هذه الأشباح في الدَّوِّ[٢] خُشَّعًا ... يُخَيَّلُ لي تحت السنابك تَسْرَحُ
ثلاثاً كأمثال السعالى عجائزًا ... ترى الموتَ منها فاركاً يَتَنَحْنَحُ[٣]
ضعافاً لها من رحمة اللّٰه قسطها ... ولكنه تحت الأسرة يذبح
لَبَسْنَ الحداد هامدات جواثما ... كمثل الأثافي بالطلول تُلَوَّحُ[٤]
تَعَرَّضْنَ والسَّيَّارُ يهوي كأنما ... به البرق يعدو أو به الريح تسبح
يَقُلْنَ على رَسْلِ الكرام فإنها ... كرائم في نَيْرِ الضرورة ترزح[٥]
أقام عليها الدهرُ من رأس شامخ ... فأنزلها حتى بدت وهي صَحْصَحُ[٦]
تَرُوحُ وتغدو الريحُ تعْفِيْ رسومَها ... فلا الموت يغشاها ولا العيش يَسْنَحُ[٧]
تَمُدُّ يداً تستنزلُ الجودَ بِلَّةً ... وقد طالما بَلَّتْ حَشًا باتَ يُلْفَحُ

---

(١) النواعير: جمع ومفردُها ناعور ولها معان عدة، منها الجرح الذي لا يسكن دمُه ولا يجف يُسمَّى ناعور. ولعل هذا هو المراد هنا.

(٢) الدَّوُّ: الفلاةُ الواسعة.

(٣) السَّعَالى: مفردُها سِعْلاة، وسِعْلى وهو الغول. فاركا: فَرَكَ الشيءَ: حكَّه لإزالة قِشره أو ما عَلِق به. فاركا: كارها.

(٤) الأثافي مفردها أُثْفِيَّة وهي ثلاثة أحجار توضع تحت القدر وتُشْعَلُ تحته النار للطبخ. الطُّلُولُ: مفردُها طَلَلْ وهو الأثر القديم.

(٥) النَّيْر: خشبةٌ معترضةٌ فوق عنقَي الثَّوْرَيْن المقرونين، لجرّ المحراث. ويُعَبَّرُ بها أيضا عما يرزحُ الإنسانُ تحت وطأته من المعاناة.

(٦) الشامِخُ: الجبل. الصَّحْصَحُ: الأرض المستويةُ الواسعَة.

(٧) تَعْفِي: تمْحُو. رسومها: آثارها. يَسْنَحُ: يَسْهُلُ، يَتَيَسَّرُ.

وتكشفُ عن وجهٍ كَمِ انْكَشَفَ الدُّجَى ... به، وانْجَلَى والخيل بالنصر تَضْبَحُ
لدى معشر صدق إذا اشتبك القنا ... على لَبَّة المقدام والحرب تكْلَحُ[1]
لدى معشر من آل أحمد ما غزوا ... فأخفق منهم رايـة حيث تجنح
فقلت هبيني الصبر فالصبر طاقة ... ومـا هـو إلا صخرة ليس تقدح
لئنْ رَابَكُنَّ الدهرُ فالرَّيْبُ شأنه ... وما الدهرُ إلا غاشمٌ أو مُطَوّحُ[2]
فقلن وهل نشكو سوى الدهر إنه ... هو الداءُ مُردٍ والدواء المُصَحِّحُ[3]
وهل نحن نخشى غيره قلت هوّني ... فللصبر إنْ لم يُسْعِد الجدُّ[4] أنجحُ
ودونـك دمعي إنـه مبعث الأسى ... وشر جفون الناس ما ليس يسفح
وهاكُنَّ وَفْري إنْ يكُ الوَفْرُ كافيا ... وما الحُرُّ إنْ لم يبذل الوفرَ يفلح[5]
وهـاكُـنَّ نفسي إنها غاية الوفا ... وخير الورى من كان بالنفس يسمح
فما فوق بذل الوفرِ للجود غاية ... ولا فوق بذل النفس للمجد مطمح
فَقُلْنَ اتَّئِدْ واسمع حديثاً نَقُصُّهُ ... فللدهر في الأحشاء جرحٌ مُبَرِّحُ
لقد غالنا[6] في مالنا ورجالنا ... وأبـنـائـنـا والـدهـر للحر يكبح
وأنْضَبَ عنا الماء والعيش والكلا ... ومجرى الهوا والنور واللّه يكفح
وغادَرَنَا في جُبِّ[7] يوسف مطبقا ... عـلـى ثـغـرهـا لا وارِدٌ لا مُـرَوّحُ
فهل مستطيعٌ أنـت شيئاً ففاعلٌ ... وهل حـادثٌ مما قصصناه أفدح

(١) اللَّبَّةُ: موضع القلادة من العنق، والمقصود موضع النحر من الإنسان. تَكْلَحُ الحربُ: أي لأنها مصدرُ الألم العظيم المؤدي إلى كَلَح الوجوه وهو عبوسها

(٢) رَابَكُنَّ: كان مصْدَرَ ريبة لكُنَّ. مُطَوِّحُ: فاعلٌ من طَوَّحَ أي ألقى. وطوائحُ الدهر حوادثُه التي يلقي بها على الخلق.

(٣) مُرْدٍ: مُهْلِك. المُصَحِّحُ: صَحَّحَ اللَّهُ الْمَرِيضَ: شَفَاهُ.

(٤) الجدُّ: الحظ.

(٥) الوَفْرُ: الغنى.

(٦) غالنا في مالنا ورجالنا وأبنائنا: أخذهم منا على غفلة.

(٧) الجُبُّ: البئرُ.

فقلتُ نعم فالبؤسُ تقفوهُ أنْعُمٌ ... ولن يغلب اليسرين عسرٌ مطحطح[1]
تعالينَ ندعو العلم فالعلمُ ناصرٌ ... وصارمُه في مأزق الكرب أجرح
تعالين ندعوه فللعلم ساعدٌ ... يَمُدُّ به لله كفٌّ مُسَلَّحُ
ولا تجزعي يا نسوة المجد إنما ... يهون القضا بالصبر والصبر أربح
فليس القضاء حينما جد جده ... بأعظم منه وهو للنفس يذبح
وليس القضاء مكفهراً[2] على الفتى ... بأخْوَفَ منه والقيامة تفضح
فوطّن عليه النفس واقهر جماحها ... فلست إذا لم تقهر النفس تفلح
وَرُبَّتَمَا[3] يستعذبُ المرءُ موتة ... وللنفس من أوطارها ما يُفَرِّحُ
إذا عرف المرءُ الحياةَ وغِبَّها[4] ... تصاغر في عينيه ما كان يفدح
هَلُمَّ إلى حُسْنِ العزاء فإنه ... لَأَحْمَدُ مما تَقْتَنِين وأمدح
فلا بد من يوم ثقيل على العِدا ... تُدَوَّنُ فيه الحادثاتُ وتُشْرَحُ
سَيُبْدِلُكُنَّ اللّٰه عن كل فائت ... وفي اللّٰه عن كل الذي فات مربح
فَسُرِّيَ عنهنَّ الذي كان عالقا ... بهنَّ وخير القول ما هو أنصح
وواسَيْتُها بالمال حتى تَضَلَّعَتْ ... وآسيتها بالنفس والنفس أصلح
فَعُدْتُ حميدَ الخطو مبتهجا بما ... أُتِيْتُ وما آتَيْتُ والدهر يجمح
على ماضِغِيْ[5] حمْدٌ وشكرٌ كأنني ... أنا الحمد أو معناه والحمد أوضح
لك الحمد ربي من مُقِرٍّ بعجزه ... ضعيفٍ عن الحمد الذي لك يَصْلُحُ
فخذ بيدي نحو الذي أنت أهله ... وسدد خطاي إنَّ قصدي مصرح

* * * * *

(١) مُطَحْطِحٌ: مُهْلِكٌ.
(٢) مُكْفَهِرٌّ: عابسٌ.
(٣) وربتما: وربما.
(٤) غِبُّ الحياة: عاقِبَتُها.
(٥) ماضِغِي: فَمِي.

(٩) البدويُّ والوهم

غَـــدَا الـــبـــدويُّ ذاتَ غَـــدِ ... يـــطـــوفُ الـــحـــيَّ كـــالأســـَـــدِ
يـــجـــر رداءه عُـــجـــبـــا ... ولـــيـــس الـــغـــي كـــالـــرشـــد
كـــــأن رداءه فـــيـــه ... مـــمـــشّـــةَ[1] دهـــنِ كـــل يد
تـــوارثـــه عـــن الآبـــا ... ء مـــن جَـــدٍّ إلـــى ولـــد
يـــراه خـــيـــر مـــا فـــي عـيـ ... ـبة الـــمـــيـــراث مـن سـبـد[2]
يـــروم ســـبـــيـــلـه ســعـيـا ... إلـــى الأســـــواق فـــي الـبـلـد
يـطـوف عـلـى نـســاء الـحـ ... ـي كالـمـخـتـال فـي الـــزَّرَدِ[3]
يـــقـــول لـــهـــن هـــل مـــن حـا ... جـة يـقـوى لـهـا جَـلَـــدِي
فـــقـــالـــت غـــادة مـنـهـ ... ـن هـاك السـمـن فاجتـهـد
وبـعـه بـسـوقـه وائـــت الـ ... ـدراهـــم غـيـــر مـتـئـد
فأمسك نَـحْـيَـهـا[4] ومضى ... يـــجـــر الـســـاق لـلـبُـعـد
يـداعـبـه خـيـال كـالـنـسـ ... ـيـم سـرى عـن الـبـرد
يـكـاد يـقـض مضجعه ... بـشـوق الـعـاشـق الـكـمـد
يـؤمـل درهـمـا مـن بـيـ ... ـع ذاك السـمـن إنْ يعد
يـقـول سـأشـتـري فـرخـا ... بـه فـيـكـون مـلـك يـدي
أربـيـه فـيـنـتـج ثـ ... ـم أفـراخـاً بـلا عـدد
فـأبـتـاع الـجـمـيـع فأشـ ... ـتري عـنـزاً كـمـنـجـرد[5]

---

(١) المِمَشَّةُ ما يُمَشُّ بها الوجه واليدين من منديل ونحوه، يقال مشّ يدَه يَمُشّها: مَسَحَها بشيء ليزيل ما عَلَقَ بها.

(٢) العَـيْـبَةُ: وعاءٌ ينقل فيه الزرع المحصود. السَّبَدُ: المال.

(٣) الزَّرَدُ: الدرع.

(٤) النَّحْيُ: زِقّ السّمْن وهو وعاء من جلد لحفظ الأمتعة السائلة كالماء واللبن والسمن ونحوها.

(٥) منجرد: الذي لا شعر عليه. والحيوان المنجرد يظهر نماء جسمه جليا للعيان.

أُوَلِّـــدُهـــا فـتـنـمـو تـحـ ـــت تـيـسٍ صـــادق الـولـد
فـتـصـبـح أعـنـــزاً فـأبـيـعـ ـــهـا بـغـلـيـظـة الـكـبـد[1]
مُـبَـــارَكَـــةٌ مـبـــارِكُـهـا إذا طـالـت عـلـى الـعـمـد
فـتـصـبـح فـي تَـيَـمُّـنـهـا ولـــودا دون مـفـتـقـد
وتـــغـدو وهـــي أم الـذو د مـســنـدة لـمـسـتـنـد
فـيـا فـــوزي غـــداة أبـيـ ـــعـه نـــقـداً يـــدا بـيـد
فـأمـثـل بـــالـكـرامـة بـيـ ـــن أيـــدي عـاهـل الـبـلـد
وأدرك بـغـيـتـي وأنـــا ل مـن دنـيـاي مـعـتـمـدي
أقـــدم خـطـبـتـي لـيـديْ كـريـمـتـه مـن الـخـرد
فـيـنـعـم وهـو يـرنـو الـمـا ل فـي كـفـيّ عـن مـدد
فـأكْـرِمْ بـي غـداة أعـيـ ـشـ فـي عـيـش بـهـا رغـد
وأكْـبِـرْ بـي وقـد أصـبـحـ ـت والـعـلـيـاء مـسـتـنـدي
وأسْـعِـدْ بـي وقـد زُفَّـتْ إلـيَّ كـريـمـة الـحَـتَـدِ[2]
كـمـثـل الـبـدر أو كـالـشـمـ ـس فـي مـوشـيـة الـبُـرُدِ[3]
وأعْـزِزْ بـي وقـد جـانـبـتـ ـهـا لـتـبـيـت فـي صـفـدي
وقـد كـانـت كـذاك الـحـا ل إذا أهْـوَتْ إلـى سـنـدي
تُـقَـبِّـلُ مـرشـفـي وتـضـمـ ـنـي عـن مـتـن مـرتـعـد
تـرى لـشـفـاهـا حـركـا ت مـضـطـرب مـن الـكـمـد
ولـكـنـي جـمـعـت لـصـد رهـا رجـلـيّ فـي حـرد
لأبـلـغ قـبـلـهـا قـصـدي وأعـرف مـنـتـهـى أمـدي
وأقـــرع بـالـحـصـا حـظـي بـمـجـلـى ذلـك الـصـدد

(١) غليظة الكبد: الإبل.

(٢) الحتد: الأصل الخالص.

(٣) موشية البُرُد: نوع من الثياب موشاة بالنقوش.

هنا والشمس تلفحه ... بنار الغيظ عن حسد
فَمَالَ إلى أَرَاكٍ دَوْ ... حُهُ بالظل مطرد
يروّح قلبه من لفـ ... ـح حرٍّ فيه متقد
يحدث نفسه عما ... يدور لديه في خلد
ويا لله إذ أوفى ... بقصته إلى الوتد
وأرسل رجله في صد ... ر ذات العد والعدد
ولكن لم يصب إلاَّ ... إناء السمن في جلد
فسال السمن وانكسر الْ ... إناء كضيعة الرشد
وظل العمر يلطم وجـ ... ـهه ويصيح يا نكدي
حلمت بزهرة الدنيا ... لأشفي غلة الكبد
وعادت منيتي أسفا ... يمجُّ الحزن في غَدَدي[1]
كذاك الوهم لا يمنى ... بغير الهمِّ والأوَد
تَمَنَّ على منار العقـ ... ـل وأقصده كمقتصد
تَنَلْ ما رُمْتَ منْ أمل ... وتحيى عيشة الرغد

* * * * *

(١) الغَدَدُ: طاعون الإبل.

(١٠) عند المَوْصِليّ[١]

سرى الشوق يطوي الليل والليل مُزْبِدُ ... يئنُّ كما أنَّ السليم المُسَهَّدُ
وأضحى يجوس الحي بين حسانه ... يسارقهن اللحظ والليل أربد[٢]
من الغور غارات عليه تخيفه ... ولا نجدة من نجدة الدّهر تُسعد
لديه أقاصيص حسان يقصها ... على فتيات الحي والحي يشهد
أقاصيص للمهديّ فيها سوائم ... تسام على حكم الغرام وترصد[٣]
يهش إليها السامعون كأنما ... يديرون كأساً من يَذُقْهَا يعربد
فأصغ إليها بين هارون عصرها ... ومأمونه والجيل بالفن يفخر
سمعت الغناء عن وحيد زمانه ... يحدث عن إسحاقه ويعبر
مغنٍّ ولكن للخليفة وحده ... وعازف عود للخلافة يحصر
رمته بسيف اللحظ بيضاء طفلة ... لعوب جواري القصر عنها تقصر
وعاش يغني إذ يغني بحبها ... وباتت به في سرها تتصور
ولكنه ما كان يخلو لنفسه ... فواقا فيسمو للقاء ويعبر[٤]

---

(١) المَوْصِلِيُّ: إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي بالولاء المَوْصِلِيّ (٧٦٧م-٨٥٠م). عمدة المغنين ورواة الألحان في العصر العباسي، كان طَيِّب الصوت، متقن الصنعة، عالما بأحوال النغم وطرائق الإيقاع، يقول الشعر ويصوغه لحنا، وهو الذي صحح تجنيسات الألحان كما رويت على مذهبه في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني. أنظر الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، المجلد الأول، حرف الألف، مادة إسحاق الموصلي ص ٢٧٨.

(٢) ليلٌ أزْبَدُ: اكْتَنَفَهُ الغَيْم. يُقَالُ ازْبَدَّتِ السماءُ: امتلأت بالغيوم.

(٣) المهدي: ثالث خلفاء الدولة العباسية واسمه: محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. ولد عام ١٢٧هـ/٧٤٥م. وَلِيَ الخلافة بعد وفاة أبيه أبي جعفر المنصور سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م. أنظر سيرته في كتاب تاريخ الطبري، دار ومكتبة الهلال، ج٥، ص١٦٥٧.

(٤) الفواق: فترة زمنية قصيرة قدَّرَها الأقدمون بما بين حلبتين أي ست ساعات تقريبا بتوقيت عصرنا.

وكم قد تمنى خلوة من حياته ... يَمُجُّ بها كأساً من الأنس مترعا
فَوَاتَتْهُ خلسا والزمان كأنما ... يروض له ساجي المدامع أتلعا[1]
فلما أجَنَّتْهُ مع العود ليلة ... غُدافيّة مذ راهقت لم تبرقعا[2]
يضاحكه فيها من البرق مبسم ... ويبكي له طرف من الغيم أدمعا
وللبرد فيها هزة إثر هزة ... وللريح بين المانويات مُدَّعَى[3]
تمنّى بها وصل الحبيب ولم يزل ... يصور أحلام المنى متوقعا

(١) ساجي المدامع: فاتر الطرف. أتلع: أخرج رأسه مما كان يواريه.

(٢) ليلة غدافية: مظلمة.

(٣) المانويات جمع مانوية، وهي ديانة ابتدعها رجل فارسي يُدعَى ماني بن فانك الفارسي ظهر جنوبي مدينة بابل في العراق سنة ٢١٦ ميلادية، في زمن كسرى شابور بن أردشير. مزج ماني في ديانته تعاليم المسيحية واليهودية والبوذية والزرادشتية. وزعم أنَّ موجد العالم اثنان: النور خالق الخير، والظلمة خالق الشر. وأنهما أزليان حيان. وفي العصر العباسي جدد بعض الفرس إحياء عقائدهم البالية، ومنها ديانة ماني. وقد ردَّ الشاعر الكبير المتنبي على فكرة المانوية بقوله:

وكم لظلام الليل عندكَ من يَدٍ ... تُخَبِّرُ أنَّ المَانَوِيَّة تكْذِبُ

أنظر كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، لمؤلفه عياض بن موسى بن عياض اليَحْصُبي السبتي، (ت ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء، عَمَّان، ط٢، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص ٦٠٥. واستخدام أمير البيان للفظة (المانوية) يمثل ملمحا واضحا في موسوعته الشعرية لاحظته في أكثر من ديوان، فهنا في ديوان على ركاب الجمهور يقول:

وللبرد فيها هزَّةٌ إثْرَ هزَّةٍ ... وللريح بين المانويات مُدَّعَى

وفي ديوان الخيال الوافر قال:

تسري ولليل تحت المَانَوِيَّة أوْ ... هامٌ وإقْدامُكَ الجبَّار هازمُهُ

وفي جوابه على سؤال لأبي سرور بديوان بين الفقه والادب، قال:

والليلُ (تَسْتَنْفِرُ) الأنَّاتُ هَجْعَتُه ... والمَانَوِيَّة بين الصدق والكذب

وفي قصيدة: مضل البعير بديوان فارس الضاد، قال:

فمال إليه والدُّجى غير قابع ... بخيمته والمَانَوِيَّة غُول

وكذلك قوله في قصيدة: الشأو والشأن في ديوان فارس الضاد أيضا:

ويركب الليل نسرا لا يُرَوِّعُه ... لِلْمَانَوِيَّةِ زجر بين غيطان

يظهر من تلك الأبيات أن أمير البيان يرمز بالمانوية للجهل، والشر، والضلال، فقد استعملها في مواضع اقترنت بالليل، والغول، والرعب.

وبات يناغي العود والكأس حوله ... يَمُجُّ به التذكار والعود عازف
فما هي إلا غفوة الديك أو سما ... إلى سمعه من جانب الباب هاتف
يقول بصوت فيه أنفاس شيّق ... "أيدخل محبوب على الباب واقف"(١)
فَثَمَّ سَرَتْ في نفسه قشعريرة ... فهبَّ وأنفاس الرجاء تَرادَفُ
يقول أحقاً يا حبيبي تحققت ... منايَ أم الظلماء وهي عواصف
وأسرع نحو الباب يفتح قفله ... يعانقها والقلب بالحب واجف

يجاذبها نحو السرير وقد خلا ... له الجو والأشواق ثم نصيره
فقالت سريتُ الليل نحوك والهوى ... كتابي وأنَّات الغرام سطوره
فقم وابغ لي عوداً جديداً وعازفا ... فقال أنا للفن ويك أميره
فما بالنا نبغي لنا ثَمَّ ثالثا ... فَتُرْفَعُ عن سر الوصال ستوره
فقالت إذا غنى وقام بدوره ... تَنَحَّى ولا سرٌّ يُخاف ظهوره
فبادرَ نحو الدرب ينظر أو بدا ... له ظُرْفُ أعمى بصيرٌ ضميره

(١) "أيدخلُ محبوبٌ على الباب واقفُ": هذا شطر من أحد بيتين سيردان في ثنايا القصيدة، وهما:

سرى يخبطُ الظلماءَ والليلُ عاكفٌ ... حبيبٌ بأوقاتِ الزيارةِ عارفُ
وما راعني إلا السلامُ وقولُها ... أيدخلُ محبوبٌ على الباب واقفُ

غناهما أحد المغنين بحضرة إسحاق المَوْصِليّ وجارية. وكانت الجارية طرقت بيت إسحاق في ليلة ظلماء ماطرة على شوق وتمنٍّ من إسحاق للقائها، فلما أدخلها طلبت الغناء، فقال: من منا سيغني أنت أم أنا؟ قالت: لا أنت ولا أنا، قم فالتمس لنا مغنيا. فصادف مرور مغنٍّ مسنٍّ أعمى، فاستدعاه إسحاق إلى بيته، فكان أن غنى ذَيْنِكَ البيتين وقد أنشأ الأشطر الثلاثة وفقا لوزن وقافية الشطر الرابع الذي قالته الجارية حين طرقت باب منزل إسحاق وهو قولها: "أيدخل محبوب على الباب واقف". والحكاية واحدة من أساطير عصر بني العباس كما وصفها أمير البيان في قوله: وما برحت هذي الأساطير أسطرا ... بِعصر بني العباس في ورق الفكر. ومن أراد التفاصيل فلينظرها في الكتب التي أرَّخت لترف الخلفاء العباسيين ومنها: كتاب نوادر الخلفاء المشهور بـ: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، للإتليدي، (مرجع سابق) ص ١٢٧ وما بعدها.

فقال له هل تعرف العود والغنا ... فقال نعم إني بذيَّاك عارف
فجئني بعود أحْكَمَ الفَنُّ صُنْعَهُ ... أداعبُه والنيّراتُ كواسف
فغنى كما شاءتْ تواقيع عوده ... يصوغهما بيتين وهي كواشف
تُصَرِّحُ عما كان قبل دقائق ... وما قاله المحبوب حيث العواطف
"سرى يقطع الظلماء والليل عاكف ... حبيبٌ بأوقات الزيارة عارف"
"وما راعني إلا السلام وقوله ... أيدخل محبوب على الباب واقف"

هناك اشمأزت نفسها وتنكرت ... عليه وقالت بحت بالسر خائنا
أتيتك والدنيا عيونٌ وظلمة ... أخَفِّفُ وطئي أن أصادم كائنا
وكنتَ حريّاً إن تكنْ صادق الهوى ... بأن تقطع الظلما إليّ كمائنا
فما كان إلا أن رأيت مغنيا ... فأطلعته أسرارنا والضنائنا
فقال ورب البيت ما فُهْتُ عنده ... ببنت لسانٍ والهوى لستُ مائنا[1]
وقام إليها قُبلة بعد قُبلة ... يكاديُرى من خيفة السخط حائنا[2]

وأتبعها عضاً وضماً مداجيا ... حفيظتها أن تستجيش وتغضبا[3]
وما زال بالعتبى لها أو تسامحت ... وقالت له داوِ الفؤاد المعذبا
وقل للمغني غننا قال طاعة ... فغناهما صوتاً من الراح أعذبا
يزجيهما بيتين هاكهما كما ... ضممت إلى السمطين دراً مثقبا

(١) ما فُهْتُ: ما نطقْتُ. بنت اللسان: الكلمة. لست مائنا: لست كاذبا.
(٢) حائنا: هالكا. من الحَيْن وهو الموت.
(٣) مداجيا حفيظتها: أي مراعيا لها أن تغضب.

"ألا ربما زرتُ الملاح وربما ... لمستُ بكفيَّ البنان المخضبا"[1]
"ودغدغتُ رمان الصدور ولم أزل ... أعَضْعِضُ تفاح الخدود المُكَبَّبَا"[2]

هنالك لم يملك وتملك شعورها ... وقد أدركا أن المغنِّيَ مُوبِقُ
وأنَّ عماه أو تَعَامِي عيونه ... مكيدة بنت الليل[3] والصدق موثق
فلم يعرفا ما يفعلان هنالكم ... سوى الاحتشام فهو بالحال أليقُ
وقال لهم هل مستراح بداركم؟ ... مُعَدٌّ لها علِّي به أترفق
فسار ولم يرجع إليهم ففتشوا ... فلم يُرَ فيما بينهم مترفق
فجاسوا خلال الدار بحثاً فما رأوا ... له أثراً والقفل للباب مطبق

فقالا: غريبٌ ما ألمَّ وحادثٌ ... رهيبٌ طوته الحال في قالب السر
فأنَّى لنا أن نرفع الستر دونه ... فنعلم ما تحت الطوية من أمر
فصاح بهم من كوة الدار صائح ... أبو مُرَّة ذاك المغني بلا شَجْرِ[4]
فلا تخشيا بأساً فإن أباكما ... أبو مُرَّة يرعاكما طيلة الدهر
وما برحت هذي الأساطير أسطرا ... بعصر بني العباس في ورق الفكر
فلا تحرماها واختما بسلافها ... حياتكما فالمسك في خاتم السكر

* * * * *

(١) أنظر كتاب نوادر الخلفاء (إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس)، ص ١٢٩.
(٢) الخَدُّ المُكَبَّبُ: المُدَوَّرُ المُسْتَدير، أخْذاً من كَبَّبَ الغَزْلَ أي جَعَلَه كُبَّة.
(٣) بنت الليل: البَغِيّ، ولكن سياق الأبيات لا يؤدي هذا المعنى، وربما أراد بها الظلمة.
(٤) أبو مرّة: كُنْيَةُ إبليس اللعين. بلا شَجْرِ: بلا خلاف.

(١١) من مُلح الرشيد[١]

أحُــورٌ فـي يــراعـكَ أم حُــوارُ ... وسـورٌ فـوقَ طِرْسِكَ أم سُـوارُ[٢]
وعِـيْـنٌ مـن بـنـات العِـيـن تـرمي ... كِـيـانـك أم غـريــر أم غــرارُ[٣]
وخَـدٌّ كـالـمـروج الخضر يزهو ... بــه نَــوْرٌ وريــحــان ونــارُ[٤]
وقَــدٌّ كـالـقـضـيـب إذا تثنى ... عـلـيـه نُــورة وبــه نُــوارُ[٥]
وفـرع كـالـدُّجُــنَّــةِ فيه وجه ... ينير على الوجود ولا يُنار[٦]
عـلـى بـغـداد مـن قـلـبـي سـلام ... مَطيرٌ في حشايَ له مطار[٧]
عـلـى عـرش الـرشـيـد لـه مقر ... ومـن كـرسـيِّـه دَيْـــرُ ودَارُ
وفـي قـصـر الـرشـيـد لـه مـرام ... يـجـور عـلـى الـزمـان ولا يُجار
يـمـر عـلـى الـريـاض بـه يغني ... فـيـأتـي الــدور وهــي لـه مـدار
لِـيَـلْـقُطَ قصة كتبت بتبر ... تــمـثـل دور صــافـيـة تــدار
يـبـادلها الـهـوى قـبـلات أنـس ... وقـد غنى على الزهر الهزار[٨]
ويتلوها الرشيد على الندامى ... ولـلـشـعـراء فـي يـدهـا شـعـار
فـدونـكـهـا مــحـجـبـة عـليـها ... مـن الإطــراب والإطــرا إطـار

(١) تفاصيل القصة التاريخية في هذه القصيدة وردت أيضا في قصيدة سابقة بعنوان: الخيزران والرشيد.
(٢) الحُوَارُ: ولدُ الناقة من وقت ولادته إلى أن يُفطم.
(٣) عِيْنٌ جمع عيناء. وهُنَّ من اتسعت عيونهن بحسن. قال تعالى: وزوجناهم بحور عين. الغرير: الخَلْقُ الحسن. الغرار: حد السيف.
(٤) المروج: أراض واسعة ذات نبات ومرعى. النَّوْرُ، والنُّوَارُ: الزهْرُ.
(٥) النُّورَةُ العلامة.
(٦) الفرع من كل شيء أعلاه، وفرع المرأة شعرها، والدجنة السواد.
(٧) مَطيرٌ: نَدِيّ. المطار: منطلق الطيران. والمقصود هنا أنَّ سلام الشاعر المبلل بالندى ينبعث إلى بغداد من قلبه.
(٨) الهزارُ: طائر العندليب.

لقد أرِقَ الرشيدُ بِجُنْحِ ليلٍ ... تُهَيْمِنُهُ الجواريَ لا الجوارُ[1]
فقام يطوف في تلك المجالي ... خُطاً في القصر تائهة قصار
يَرُوضُ على الرياض هوى صبياً ... تهاديه الأسِـرَّةُ فالسَّـرَارُ[2]
إلى خِـدْرٍ كأنَّ الشمس فيه ... يعاقرها الدلال ولا عقار
فما ملك الرشيد له عناناً ... عشية طاش بالعُذر العِذَارُ[3]
فقال لها هلم إلى نطاق ... تَصاغَرُ حوله همَمٌ كبار
"إذا كشف الزمانُ له قناعاً" ... فلا زرٌّ يقيه ولا ازْوِرَار[4]
كأنَّ بروضه ورداً وآسا ... وريحاناً توقَّدُ فيه نار
هلم فقد برمتُ وزاد شوقي ... وطال على منايَ الإنتظار
فقالت يا أمين الله مهلا ... فللأيام في قلبي أوار
هجرت بدون ما ذنب سريري ... أمثلي لا يَغيرُ ولا يَغَارُ
ألستُ لِحُبِّكَ الروحيّ أهلا ... أمثلي لا يقر له قرار
أتفجؤني ولا استعداد عندي ... لوصلك فالمفاجأة احتقار
ولكني غداً آتيك سعيا ... إذا انفلق الصباح ولا اعتذار
أحاجب لا تدع أحداً سواها ... يوافيني إذا حان المزار

---

(١) هيمنة الجواري على الرشيد إحاطتها حوله وتسريتها له وتسليته. الجَوَارُ من الدار: ما كان على حدِّها وبحذائها.

(٢) الأسِرَّةُ: مفردُها سرير، والمقصود سريرُ المُلْك الذي نشأ الرشيد في مهاده. السَّرَارُ: مفردُها سَرَارَة، وسَرَارَةُ العيش خيرُه وأفضلُه.

(٣) العِذَارُ: الانهماك في الغيّ.

(٤) هذا شطر من بيت اقتبسه أمير البيان بتصرف من مطلع قصيدة لعنترة بن شداد العبسي:

إذا كشف الزمانُ لك القناعا ... ومَدَّ إليك صرفُ الدهرِ باعا
فلا تخش المنية والْقَيَنْهَا ... ودافع ما اسْتَطَعتَ لها دفاعا

أنظر ديوان عنترة، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق مجيد طرَّاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٩٠.

ولكنْ أخْلَفَتْ وعداً وألْوَتْ ... وجُرح المقلة النجلا جُبار[1]
فقال لها الرشيد علام وعد ... وإخلاف وتسويف وعار
فقالت إنه ليل وعندي ... "كلام الليل يمحوه النهار"[2]

(١) ألْوَتْ: جَحَدَتْ. الجُبار: ما لا غرم فيه ولا قصاص.

(٢) هذا الشطر قالته جارية للخليفة هارون الرشيد حين استنجزها وعدا وعدته إياه. وقصة ذلك كما ورد في المصادر التاريخية أنَّ الخليفة هارون الرشيد (١٤٩هـ-١٩٣هـ) كان ذات ليلة من الليالي يطوف في داره، فلقي جارية من جواريه، وكان يَجِدُ بها وجداً، ويلتمس منها حاجته فَتَأْبَى عليه، فوجدها في تلك الليلة سَكْرَى، فجمشها (غازَلها بقَرْصٍ أو مُلاعبة)، فانحل إزارُها، وسقط خمارُها عن منكبيها، فقالت: أمهلني الليلة يا أمير المؤمنين، فغداً أسيرُ إليك، فخلاَّها، فلما كان الصبحُ أرسل إليها خادماً وقال: أجيبي أمير المؤمنين، فقالت: ارجع إليه وقل له: كلام الليل يمحوه النهار، فرجع إليه وعَرَّفَه بذلك، فقال له: انظر مَنْ على الباب من الشعراء، فَلَقِيَ الرُّقاشيّ، وأبا مصعب، وأبا نواس (التعريف بهؤلاء الشعراء سيأتي في حواشٍ تالية)، فرجع إليه وعَرَّفَه بهم، فقال أدخلهم إلي، فلما حضروا بين يديه، قال لهم: عَرَفْتُمْ لِمَ طلبتكم يا شعراء؟ قالوا: لا يا أمير المؤمنين، قال: أشتهي من كل واحد منكم شعراً في آخره: كلام الليل يمحوه النهار. فقال الرقاشي:

متى تصحو وقلبك مُسْتَطار؟ ... وقد مُنِعَ القَرارُ فلا قَرارُ
وقد تَرَكَتْكَ صَباً مُسْتَهاماً ... فَتاةٌ، لا تزور، ولا تُزار
إذا وَعَدَتْكَ صدَّتْ ثم قالت ... كلام الليل يمحوه النهار

وقال مصعب:

أما والله لو تجدين وجدي ... لأذْهَبَ للكرى عنك الشرار
فكيف وقد تَرَكْتِ العينَ عَبْرَى ... وفي الأحشاء من ذكراك نار
فقالت: أنت مغرور بوعدي ... كلام الليل يمحوه النهار

وقال أبو نواس:

وليلاً أقْبَلَتْ في القصر سكرى ... ولكن زيَّن السُّكْرَ الوقارُ
وهَزَّ الريحُ أرْدَافاً ثِقالاً ... وغُصْناً فيه رمَّانٌ صِغَارُ
وقد سقط الرِّدَا عن مَنْكِبَيْها ... مِنَ التَّجْمِيْشِ وانْحَلَّ الإزارُ
مَدَدْتُ يدي لها أبْغي التماساً ... فقالت: في غَدٍ منك المَزَارُ
فقلتُ الوَعْدَ سيّدتي؟ فقالت ... كلام الليل يمحوه النهار

أحاجب مَن مِنَ الشعرا ببابي ... عليَّ بهم فقد حان الحوار
فقال أبو نواس والرقاشي ... ومصعب حيث يحلو الاختيار
فجاء بهم فقال لهم أجيزوا ... "كلام الليل يمحوه النهار"
فقام إلى إجازته الرقاشي[1] ... يقول وقلب ذينك مستطار
"(أتسلوها) وقلبك مستطار ... وقد مُنع القرار فلا قرار"[2]
"وقد تركتك صبا مستهاما ... فتاة لا تزور ولا تزار"
"فولت وانثنت تيهاً وقالت ... كلام الليل يمحوه النهار"
هنالك قام مصعبُ[3] في ارتياح ... يقول بملء فيه ولا يضار

فأمر لكل واحد من الاثنين بألف دينار، وقال عليَّ بسيف ونطع واضربوا فيه رقبة أبي نواس، فقال: ولم تضرب رقبتي يا أمير المؤمنين؟ فقال: كأنك كنت معنا البارحة، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بت إلا في داري، وإنما استدللت على ما قلت بكلامك، فقبل منه وأمر له بعشرة آلاف دينار. أنظر كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لعبدالله بن أسعد بن علي اليافعي، ج١، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(١) الرقاشي: هو الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الرقاشي (٠٠٠-نحو ٢٠٠هـ/٠٠٠-نحو ٨١٥م)، شاعر مُجيد، من أهل البصرة. فارسي الأصل. انتقل إلى بغداد، ومدح الخلفاء. وكانت بينه وبين أبي نواس مهاجاة ومباسطة. وانقطع إلى البرامكة، ورثاهم بعد نكبتهم. أنظر كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٥، ص ١٥٠.

(٢) كلمة (أتسلوها) لم ترد في أبيات الرقاشي التي أثبتناها في الحاشية رقم ١ في الصفحة السابقة نقلا من مصدر ذكرناه هناك. ولعل أمير البيان وقف عليها في مصدر آخر.

(٣) مصعب: هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله، عالم بالحديث وأيام العرب، علامة بالأنساب، غزير المعرفة بالتاريخ، ثقة في الحديث، وله شعر حسن. كان أوْجَه قريش مروءة وعلما وشرفا. وأمُه هيّ أمَةُ الجبّار بنت إبراهيم بن جعفر بن مصعب بن الزبير بن العوام. ولد بالمدينة عام ١٥٦هـ الموافق لسنة ٧٧٣م، وسكن بغداد، وتوفي بها عام ٢٣٦هـ الموافق لسنة ٨٥١م. أنظر كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، الجزء السابع، ص ٢٤٨.

"أما والله لو تجدين وجدي ... لما وسعتك في بغداد دار"[1]
"أما يكفيك أنَّ العَيْنَ عَبْرَى ... ومن ذكراك في الأحشاء نار"
"تَبَسَّمَتِ الفتاة بغير ضحك ... كلام الليل يمحوه النهار"
فما أن كاد يستمع النواسي[2] ... لشعرهما ويرتفع الغمار
إلى أن قام يكشفه نقابا ... بشعر لا يشق له غبار
يقول وقد تَبَيَّنَها فأبدى ... حقيقتها وما أغنى الستار
"وخَوْدٍ أقبلت في القصر سكرى ... ولكن زيّنَ السكرَ الوقار"
"وهَزَّ الريحُ أردافاً ثقالا ... وغصناً فيه رمان صغار"
"وقد سقط الردا عن منكبيها ... من التجميش وانْحَلَّ الإزار"
"فقلت الوعد سيدتي فقالت ... كلام الليل يمحوه النهار"
فما كاد الرشيد إليه يصغي ... فيسمع أو تملكه الغيار
وقال له لحاك الله[3] لحوا ... أكنت لديّ واللقيا عقار
أكنت بجنبنا والحال سر ... مصون لا يلوح له منار
هلم فإنه سيف ونطع ... وإلا فاجْلُ سِرَّكَ لا يبار
أمير المؤمنين حدستُ حدساً ... وعفوك سيدي نعم الجوار
فقال له أمنت عليك فاهدأ ... وبعض إساءة الشعرا جُبار[4]
وذلك ما أردت بأي حال ... فوافق ما لديك ولا ضرار

(١) يوجد بعض الإختلاف في بعض أشطر أبيات مصعب الزبيري بين ما نقلناه من كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وأثبتناه في الحاشية رقم ١ في الصفحة السابقة، وبين ما أورده الشيخ عبدالله في قصيدته.

(٢) النُّوَاسي: هو الحسن بن هانئ الحكمي (١٤٦-١٩٨هـ/٧٦٣-٨١٤م)، شاعر العراق في عصره، ولد في الأحواز ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد واتصل فيها بخلفاء بني العباس. له ترجمة ضافية في كتاب الأعلام للزركلي، ج٢، ص٢٢٥.

(٣) لحاك الله: قبَّحك الله.

(٤) الجُبار: ما لا غرم فيه ولا قصاص.

أخادمُ صِلْهُمُ خمساً مئينا ... لكل منهم كي لا يضاروا
وأضعف للنواسيِّ العطايا ... وكالصلة اكسهم فهي الدثار
فراحوا شاكرين وظل سعيا ... مليكهم عليه الإنكسار
جفته عندما لذ التلاقي ... حبيبته وطاب له المزار
وضاحكه السرور على سرير ... كأن وطاءه نور ونار
ووافته على عرش التهاني ... مُنًى واتَتْهُ والصهبا تدار
أتت عفواً فكان الوصل صفواً ... ولكن الجمال له احتكار
يتيه على الملوك ولا يبالي ... وكم ذل الملوك له وخاروا
أبا المأمون في المَغْنَى قليلا ... فذلكُمُ دلالٌ لا نفارُ
فلو أوسعتها عزماً للانت ... عريكتها وإنْ راحت تغار
ولكن ثم معركة لنصر ... يضوع بختمها للمسك فارُ

* * * * *

(١٢) الحَـزْمُ والوفاء[١]

جفا مقلتيها والهوى يتحسَّسُ ... وعـاد إليـها والهنـا يتنفَّسُ
وغـادرها ما دار منه بقلبه ... عدا القلب لم يبرح له ثم محبس
يسامر في أفكاره الليل خاليا ... ويغدو وما بالقفر للمرء مؤنس
ويرتاح لكن النسيم إذا سرى ... له من لقاءات الرضا متنفس
هو الصبر إلا أنه متوجع ... هو الصب إلا أنه متوجس

(الدور الأول)

غدا الشاعران عافيين كأنما ... يجران ثوب الشمس والأفق أطلس[٢]
يؤمَّان مَلْكا دون مفرقه ذُكا ... ومن تحته عرش الجلالة يجلس[٣]
يؤمَّانه يستجديان يمينه ... وللشعراء نزعة لا تطلس[٤]
قفا وانظرا فيما إليه قَدِمْتُما ... فإن الهجا رَبْعٌ وخيم مُدنس
ألم تهجياه قبل ثم سعيتما ... إلى مدحه وهو المغيظ المعبس
خذا حازمين إنها طعنة القفا ... وليست سوى آثارها الدهر تدرس
وليس الملوك عن مسيء بِغُفّل ... وإنْ غفلوا عن محسن ظل يركس
أيَدْمَغُ ما قدمتُما من ثنائه ... ظلامُ هجاءٍ باتَ وهو مُعَسْعِسُ[٥]

---

(١) يعرض أمير البيان في هذه القصيدة قصة الشاعرين طرفة بن العبد وخاله المتلمس مع الملك اللخمي عمرو بن هند الذي دبَّرَ مكيدة لقتلهما بسبب هجائهما له، وسعيهما من بعد لمدحه إذهابا لغيظه.

(٢) الشاعران: هما طرفة بن العبد البكري وخاله المتلمس جرير بن عبدالمسيح الضُّبْعي وسيأتي التعريف بهما في حاشية في الصفحة التالية. الأفْقُ أطلسُ: مُظلِمُ.

(٣) ذُكا: الشمس.

(٤) لا تَطلسُ: لا تضعف.

(٥) أيدمغُ: أيمحو؟. مُعَسْعِسٌ: مظلمٌ.

وتَعْطِفُ قلبا فاض بالحقد غيظه ... رُقَـى من تهانٍ في ثناءٍ يُدَلّسُ
خذاها على ذاك الصنيع صحائفا ... إلى عامل في بردتيه عملّس[1]
ولا تقرئاها قارئا قبل حينها ... فيهلك رجّـاء ويسلم مؤيس
فلم يُقرئ البكري منها سطورها ... وأقرأها قبل المدى المتلمِّسُ[2]
فأرسلها في يمها ساخراً بها ... وراح أخـوه للندى يتلمس
فما طرفت عين لطرفة بعدها ... غداة نجا منها الفتى المتحمس
لك اللّه فابْعُدْ ما تشا ثم عُد ترى ... دمالجها[3] ليست لغيرك تلبس
وأنت على الغبراء تفترش العفا ... تبيت كما بات السليمُ المُضَرَّسُ[4]
وتغدو كما تغدو السباع خميصة ... وتُضْحِيْ وخيط الشمس بالخوف يهمس
لقد نسي الملك الجريمة فاعْتَمِدْ ... على اللّه وارجع لا يرعك التجسس

(١) صحائفا إلى عامل: إشارة إلى الرسالتين اللتين كتبهما الملك عمرو بن هند إلى عامله في البحرين ليقتل حامليهما إليه. وكان سلمهما لطرفة والمتلمس، وأوهمهما أنه أمر لهما فيهما بصلة. فأما المتلمس فإنه دفع صحيفته إلى رجل من أهل الحيرة فقرأها، فلما عرف ما فيها، نبذها في نهر بقرب الحيرة ورجع. وأما طرفة: فمضى بصحيفته حتى أوصلها إلى العامل فَقُتِل. أنظر كتاب المعارف، لأبن قتيبة الدينوري، ج١، ص٦٤٩. العَمَلّسُ: الذئب. والعَمَلّسُ القوي السريع.

(٢) البكري هو الشاعر عمرو بن العبد البكري الوائلي. ولقبه طرفة. أجمع المؤرخون أنه لم يعش أكثر من ربع قرن. ويؤرخون لموته ما بين سنة ٥٥٢م و٥٥٨م. أنظر سيرته في: ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص ٥ وما بعدها. والمُتلمّس: هو الشاعر جرير بن عبدالمسيح الضبعي من بني ضُبَيْعَة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وهو خال الشاعر طرفة بن العبد البكري، وقد عاشا زمن الملك اللخمي عمرو بن هند الذي ولِيَ الملك من عام ٥٦٣م- ٥٧٨م. أنظر تحقيق سيرة الشاعرين في ديوان المُتَلَمّس الضُّبْعِي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٧ وما بعدها.

(٣) الدمالج جمع دملوج وهو السِّوَارُ المحيط بمعصم اليد. ومن هنا يعرض أمير البيان لقصة المتلمس وزوجته.

(٤) العفا: التراب. السَّليمُ: الجريح المُشْفِي على الهَلَكة. وتعني أيضا: المَلْدُوغُ الذي عضَّه ثعبان. المُضَرَّسُ: المَعْضُوضُ بالأضراس.

(الدور الثاني)

قفي ودعيه لحظة وتفاءلي ... له بحميد العَوْدِ فالعَوْدُ سُنْدُسُ[1]
وعودي إلى ذاك الخباء الذي به ... لمست الهناء والعناق المؤسس
فإن كنت قد خبَّأت قلبك عنده ... فعندك منه قلبه المُتَمَرّسُ
حفظت هواه مثلما بات حافظا ... هواك وما أنسته نعمى وأبؤس
فصوني له ما لم ينله على الرضا ... سواه ولو جدّ الوليُّ المغطرس
فمالك قلبٌ غير ذاك الذي مضى ... به عنك إذ جد الرحيل المُغَسّسُ[2]
لقد جاذبوها أن تعانق غيره ... فما رَضِيَتْ والحب بالقلب يشمس[3]
تخال الهوى إلا له كفر نعمة ... ولولاه ما كان الغرام المقدس
ولكنهم لم يتركوها وشأنها ... فسيقت إلى كفء بها يتلبس
هنا سنحت ضد المُبَيَّتِ فرصة ... لجمع الشتيتين حداها التحمس
عشية وافى ربعه المتلمس ... يُشَيِّعُهُ عاري الأشاجع أطلس[4]
فما إن دنا من جانب الحي أو رأى ... مضارب أفراح بها اللهو يأنس
فأوفى على الضوضاء ماذا الذي أرى ... فقالوا عروس قد تزف ومعرس
لقد زوجت عرس الفقيد الذي مضى ... له البيد من بعد الصحيفة يطمس
وما عرفوا السر الذي دسه القضا ... وما كان فيمن بينهم متفرس
فمال وفي الأحشاء جمر الغضا به ... إلى ذات قربى خفية يتوجس
فألقت إليه مرطها وقميصها ... وجلبابها يمضي بها يتحسس
فراح إلى ذاك الخباء الذي به ... سيلقى العريس عرسه ثم يلبس

---

(١) السُّنْدُسُ: مِنْ نَسِيجِ الحَرِيرِ أوِ الدِّيبَاجِ. وفي القرآن قوله تعالى: ﴿ويَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُس﴾. سورة الكهف آية ٣١.

(٢) الغَلَسُ: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

(٣) يشْمسُ: يَجْمحُ.

(٤) الأشاجع: عروق ظاهر الكتف. الأطلس: الذئب الأمعط في لونه غبرة إلى سواد.

فَخَـبَّـأَ فيه نفسه وفـؤاده ... بـه غيـرة مثل السعير تنفس
فلما دنا الزوج الجديد مُقَبّلاً ... قرينته صدت وكادت توسوس
وعادت تغني في غلائل شاعر ... تقول ولحن الحب بالشوق ينبس
"أيا ليت شعري والحوادث جمة ... بأي مكان أنت يا متلمس"[1]
كأن علمت منه هناك مكانه ... وكم صدفة فيها الهنا يَتَبَجَّسُ[2]
فأخرج من تحت الستارة رأسه ... يغني بما يشفي المشوق ويهمس:
"بأدنى مكان يا أميمة فاعلمي ... ومازلت مشتاقاً إذا الركب عَرَّسوا"
هنالك والزوج الجديد بمسمع ... يقول وقَوْدُ الحُرِّ للفضل يَسْلس
"فَبِيْتَا بخيرٍ ثم دوما بمثله ... خَلاَ لكما بيتٌ كريمٌ ومجلسُ"
فباتا كما شاء الهنا يَعْصُرَانِهَا ... سلافة أرْيٍ في خلاياه ألعس[3]
وعاشا على شرع الهوى خير أسرة ... تمايل في ثوب الرضا وتبهنس[4]

---

(١) تذكرُ المصادر التاريخية أن المُتَلَمِّسَ اختفى بعد هجائه الملك عمرو بن هند بسبب توعُّد الملك له، وأشاع في الناس أنه قد مات. ثم حنَّ الى الحيِّ وفيه زوجته أميمة، فذهب يَسْتَرْوحُ أخبارها، فسمع صوت طبل ومزمار، فسأل، فقيل له: عرس أميمة أرملة متلمس. فعز عليه ذلك وحملته الغيرة عليها وحبه لها أن يحتال ويدخل متنكرا مع النساء، مستعينا إلى ذلك بقريبة له. ولما حان وقت زف الزوجة تذكرت المُتَلَمِّس إذ كانت تحبه، وقالت:

ألا ليتَ شعري والحوادثُ جَمَّةٌ ... بأيِّ مكانٍ أنتَ يا مُتَلَمِّسُ؟

فأجابها على الفور:

بأقْرَبِ ركنْ يا أميمةُ فاعْلمي ... وما زلتُ مشتاقاً إذا الركبُ عرَّسوا

فَفَطِنَ إلَيْهما العروس فقال:

فكونا بخير ثم بِيْتَا بمثله ... خلا لكما بيتٌ كريمٌ ومجلسُ

ونهض خارجا. أنظر كتاب معارك أدبية قديمة ومعاصرة، عبداللطيف شرارة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص ٣٨١.

(٢) يَتَبَجَّسُ: يَتَفَجَّرُ، من بَجَسَ الماءُ السَّدَّ أي فَجَّرَه.

(٣) الأري: العسل. ألعس: ضاربٌ لونُه إلى السواد.

(٤) تبهنس: تبختر.

كـأن سرور القلب راعٍ يحوطهم ... وما تشتهيه النفس للعيش يحرس
فنـأيُهُـمُ شوقٌ وقربهمُ هَنَا ... ومضجعهم أنسٌ وما ثَمَّ آنس[1]
وتلك لعمري لذة العيش من يذق ... حلاوتها لم يفتأ العمر يأنس[2]
بها يبدأ المسعود غرة عمره ... ويختمه والختم بالمسك أنفس

* * * * *

(١) وما ثَمَّ آنسُ: وليس هناك رقيب.

(٢) لم يفتأ: ما انْفَكَّ، لم يزل.

(١٣) على بيتي المأمون[١]

صـدودٌ مُشِتٌّ وعَـطفٌ جَمُوعْ ... وبينهما مَسْبَحٌ للنَّجيعْ[٢]
وبينهما ملتقى العاشقيـ ... ـين هذا جريح وهذا صريعْ
وبينهما مهبط الوحي من ... سماء الجفون فمجرى الدموع
وبينهما قسمات الجما ... ل تُغِيْرُ المُطاع وتُغْرِيْ المُطيعْ[٣]
فيا مضرب النور والنار من ... محيا الحبيب ومحنى الضلوع
ويا نفحة النَور باللطف من ... رياض اللقاءات غِبَّ الهجوع[٤]
ويا نفثات النسيم العـ ... ـليل لطرف عليل وقلب ولوع
بحق الهوى صِفْنَ فعل الهوى ... بقلب الكميّ وعقل الضليع
وصِفْنَ مسارح أهل الغرا ... م ببرد الشتاء ونَوْر الربيع
هو الحب فيه الجفا والوفا ... ء وسوء الفعال وحسن الصنيع
هو الحب فيه اعتزاز الحبيبـ ... ـب وذل المحب ومهوى الشفيع
يذل عليه المليك القو ... ي ويعتز حيناً عليه الوضيع

---

(١) المأمون: هو عبدالله بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي، سابع خلفاء الدولة العباسية، وأحد أعاظم الملوك في سيرته وسعة ملكه. ولد سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م، وتوفي سنة ٢١٨هـ/أغسطس ٨٣٣م. شهد عهده ازدهارا في النهضة العلمية والفكرية لأنه كان مشاركا فيها بعلمه وأدبه. أنظر سيرته في كتاب البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط٨، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج١٠، ص ٢٧٤، وما بعدها. أقام أمير البيان قصيدته هذه على بيتين للمأمون سيأتي ذكرهما في القصيدة، وهما:

فؤادي كتوم لأسراركم ... ودمعي نموم لسري مذيع
فلولا دموعي كتمت الهوى ... ولولا الهوى لم تكن لي دموع

(٢) النَّجيعْ: دَمُ الجَوْف. والنجيع أيضا: النجوع، وهو الارتحال. ولعله أراد هذه، لما بين الحبيبين من تباعد بفعل ما بينهما من صدود.

(٣) تُغِيْرُ: تَسْتَثِيْرُ غَيْرَتَه، اهتمامه.

(٤) غِبّ الهجوع: بعد هجعة الناس وقت الليل.

خليليّ ما هذه الغمغما ... ت كعتب الحبيبين خلف الربوع[1]
وما هذه النغمات اللوا ... تي تأوَّبَ في لحنها كُلُّ رِيْعْ[2]
ترامت تغني بمأمونها[3] ... فهام الأصم بها والسميع
جَلَتْهُ بألحانها شاعراً ... وألقته في مهرجان الجموع
وقالت له صف حياة الملو ... ك وارفع عقيرة عال رفيع
فقال ولكن حياة الغرا ... م سماء النبوغ وأفق اللموع
وطار يغرد بين الغصو ... ن يُرَجِّعُ أنغامه كالخليع[4]
يُرَدِّدُ بيتيه في غُنَّةٍ ... تذيبُ الطريرَ وتُصْبِي الرضيع[5]
يقول وقد شب لفح الهوى ... عليه فذاب كذَوب الصقيع
"فؤادي كتوم لأسراركم ... ودمعي نموم لسري مذيع"[6]
"فلولا دموعي كتمت الهوى ... ولولا الهوى لم تكن لي دموع"
كلام الملوك ملوك الكلام ... ولوع الكريم كريم الولوع
سليل الملوك ملكت الرقا ... ب فجاءتك تذعن تحت الخضوع

(١) الغَمْغَمَاتُ: الكلام الذي لا يبين. الربوع مفردُها رَبْع وهو مكان الإقامة. مأخوذ من المنزل الذي ينزلونه أيام فصل الربيع.
(٢) تَأَوَّبَ: تَرَدَّدَ. رِيْع: خَوْف.
(٣) مأمونها: المقصود الخليفة المأمون.
(٤) الخليع: مَن انقادَ لهواهُ وتَهَتَّكْ.
(٥) الغُنَّةُ: صوتٌ يُصَانِعُ الإنسان في إخراجه من خياشيمه للتطريب. وهناك الخُنَّة وهي خروج صوت الإنسان من خيشومه خلقة لا اصطناعا. الطرير: الشاب الذي بدأ شعر شاربه يظهر. تُصْبِي: تَسْتَثِيْر، تستميل، تستهوي، تجذب.
(٦) البيتان من شعر الخليفة المأمون. أنظر كتاب تاريخ الخلفاء، للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، راجعه وعلق عليه جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٢٦١.

فأنت تقود الملوك الكبا ... روتنقاد لِلْعِيْن قَوْدَ الضَّرُوع[1]
تَظَلُّ على العرش مَلْكاً يُطا ... ع وتُمسي على العشق عبداً يُطيع
فحتامَ سرك مرعى وخيـ ... ـم وحتام جهرك مرعى مَريع[2]
وحتامَ تلثم زهر الربيـ ... ـع وتفتض ختمك مسكاً يضوع

* * * * *

(١) الضَّروع: الخاضعُ، الذليل. من ضَرَعَ إليه ذلَّ وخضع.

(٢) المرعى المريع: الذي كثُرَ ماؤه وعشبه.

(١٤) نزار وبنوه[1]

تدور هذه القصيدة حول واحدة من قصص العرب التاريخية الشهيرة. إنها قصة نزار بن مَعَدّ بن عدنان مع بنيه: مضر وربيعة وإياد وأنمار. وأسردها هنا بالنص من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ): لما حضرت نزار الوفاة قال لإياد هذه الجارية -لجارية له شمطاء- وما أشبهها لك. ودعا أنمار وهو في مجلس له فأعطاه بَـدْرَة، وقال: هذه البدرة والمجلس لك وما أشبههما لك. ودعا ربيعة فأعطاه خبـاء له أسود من شعر، فقال هذا وما أشبهه لك. وأعطى مضر قبّة حمراء، وقال: هذه وما أشبهها لك. ثم قال: وإن أشكل عليكم شيء فأتوا الأفعى الجرهمي وكان ملك نجران. فلما مات نزار ركبوا رواحلهم يريدون الأفعى، فلما كانوا من نجران على يوم، فإذا هم بأثر بعير، قال إياد: هذا أثر بعير أعور، وقال أنمار: وإنه لأبتر، قال ربيعة: وإنه لأزور، قال مضر: وإنه شرود لا يستقر. فلم يلبثوا أن رُفِـعَ لهم راكب، فلما غشيهم قال لهم: هل رأيتم من بعير ضال؟ فوصفوه له، قال: إن هذه لصفته عينا، فأين بعيري؟ قالوا: ما رأيناه. قال: أنتم أصحاب بعيري، وما أخطأتم من نعته شيئا. فلما أناخوا بباب الأفعى، واستأذنوا عليه، فـإذِنَ لهم، صاح الرجلُ بالباب، فدعا به الأفعى، فقال له، ما

(١) رأيتُ من الأفْيَـد لخدمة النصوص الشعرية التي اتخذت القصص التاريخي مرتكزا تنبعث منه فورتها الشعرية، أن أضع نص القصة بين يدي القصيدة لا أن أضعها في الحاشية، لِـتَسْـهُـل للقارئ قراءتها، لأن حجم حروفها يكون أكبر عنه في الحاشية، وإلمامه بتفاصيل القصة قبل قراءة القصيدة مُشْعِـرٌ له بجوها عن معرفة سابقة ببواعثها ومراميها. ولهذه الغاية لم أعمد إلى عرض القصة بصورة موجزة، وإنما أوردتها من مصدرها كاملة، لأن أمير البيان يعرض في أبيات القصيدة كل التفاصيل، فلو عرضتُ القصة موجزة لغاب عن القارئ كثير من المعرفة الشارحة للأبيات، ولأوجب الحال التحشية على أغلب الأبيات. فعسى أن يكون ما رأيت موافقا للصواب.

تقول؟ قال: أيها الملك ذهب هؤلاء ببعيري. فسألهم الأفعى عن شأنه فأخبروه. فقال لإياد: ما يدريك أنه أعور؟ قال: قد رأيته قد لحس الكلأ من شق والشق الآخر وافر، فعلمت أنه أعور. وقال أنمار: رأيته يرمي بعره مجتمعا ولو كان أهلب مضغ به، فعلمت أنه أبتر. وقال ربيعة: أحد رجليه ثابتة، والأخرى فاسدة، فعلمت أنه أزور. وقال مضر: رأيته يرعى الشقة من الأرض، ثم يتعداها فيمر بالكلأ الغض، فلا ينهش منه شيء، فعلمت أنه شرود. فقال الأفعى: صدقتم، وليسوا بأصحابك فالتمس بعيرك. سألهم الأفعى عن نسبهم، فأعلموه فرحب بهم وحباهم، ثم قصُّوا عليه قصة أبيهم، فقال: كيف تحتاجون إليَّ وأنتم على ما أرى؟ فقالوا: قد أمرنا بذلك أبونا. فأمر خادم دار الضيافة أن يحسن إليهم ويكرمهم، وأمر وصيفا له أن يلزمهم، ويحفظ كلامهم. فأتاهم القهرمان (معد الطعام) بشهد فأكلوه وقالوا: ما رأينا شهدا أعذب ولا أحسن منه، فقال إياد: صدقتم، لو لا أن نحلة صنعته في هامَــة جبّار. ثم جاءهم بشاة مشوية فأكلوا واستطابوها. فقال أنمار: صدقتم، لو لا أنها غُذّيَت بلبن كلبة. ثم جاءهم بالشراب فاستحسنوه، فقال ربيعة: صدقتم لو لا أن كرمه نبت على قبر. ثم قالوا: ما رأينا منزلا أكرم قِرى، ولا أخصب رَحْلاً من هذا الملك. قال مضر: صدقتم، لو لا أنه لغير أبيه. فذهب الوصيف إلى الأفعى فأعلمه، فدخل الأفعى على أمه وقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أبي؟ قالت: أي بني أنت ابن الأفعى الأعظم. قال حقا تصدقينني. فلما ألح عليها لتقول الحق. قالت: أي بني إنَّ الأفعى كان شيخا كبيرا قد أنْـفَـل، فخشيت أن يخرج هذا الأمر عنا أهل البيت، وكان شاب من أبناء الملوك اشتملت عليك منه. ثم بعث إلى القهرمان فقال: أخبرني عن الشهد الذي قدّمته إلى هؤلاء النفر ما خطبه؟ قال: جُـزْنا بدَيْر في طيْفٍ فيه عظام نَـخِـرة، وإذا النحلُ قد عَـسَّـلَـتْ في

جمجمةٍ من تلك العظام، فأمرتُ باسْتِزْباره، فأتَوْا بعسَلٍ لمْ يُرَ مِثْلُه قط، فقدمته إليهم لجودته. ثم بعث إلى صاحب مائدته، فقال ما هذه الشاة التي أطعمتها هؤلاء النفر، فقال: إني بعثت إلى الراعي أن يبعث إليَّ بأسمن ما عنده، فبعث بها، فسألته عنها، فقال: إنها أول ما وُلِدَتْ من غنمي، فماتت أمها، وأنست السخلة بجراء كلبة ترضع معهم، فلم أجد في غنمي مثلها، فبعثت بها إليك. ثم بعث إلى صاحب الشراب، فسأله عن شأن الخمر، فقال: هي كرمة غرستها على قبر أبيك، فليس في بلاد العرب مثل شرابها. فعجب الأفعى من القوم، وقال: ما هم إلا شياطين. ثم أحضرهم فسألهم عن وصية أبيهم. فقال إياد: جعل لي جارية شمطاء، وما أشبهها من ماله. فقال الأفعى: إنه ترك غنما، فهي لك ورعاؤها مع الخادم. وقال أنمار جعل لي بدرة ومجلسه، وما أشبههما من ماله. فقال الأفعى: لك ما ترك أبوك من الرقة والأرض. وقال ربيعة: جعل لي بيتا أسودا وما أشبهه. فقال الأفعى: ترك أبوك خيلا دهما، وسلاحا، فهي لك وما فيها من عبيد. فقيل: ربيعة الفرس. وقال مضر: جعل لي قبة حمراء وما أشبهها. فقال: إن أباك ترك إبلا حُمْرًا فهي لك وما أشبهها. فقيل مضر الأحمر. فكانوا كذلك زمانا إلى أن أصابتهم سَنَة، فأهلكت الشاء وعامة الإبل، وذهبت بالرقة والمتاع، فكان ربيعة يغزو على خيله ويُغِير ويعول إخوته. وكان سبب تحول أنمار إلى اليمن، أنه تعرَّق عظما في جنح الليل ورمى به، فانغرز في عين مضر ففقأها، وصاح مضر وتشاغل إخوته به، وجرَّدَ أنمار بعيرا من كرائم إبله فلحق بأرض اليمن. أنظر كتاب المسالك والممالك، لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري، (ت٤٨٧هـ)، تحقيق الدكتور جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١، ص ١١١-١١٤.

أغُـــزاةٌ أمْ أنـتُـمُ طُـــرّاقٌ ... أم بـدورٌ لا يعتريها مُحَاقُ[1]
أم مـوازيـنٌ تحكمون البرايا ... أم رعاة العقول وهي حِقَاقُ[2]
أم أسـاطيـن والـوجـود فنـاء ... أم ميـادين والأنـام زقـاق[3]
أم خلايا تَكَشَّفَ الغيبُ عنها ... جلّ ربي لا يَدَّنِيْـها[4] اختلاقُ
أم خصـومٌ ولا شـقـاقٌ ولكنْ ... نـبـرات الـدهـاء وهـي شقاق
حِرْتُ، ما حِرْتُ في الحقيقة لكن ... في ادّعـاءٍ خفوقه إخفـاق[5]
حين قالت بجهلنا الأمم الأخـ ... ـرى وقـالـت قلوبنـا إغـلاق
ثـم قـالت بـأنـه ليس للعُر ... ب سوى القول والنُّهَى إطباق
كـذب الادعـاء، فالعقل والمنـ ... ـطق والعلـم إرثـنـا والسباق
قد عقلنا الأشياءَ والدهرُ طيشٌ ... وعلـمنـا وللـحـيـاة نـعـاقُ[6]
فنشرنا صحائف العلم نورا ... مشرقات تَنَوَّرَتْها الرفاق
وتسـامى بوعينا كل سـام ... وتـبـارى بعلمنا السُّبَّاقُ
غير أنَّا تَهَاوُنًا قد أضعنا ... عِلْمنا فاستفاده اللُّحَّاقُ
واجْتَلَوْا سِرَّهُ فطافوا به الأفـ ... ـقَ اختراعاً وبندُهُم خَفّاق
نحن قوم في قمة الوعي والفكـ ... ـر وأسمى صفاتنا الأخلاق
لم تخنّا منذ القديم عقولٌ ... بَسَقَتْ فهي والقضاء سباق

(١) المُحَاقُ: ما يُلاحَظُ على القمر من نُقصان بعد اكتماله.
(٢) حِقَاقُ: جمع ومفردُها حِقَّة وهو النصيب.
(٣) أساطين: جمع أسطوانة. وأسطوانة البناء عموده الذي يقوم عليه. الزقاقُ: الطريقُ الضيّقُ نافذًا أَو غير نافذٍ.
(٤) لا يَدَّنيها: لا يَلْحَقُها.
(٥) الخفوق مصدر خفقت الراية إذا اضطربت والإخفاق مصدر أخفق الرجل إذا غزا ولم يغنم.
(٦) نعاق مأخوذ من نعق الغراب إذا صوَّت. والمراد أنَّ العرب سادوا بالعلم وقت لم يكن لغيرهم إلا نعيق الجهل والغباوة.

قد محونا أمِّـيَّـةَ الكون عن أمِّـ ـيَّـةٍ بعضُ آيِـهَا الإشْـــرَاق[1]
وأتينا في خمس قـرن بما لم يـأتـه الـدهـرُ سَـبْـقُـهُ واللحاق
عـن عـقـول كـانـت قـواعـد للعـ ـلم عليها يرسو ومنها يساق
بَـلْـوَرَتْـنَـا الأيـامُ من عهد هود فـاسـتـنـارت بـنـورنـا الآفـاق
وكتبنا تاريخنا بيد الحمـ ـد وفـاءً مـا خـانـه ميـثـاقُ
وبـزغـنـا عـلـى سما العبقريا ت عـقـولا جـبـارة لا تـطـاق

تـمهيد

فأليك البيان في قَصَصٍ حُلْـ ـوٍ دليلا لـما عليه المساق
عـن نـزار فتى مَعَدّ الـذي طا بـت لـديه الفـروع والأعـراق
وبنيه الذين هم أَعْـقَـلُ النا س وأقـوى فهما ولا إخـفـاق
مضـرٌ بـل ربـيـعـةٌ بـل إيـادٌ وبـأنـمـارهـم يـتـم السياق

شروع

إذْ نـزار يـوزع المـال حيا بينهم أن يـدبَّ فيهم شقاق
مضر الشهم دونك القبة الحمـ ـراء خذها لا نالك الإمـلاق[2]
والخباءَ البهيم والسابق الأد هـم خـذ يـا ربيعة السَّـبَّـاق
وخـذ الـخـادم الـتـي شمطت رأ سـاً أيـاد المـهـذب المـعـتـاق[3]
ولـك الـنـدوة الـتـي تجمع القو م فخذها أنمار فهي ائـتـلاق[4]

(١) يقصد بلفظة (أمِّـيَّـة) الأولى الأمية العلمية، ويقصد بالثانية الأمة العربية التي مَحَتْ أمية الكون بمعارف القرآن.

(٢) الإملاق: الفقر.

(٣) المعتاق: من لا تفوته الطريدة.

(٤) الائتلاق: مصدر ائتلق بمعنى أضاء وأشرق.

فـإذا مـا اختلفتـم بعد موتي ... فإلى الجرهمي حيث البُعاق[1]
المليك القرم الـذي سُمِّيَ الأفـ ... ـعى سمام الأعـداء من لا يطاق
أتُـراهـم تـخـالفوا بعـده أم ... أغْرَوُوا الناس أم هناك انشقاق
أم لتُستثمر العقول التي طا ... ل عليها بـالعزلـة الإنغـلاق
إذ سـروا يقطعون طاغية اليهـ ... ـماء[2] نحو الأفعى إليه انساقوا
ورأوا نـاشـد البعيـر مشيحا ... يـتـرامـى كـأنـه مشـتـاق

البدوي

يا مُضِلَّ البعير في هـذه البيـ ... ـد سَـلِ الـركـبَ إنـهـم طُـرّاق
سَلْهُمُ عنه إنَّ في صدف التَّسْـ ... ـآل علـماً ضـيـاؤه رقـراق[3]
قـال يا ركبُ هل رأيتمْ بعيـري ... فلقد طـال منـه عنـي إبـاق[4]
فدنوا منـه قابضين زمـام العيـ ... ـس واللـطـفُ ثَـمَّ والأخـلاق
أَبَـعِـيْـنٍ مِطَاكَ، أَزْوَرَ، مبتو ... ر، شـرود لا يـزدهيـه رواق؟[5]
قـال قـد جئتم بـأربعـة الأو ... صـاف منـه فـأينـه يـا رفـاق

بنو نزار

فـأجـابـوه: مـا رأيـنـاه لكنـ ... ـا قصصناه والعـقـول سباق
فابْغِـهِ خلف إثـره وسل البيـ ... ـد فـفـيـهـا لـمـثـلـه أرزاق

(١) البُعَاقُ: الكَشْفُ. في المعجم بَعَقَ عن الشيء: كَشَفَ.
(٢) اليهماء: الفلاة التي لا يهتدى فيها.
(٣) الرقراق: المتلألئ.
(٤) الإباق: الهروب.
(٥) رواق البيت مُقَدَّمُه. أزور: أي لا يهتدي. أبعير مطاك: استفهامٌ على طريق الإخبار عن حال كونه ذكرا لا أنثى. وذلك لأن لفظة البعير تدل على الأنثى كما الذكر. وفي مقدمة القصيدة شرح واف للمفردات التي تصف هذا البعير.

قال أشكوكم إلى الملك الأفـ ـعى فقالوا وها إليه المساق
فشكاهم له فأرجأ شكوا ه وللضيف حرمة لا تعاق
حيث وافوه مُسْلَهِمّين[1] أضيا فاً كراماً لهم يحق العناق

الملك الجرهمي

فأعَدَّ القِرَى ثريداً لهم باللـ ـحم والخمر والنهى أذواق
ودعاهم له وخَبَّا خلف السـ ـور مولى للذهن منه ائتلاق
قال ع[2] القول منهم وتَبَيَّنْ ـهُ وجئني به ولا إخفاق
قال إنَّ الجماعة استعرضوا أشـ ـياء فوق الطعام فيها احتراق

الملك مع الخادم

قال قلها فقال قد أنكروا اللحـ ـم وقالوا للكلب فيه مذاق
وكذا أنكروا السلاف وقالوا في رفات الموتى لها إعراق
وكذاك الخبز الشهيّ يقولو ن أعدته طامث مغلاق[4]
قال حدّث، فقال رابعة تبـ ـقى أقلني منها فدتك الحِدَاقُ
قال قلها فلن أقيلك منها ولك الأمن وهو نعم الوثاق
قالوا بأنه لست للوا لد إبناً وما هناك انطباق

الملك يتابع الحديث

فدعا صاحب الخروف ليدري السـ ـر لو كان دونه إغلاق

---

(١) مُسْلَهِمّين: تغيّرَتْ ألوانُهم وضمُرت أجسامهم بسبب السفر.

(٢) ع: فعل الأمر من وعَى يعي. وعَى الحديث: حَفِظَه وفَهِمَه.

(٣) مغلاق من أغلق الباب؛ والطامث المرأة نزلت حيضتها؛ لا يأتيها الرجل فكأنها مغلقة.

قال ماتت لبونة ولدينا ... ذاتَ طِبْءٍ[1] لرضعه تنساق
أيها الخادم المسن صف الكر ... م الذي خمره إلينا تساق
قال فوق القبور قد غرسوه ... وعليها نما وطال الساق
ودعا من أعدت الخبز كي يد ... ري قالوا بالطمث كادت تعاق

الملك مع أمه

يا لأمي وما لأمي وما أخْـ ... ـفَتْهُ في السر والقضا استحقاق
إيه أماه فالحقائق لا تخ ... فى وإنْ يُخْفِهَا زماناً نفاق
من أبي؟ من أبي؟ لقد حصحص الحـ ... ـق فقولي لي أماه ضاق النطاق

أم الملك

لا تلمني وما أبوك الذي تعـ ... ـزى اليه ومن يُعَمَّى يُساق
لا تلمني فإنه كان عِنيـ ... ـنا حصوراً لا يَطَّبيه عناق[2]
لا تلمني وقد خشيت على الملـ ... ـك فأمكنت من له أعراق
مَرَّةً، أنْجَبَتْكَ بيضة ديك[3] ... لا التذاذاً ولا هناك اشتياق
فاقض ما شئت يا بني ودعني ... من حديثٍ تكراره إحراق
قال شيني عليك أمي وزيني ... لك والستر بيننا ميثاق
يا لنفسي ويا لودي عليها ... أَزَنِيْمٌ[4] وتاجه برّاق؟

(١) ذات الطبء: هي الكلبة، والطبء لها كالضرع للشاة والخلف للناقة والثدي للمرأة.

(٢) لا يطّبيه بتشديد الطاء المهملة لا يصبيه، لا يستثير شهوته.

(٣) يقال مثل بيضة الديك. للتأكيد على امْتِنَاع حدوث الأمر، أو نُدْرَتِه. وأمير البيان قصد بالعبارة تقوية دعوى الأم أنها لجأت إلى جماع رجل غير زوجها طلبا للولد حفظا لملك أهلها فقط لا لطلب الشهوة، وأن تلك المعاشرة لم تكن سوى مرة واحدة. وبذا يكون شأنها كشأن بيضة الديك التي يمتنع حصولها أصلا وإن حدثت فلمرة واحدة نادرة لا تتكرر.

(٤) الزَّنِيمُ: الدعِيّ، الملتصق بنسب غير نسبه.

الملك مع ضيوفه

ومضى خارجاً إلى الضيف يلقا ... هـمْ وفي النفس هاجس خفَّاقُ
ورأى وجوههم قسمات الـ ... ـعتق[1] نوراً فقال: مَنْ يا عتاق؟
أنـــزارُ فـتى معـدّ أبـوكـم ... يا صِبَاح الوجوه يا إشراق؟
فأجابوه قد أصبت ولم تخطئ ... فـلـلـه حـدسـك الـسـبَّـاقُ
مرحبا يا بَنِيْ صديقي وأهلا ... إنـها خلسة السرور تساق
قد نزلتم بأرضكم وحللتم ... بحماكم لا غالكم إرهاق[2]
يا كرام النفوس أبناء عدنا ... ن كبار العقول نعم الرفاق
يا بنيَّ الكرام ما أنا بالنا ... سي أباكم له إغداق[3]
عشت أبكي عليه حزناً ولكن ... مذ رأتكم عيناي زال الخناق
لم يمت من له ولو واحدا منكـ ... ـم وإنْ مات جسمه والصفاق[4]
فأروني رأي البعير الذي أحسـ ... ـنتم الوصف به منه وهو إباق
فأجابوا وفي الخبيئة إحسا ... س غزير وفي اللسان انذلاق[5]

حديث الضيوف

قد رأينا خُفَّيْهِ خفاً فقلنا ... إنـه أزور الـخُطا مضياق
ورأينا أبعاره وهي أكوا ... م فقلنا أبتر مطباق[6]
ورَعَى نِصْفَ مُوْرِق الأيْكِ وانسا ... ب فقلناه أعورٌ مُنْسَاقُ

---

(١) العتق: الأصالة.

(٢) لا غَالَكُمْ: لا أصابكم.

(٣) إغداق: مصدر أغدق له النعمة أسبغها.

(٤) الصفاق: الجلد.

(٥) الذلاقة: حدة اللسان.

(٦) مطباق: أي يطبق البعرة على الأخرى لأن ذنبه مبتور.

ورأيـنـاه وهـو يـرعى فيعدو ... فـعـرفـنـاه أنـه أبَـاقُ[1]
قال يا صاحب البعير خذ الدر ... بَ فـمـا الـقـوم معـشـرٌ سُـرَّاقُ

الملك يعيد السؤال

ثم ثَنَّى يقول: ما لخروفي ... وسـلافـي ومـا أنـا والـرقـاق؟
لا تسلنا فكم هنالك إحـرا ... جُ وفي النفس إن تَسَلْ إشفاق
قـال هـاتـوا ومـا هـنـالـك ذنـبٌ ... ومن العقل للعِقَالِ اشتقاقُ[2]
فـتـراءوا ما بينهم ثم قالوا ... ومـن الـقـول يـبـدأ الإنـطـلاق

رد الضيوف

قد رأينا واللحم بين لحوم الضـ ... ـأن والكلب والخفايا اتفاق
فعرفنا أنَّ التشابه سِـرٌّ ... مَوْصِليّ للدُّرِّ فيه اعـتـنـاقُ[3]
ونظرنا إلى شرايين ذات الْـ ... ـخبز في خبزها كأنْ تهراق[4]
فَعَرَفْنَا بأنَّ ثمَّتَ طَمْثَا ... ومن السبق يستبين اللحاق
وشربنا السلاف وهي سرور ... فَحَزِنَّا غَدَاةَ لذَّ المذاقُ
فعرفنا بأنَّ باعث ذاكَ الْـ ... ـحُزن سر الموتى الذي لا يذاق
هذه هي الحقائق إنْ شئْـ ... ـت وفيها لغيرها مصداق
فاختبرها سراً فإنْ هي صحَّت ... فهو الظن زانه الإحقاق
قال لا بدَّ أنْ تقولوا ولا تخْـ ... ـشَوْا فللصدق والنجاة استباق

---

(١) أبَاقُ: شَرُود.

(٢) العِقَالُ: الحَبلُ الذي يعقَلُ به البعيرُ كي لا يشرد ويغيب، وهو مشتقٌّ من العقل، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك أي يَحْبِسه.

(٣) مَوصِلِيٌّ: نسبة إلى المَوْصِل وهو موضعُ الوصل بمعنى الضَّمِّ واللَّأْم. الدُّرّ: اللبن.

(٤) تهراق: من هريقت الجرة إذا أريق ما فيها، والإهراق أكثر ما يستعمل في الدماء.

فتمادوا بعض القليل فقالوا ... ما لديهم، ما جفَّ منهم بصاق[1]
بين أخلاقك التي قد لمسنا ... ها وأخلاق من نماك افتراق
وكذاك الأفعال فيما علمنا ... من أبينا كما جلاه السياق
أَوَ يُدْعَى إلى الطعام ضيوفٌ ... ما رأتهم من المُضيف المآقي
فعرفنا من ثَمَّ أنْ لستَ منه ... وهو في الكلّ قطُّ حَدْسٌ مُساقُ
فأقِلْنا بالعفو إنْ نحن أخطأ ... نا فَلِلْعَفْو شيمةٌ لا نفاقُ
واصغ منا إلى الذي قد أتينا ... ك به فهو قصدنا والسباق

الضيوف في مهمتهم مع الملك

قد أتيناك كي تحل رموزاً ... لأبينا والإرث فيه شقاق
وَزَّعَ الإرثَ وهو حيٌّ ولكن ... لم تزل عنه دوننا أغلاق
قال هاتوا، فأَطْلَعُوهُ على التو ... زيع والعقل للهوى ترياق[2]
قال هاكم رأيي جلياً فإن وا ... فق آراءكم فنعم الوفاق

حكم الملك في القضية

كل ما كان أحمرا فلذي القبـ ... ـة ما كان الشكل والائتلاق
فلذاكم دَعَوْهُ: يا مضر الحمـ ... ـراء، راهِنْ فإنَّكَ السَّبَّاقُ
والجياد العتاق تتبع من يعـ ... ـزى إليها لا جانبته العتاق
فَدَعَوْهُ: ربيعة الفرس الشهـ ... ـم تقدم وبندك الخفاق
وأياد يُعْزَى إليه الذي شا ... به شمطاءه فنعم المساق
فَدَعَوْهُ: الشمطا، وكم بالمسمى ... عَظُمَ الإسم والأمور اشتقاق

(١) ما جَفَّ منهم بصاق: هذه الجملة تدل على رباطة جأشهم، وثقتهم. بمعنى أنهم قالوا آراءهم بكل صدق وجسارة دون أن يجف ريق أفواههم رهبة من جلال حضرة الملك.

(٢) الترياق: دواء يقاوم السموم وربما قالوا درياق.

ولأنـــمـار فـاضـل الـــمـال والـفـا ضل مـا كـان دون مـا قـد ساقوا
فـلـهـذا دَعَـــوْهُ: أنـــمـار فضل، ومـن الفضل يُـنْـعِـمُ الـرزاقُ

حسن اختتام

هـــذه هـــذه الـعـقـول وكـــم قد لُـــوِيَـــتْ لاجتلائها الأعـنـاق
ولكم فَـوَّقَـتْ على الأُفُقِ الأعْـــ ـــلى وغـارت فاهتزت الأعماق
من لهذي العقول أن ينجب الدهْـ ـــرُ كـأمـثـالـهـا وهـل ذا يطاق
فـهـلـمَّ ائـتـونـي بـمـثـقال ذرٍّ مـن سناها وهـل لديكم مَطاقُ
أو فقولوا إنَّ الفتى العربيَّ الْـ ـمَحْضَ سِرٌّ، للوَعْيِ فيه اندفاق
ودعـونـي أجـلـو بيانيَ سحرا عـن جـبـيـنٍ ضـيـاؤه رقـراق
وأفض الختام مسكا على الكو ن تـرامـى فـي عـرفـه العشاق

* * * * *

(١٥) من طرائف المأمون[١]

في هذه القصيدة يعرض أمير البيان لقصة لقاء الخليفة المأمون بابنة وزيره الحسن بن سهل، وتزوجه بها. وقد أوردها الإتليدي في كتابه نوادر الخلفاء، وهي حقا من نوادر القصص المغلَّفَة بالخيال، وفيما يلي نصُّها:

"يُحْكَى عن إسحاق الموصلي أنه قال: خرجت ليلة من عند المأمون متوجها إلى بيتي، فأحسستُ بالبول، فعمدت لزقاق وقمت لأتمسح بالحيطان، وإذا بزنبيل كبير بأربعة آذان مُلْبَس ديباجا، فقلتُ: إن لهذا سببا، وبقيت متحيرا في أمره فحملني السكرُ على أن أجلس فيه فجلستُ، فلما أحس بي الذين كانوا يرقبونه جذبوه إلى رأس الحائط، فإذا أنا بأربع جوار يقلن لي: انزل بالرحب والسعة، ومشت بين يدي جارية بشمعة، حتى نزلت إلى دار ومجالس مفروشة، لم أر مثلها إلا في دار الخلافة، فجلست فلم اشعر بعد ساعة إلا بستور قد رفعت في ناحية من الجدران، وإذا بوصائف يتمشين وفي أيديهن الشمع، وبعض مجامر يحرق فيهن العود وبينهن جارية كأنها البدر الطالع، فنهضت وقالت: مرحبا بك من زائر وجلست، ثم سألتني عن خبري فقلت: انصرفت من عند بعض إخواني وغرني الوقت وحرقني البول فعمدت إلى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا معلقا فحملني السكر على أن جلست فيه فإن كان خطأ فالنبيذ أكسبنيه، قالت: لا ضير وأرجو أن تحمد عاقبة أمرك، ثم قالت: فما صناعتك؟ قلت: بَـزَّاز (بائع ثياب) ببغداد، فقالت: هل رويت من الأشعار شيئا؟ قلت شيئا ضعيفا، قالت: فذاكرنا شيئا، قلت: إن للداخل حشمة، ولكن تبدئين أنت، قالت: صدقت فأنشدتني شعرا لجماعة من

(١) سبق التعريف بالمأمون. أنظر قصيدة: حلبة الرشيد، الحاشية رقم ٢، وقصيدة: على بيتي المأمون، الحاشية رقم ١.

القدماء والمحدثين من أجود أقاويلهم، وأنا مستمع لا أدري مم أعجب من حسنها أم من حُسن روايتها، ثم قالت: أذهب ما كان فيك من الحصر؟ قلت: إي والله، قالت: فإن رأيت أن تنشدنا، فأنشدتها شيئا لجماعة من القدماء ما فيه مقنع، فاستحسنت ذلك، ثم قالت: والله ما ظننت أنْ يوجد في أبناء السوقة مثل هذا، ثم أمَرَتْ بالطعام فأُحْضِرَ فجعلَتْ تقطع وتضع قدامي وفي المجلس من صنوف الرياحين وغريب الفواكه ما لا يكون إلا عند السلطان، ودَعَتْ بالشراب فَشَرِبَتْ قدحا، ثم ناولتني قدحا، ثم قالت: هذا أوان المذاكرة والأخبار، فاندَفَعْتُ أذاكرُها وقلتُ: بلغني أنَّ كذا وكذا، وكان رجل يقال له: كذا حتى أتيت على عدّة أخبار حسان، فَسُرَّتْ بذلك وقالت: كثُرَ تَعَجُّبي أنْ يكون أحدٌ من التجار يحفظ مثل هذا، وإنما هذه أحاديث ملوك. فقلتُ: كان لي جارٌ يحادث الملوك ويُنادِمُهم، وإذا تَعَطَّلَ حضرتُ معه فربما حدَّثْتُ بما سمعتُ. فقالت: لعمري لقد أحسنت الحفظ، وما هذه إلا قريحة جيدة، وأخذنا في المذاكرة، إذا سكتُّ ابتدأت هي، وإذا سكتت ابتدأت أنا، حتى قطعنا أكثر الليل وبخور العود يعبق وأنا في حالة لو توهمها المأمون لطار شوقا إليها. فقالت إنك من أظرف الرجال، وضيء الوجه، بارعٌ في الأدب، وما بقي إلا شيء واحد، قلت: وماهو؟ قالت: لو كنتَ تترنم ببعض الأشعار؟ قلت: والله لقديما كنت أَلِفْتُ به ولم أُرْزَقْه، وأعرضتُ عنه وفي قلبي منه حرارة، وكنتُ أحبُّ في مثل هذا المجلس شيئا منه لتكمل ليلتي. قالت: كأنك عَرَّضْت. فقلتُ: والله ما هو تعريض قد بدأتِ بالفضل وأنتِ جديرة بذلك، فأمرَتْ بعود فحضر وغنَّتْ بصوت ما سمعتُ بحسنه مع حسن أدبها، وجودة الضرب بالكمال الراجح، ثم قالت: هل تعرف هذا الصوت، ومن غَنَّى به؟ قلتُ: لا، قالت: الشعر لفلان، والغناء لإسحاق، قلتُ: وإسحاق هذا، جُعِلْتُ فداكِ، بهذه الصفة؟ قالت: بَخٍ بَخٍ، إسحاق

بارعٌ في هذا الشأن، فقلتُ: سبحان الله، أعطى هذا الرجل مالم يعطه أحد، قالت: فكيف لو سمعتَ هذا الصوت منه، ثم لم تزل على ذلك، حتى إذا كان الفجر أقْبَلَتْ عجوزٌ كأنها داية لها، وقالت: إنَّ الوقت قد حضر فنهضت عند قولها. فقالت: لتستر ما كنا فيه، فإن المجالس بالأمانات. قلتُ: جُعِلْتُ فداكِ لم أكن أحتاج إلى وصية في ذلك، فودَّعْتُها وجارية بين يديَّ إلى باب الدار، فَفُتِحَ لي فخرجت، ورحتُ إلى داري فصلَّيْتُ الصبحَ ونمت، فانتهى رسول المأمون إليَّ فسرتُ إليه، وأقمتُ عنده نهاري. فلما كان العشاء تفكرتُ ما كنت فيه البارحة، وهذا شيء لا يَصْبِرُ عنه إلا جاهل. فخرجتُ وجئتُ إلى الزنبيل فوجدته على عادته، فجلستُ فيه ورُفِعْتُ إلى موضعي البارحة، وإذا هي قد طَلَعَتْ فقالت: لقد عاوَدْتَ، فقلتُ: ولا أظن إلا أنني قد ثقَّلْتُ، وأخذنا في المُحادثة مثل تلك الليلة السالفة في المذاكرة والمناشدة وغريب الغناء منها، إلى الفجر فانصرفتُ إلى منزلي، فصليتُ الصبح ونمتُ فانتهى رسول أمير المؤمنين إليَّ فمضيتُ إليه وأقمتُ نهاري عنده. فلما كانت العشية وجه إليَّ خطابا، وقال: أقسمتُ عليك لتجلسنَّ حتى أجيء وأحضر، فما كان حتى أن غاب وجالت وساوسي، فلما تذكرت ما كنت فيه هان عليَّ ما يخصني من أمير المؤمنين، فوثبتُ مبادرا وخرجتُ جاريا حتى أتيتُ الزنبيل، فجلستُ فيه فرُفِعْتُ إلى مجلسي. فقالت: صديقنا، قلتُ: إي والله، قالت: أجعلتها دار إقامة؟ قلتُ: جُعِلْتُ فداكِ، حق الضيافة ثلاثة أيام، فإن رجعتُ بعد ذلك فأنتم في حلٍّ من دمي. ثم جلسنا على ذلك الحال، فلما قَرُبَ الوقت علمتُ بأن المأمون لا بد أن يسألني فلا يقنع إلا بشرح القصة. فقلتُ: إني أراكِ ممن يُعْجَبُ بالغناء ولي ابن عمٍّ أحسنُ مني وجها، وأظرفُ قداً، وأكثرُ أدَباً، وأطْيَبُ أرَجاً، وهو أعْرَفُ خلق الله بغناء إسحاق، فقالت: طفيلي وتقترح. قلتُ لها: أنتِ المُحَكَّمَة، ثم قالت: إن كان ابن عمك على

ما تصف فما نكره معرفته، ثم جاء الوقتُ فنهضتُ وقمتُ وذهبتُ، فلم أصل إلى داري إلا ورسل المأمون قد هجموا عليَّ وحملوني حملا عنيفا فوجدته قاعداً على كرسي وهو مغتاظ. فقال: يا إسحاق أخروجا عن الطاعة؟ قلتُ: لا والله، قال: فما قصتُكَ أصْدِقْني؟ قلتُ: نعم، في خلوة. فأومأ إلى من بين يديه، فَتَنَحَّوا فحدَّثْتُه الحديث وقلتُ له: وعدْتُّها بك، قال: أحسنت، فأخذنا في لذَّتنا ذلك اليوم والمأمون مُعَلَّقُ القلب بها، فما صدَّقنا أن جاء الوقتُ وسرنا وأنا أوصيه وأقول له: تجَنَّبْ واحْذَرْ أن تناديني باسمي بحضرتها وغَنِّ وأنا لكَ تَبَعٌ، وهو يقول: نعم. ثم سرنا إلى الزنبيل فوجدناهما اثنين فقعدنا فيهما وَرُفِعْنا إلى الموضع المعهود فحَضَرَتْ وأقْبَلَتْ وسَلَّمَتْ. فلما رآها المأمون بُهِتَ في حُسْنِها وجمالها، وأخذَتْ تُذَاكِرُه وتُنَاشِدُه الأشعار، ثم أحضرت النبيذ فشربنا، وهي مقبلة عليه مسرورة به، وهو أكثر فأخذَتْ بالعد وغَنَّتْ صوتا، ثم قالت: وابن عمكَ هذا من التجار وأشارتْ إليَّ؟ قلتُ: نعم. قالت: والله إنكما لقريبان، فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال: يا إسحاق قلتُ لبيكَ يا أمير المؤمنين، قال: غَنّ هذا الصوت، فلما علِمَتْ أنه الخليفة نهضت إلى مكان فدخلَتْه فلما فَرَغْتُ من الصوت، قال: انظر من ربُّ هذه الدار، فبادرت العجوزة وقالت: للحسن بن سهل، فقال: عليَّ به، فغابت العجوز ساعة وإذا الحسن قد حضر، فقال له المأمون: ألكَ ابنة؟ قال: نعم. قال: ما اسمها؟ قال: بوران، قال: أمتزوجة؟ قال: لا والله. قال: فإني أخطبها منك، قال: هي جاريتك، وأمرها إليك، قال: قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألفا تحمل إليك صبيحة يومنا هذا، فإذا قبضتَ المالَ فاحملها إلينا من ليلتنا، قال: نعم. ثم خرجنا. فقال يا إسحاق لا تُوْقِفْ على هذا الحديث أحدا، فسترته إلى أن مات المأمون. أنظر كتاب نوادر الخلفاء للأتليدي، دار الآفاق العربية، ص ٢٩٥-٢٩٩.

تاه بين الظُّلْمِ والظُّلَمِ ... واهتدى لكن إلى الضَّرَمِ[1]
واغتدى لكن بأدمعه ... سابحاً كالطيف في الظُّلَمِ
واعتدى لكن على دمه ... بين قهار ومنتقم
بين ليلاه وليلته ... طائش التفكير والقلم
كلما هاجت بلابِلُهُ ... هام بين الحِلْمِ والحُلُمِ[2]
أنسيته نفسه فصغى ... قلبه لكن إلى العدم
أيها الموتور[3] في دمه ... حرِّك الأوتار للنغم
واسْحَقِ الأيام عابسة ... في غنا إسحاق[4] تغتنم
واحتس الأفراح ذائبة ... عن دم العنقود وَالْتَهِمِ
واصطل الأشواقَ مُوقدةً ... مَوْصِلِيَّاتِ الهَوَى وَهِمِ[5]
والتمس دنيا مواتية ... عن يد المأمون واستلم
وارتشف ذكرى طرائفه ... لذة كالبارد الشبم
بات يوماً خاليا فدعا ... عود موسيقاره النغمي
قال يا إسحاق ليلتنا ... ليلة الأفراح فاغتنم
قم بنا نلهو بصافية ... مثل ذوب الصارم الخذم

---

(١) الضَّرَمُ: ما تُشعل به النارُ من الوقود. ولكن الكلمة في هذا السياق تعني النار من باب تسمية الشيء بجزء منه.

(٢) الحِلْمُ: الأَناةُ، الصَّفْحُ، وضبطُ النَّفْس ومَسْكُها عن إنفاذ غضبها مع قدرة وقوة على الإنفاذ. الحُلُمُ: الرُّشْد. شاهدُه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ سورة النور الآية: ٥٩.

(٣) المَوْتُورُ: من قُتِلَ له قريبٌ ولا قدرة له على أخذ ثأره.

(٤) إسحاق: هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي بالولاء الموصلي (٧٦٧م-٨٥٠م). عمدة المغنين ورواة الألحان في العصر العباسي. وقد مرَّ التعريف به في حاشية على القصيدة رقم (٦) بعنوان: عند المَوْصلي.

(٥) هِمْ: فعل أمر من هام يهيم هياما. هام فلان بفلانة: شُغِف حبًّا بها.

واتَّـــئِـــدْ عَـلِّـيْ أطـوف على ... مـنـــزلي سـعـيـاً إلـــى الـحـرم
فـاعـــتـرت إسـحـاق ذاكـرة ... حـيـن أبـطـا سـيـد الـحـرم
قـال أمـضـي نـحـو جـاريـتـي ... لـحـظـة وأعـــود كـالـعَـــرِم
إذ مـضـى لـكـن رأى حـبـكـا ... بـــان عـنـــه كـكـفـة الأدم
قـال هـل أجـثـو بـهـا لأرى ... سرها في قُـرْعَـةِ الـزَّلَـم[1]
فـارتـمـى فـيـهـا فَـجَـــرَّ بـه ... حـرسُـهـا ضـيـفـاً إلـى القمم
قـاعـةٌ هـامَ الـجـمـالُ بها ... تـائـهـا يـهـوي بـــلا قـدم
بـيـن أتـــرابٍ بـهـا عُـــرُبٍ ... كـالـدمـى أوْفَـــتْ عـلـى أطُـم[2]
بـيـنـهـا بـيـضـاء آنـسـة ... مثل قـرن الشمس عـن أمَـم[3]
أقـبـلـت والـشـــمـع مـتـقـد ... حـولـهـا عـن قـلـب مضطرم
أو رأت ضـيـفـاً بـقـاعـتـهـا ... فاحتفت بالطارق النَّهِم[4]
آه مـا أحـلـى لُـيَـــيْـلَـتَـهُ ... بـــيـن طـــواف ومـسـتـلـم
لـيـلـة غـــراء يـحـسـدهـا ... فـي سـراه الـبـدر فـي الـدهـم
لا يـــروعُ الـبـيـضَ أسـودُهـا ... فـهـي مـثـل الأشـهـر الـحـرم
ثـــم ثـــنـاهـا بـثـانـيـة ... رغـم ذي السلطان والـخـدم
هـا هـنـا قـد بـــات فـي قـلـق ... خـائـفـاً مـن بـطـش مـحـتـكـم
فـانـثـنـى يـغـري مضيفته ... فـي مـــزار أخ لـــه فـهـم

(١) القُرْعَةُ: سهم ونصيب، اختيار بطريقة يتدخّل فيها الحظّ. الزَّلَمُ: السهم، وكان أهلُ الجاهلية يستقسِمون بالأزلام، وكانوا يكتبون عليها الأمرَ أو النهي ويضعونها في وِعاء، فإذا أراد أحَدُهم أمرًا أدخَلَ يده فيه وأخرجَ سهمًا فإن خرج ما فيه الأمرُ مضى لقصدِه، وإن خرج ما فيه النَّهي كَفَّ.

(٢) أتْـرَاب: أي على استواء متماثل في الهيئة والسن. وهذا في النساء، أما الرجال فيقال: أقران. عُرُب: جمع وواحدتها عَرُوب وهي المرأة التي تتحبب إلى زوجها بتحسين هيأتها وغنج كلامها وحسنه ولينه. الدُّمْيَةُ: الصورة، وتستعمل للتعبير عن جمال الأنثى. الأُطُم: القصور العالية.

(٣) قَرْنُ الشمس: أَولُ ما يبزغ عند طلوعها. عن أمم: عن قُرْب.

(٤) النَّـهِـمُ: الآكِـلُ الـجَـرُوز، الـشـديدُ الـتـهـام الطعام.

قال إنَّ أخي له أدب ... كالجَنَى يحلو بكل فم
فَلأَجِئْكَ مع العشيّ به ... إنَّه كَنْزٌ من الحكم
قالتِ اسْتَكْتِمْهُ وَأْتِ به ... إننا نهفو لذي كرم
ويحه إبَّان فارقها ... فارقاً من نزوة الوصم[1]
ويحه إذ جاءه غلسا ... جند مولاه من النقم
قال يا مولاي عندي ما ... لو فشا لشفى من السقم
قال أسمعني فأسمعه ... ما دعاه لتلكم الخيم
قال نَسْرِ الليل يجمعنا ... تحت جنح السر والذمم
أقبلا والليل معتكر ... نحو زنبيلين في لُقَمِ[2]
فاستباحا فضل سرهما ... عن هناء غير منحسم
حيث باتا في غضون هوى ... بالغٍ أو غير مُحْتَلَمِ[3]
حين طاش إمامهم فدعا ... قائلا، إسحاق غَنِّهِمِ
قال سمعاً سيدي فلقد ... آن لي الإصحار عن شيمي[4]
ها هنا استحيت أميرتهم ... فاختفت خوفاً من التهم
ثم صاح أميرهم علنا ... من أخو ذا المنزل الفخم
قيل للحسن ابن سهلهم ... ثم نادى يا ابن سهلهم
قال يا حسن اغتنم ختني[5] ... قال يا مولاي لا ترم
هذه بوران ماثلة ... فاحتكم يا سيد الأمم

---

(١) فارقا: خائفا. الوَصَمُ: العيبُ.

(٢) اللُّقَمُ: الطريقُ.

(٣) غير مُحْتَلَم: أي أن السرور الذي تمتعا به لم يخطر حتى في الحلم.

(٤) الإصْحارُ: الإظهار. والمعنى هنا أنه آن الأوان لإسحاق كي يظهر على حقيقته كمغن بارع بعد أن كان أخفى ذلك على المرأة قبل حضور المأمون.

(٥) خَتْنِي: تَزْويجي.

زينت من حينها فمشى ... نحوها كالسِّيْدِ للغنم[1]
ثم راش القوس عن وتر ... شده لكن على العصم
حيث حالت دون منيته ... دمعة حمراء كالعنم
قال في معنى طريقته ... حائكاً بيتين في شمم
وهو يزوي من أعنته ... طاغياً كالجارف العرم
"فارس في الحرب مشتهر ... عارف بالطعن في الظلم"
"رام أن يدمي فريسته ... فاتقته من دم بدم"
يا بني العباس ذكركم ... غرة التاريخ من قدم
أنتم للدهر زينته ... في مجال الأنس والهمم
كم له من صيتكم أرج ... بين ما بدء ومختتم

* * * * *

(١) السِّيْدُ: الأسد، الذئب.

(١٦) حفظ الكرام[١]

سَلاَهُ كيفَ عَضَّ على اللجامِ ... فحلَّقَ خلف أجنحةِ الغرامِ
وطار إلى ربوع الحبِّ يهوي ... ربيط الجأش محلول اللجام
وباتَ يلاطفُ البَوَّابَ فيها ... ليولجه على تلك الخيام
فيالك فرحة طارت جناحاً ... به لما توغل في المقام
يجاذب ثَمَّ أستاراً عليها ... ذمام الله في بلد حرام
ليبلغ سرَّ ما ضمَّت مُلاها ... وإنْ يكُ حيط بالموت الزؤام[٢]
ودونك قصة كالأرْيِ[٣] طعما ... وكالقبلات في ليل التمام
تآخى اثنان والإسلام يزهو ... بفاروق الهداية والتعامي
فتى الخطاب مصدر كل عدل ... وأقوى الراشدين بلا خصام

---

(١) هذه القصيدة تدور حول قصة حدثت زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قُتِل رجلٌ من اليهود فقام عمر خطيبا فقال: أنشد الله رجلا عنده من ذلك علم؟ فقام بكير بن الشداخ الليثي فقال: أنا قتلته يا أمير المؤمنين فقال عمر: بؤت بدمه فأين المخرج؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ رجلا من الغُزَاة استخلفني على أهله فجئت فإذا هذا اليهودي عند امرأته وهو يقول:

وأشْعَث غرَّه الإسلام منى ... خلوتُ بعرسه ليلَ التمام
أبِيتُ على ترائبها ويُمْسِي ... على جُرْدِ الأعِنَّة والحزام
كأن مجامع الربلات منها ... فئامٌ ينهضون إلى فئام

فَصَدَّقَ عمرُ قولَه بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له، لأنه كان يخدم النبي فترة صباه، فلما بلغ مبلغ الرجال أعلم بذلك رسول الله وقال: قد احتلمت الآن يا رسول الله. فقال: اللهم صدّق قوله ولقّه الظفر. أنظر: كتاب السيرة النبوية (مأخوذ من كتاب البداية والنهاية لابن كثير) تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م، الجزء الرابع، ص ٦٥٦.

(٢) مُلاها: جمع وواحدتُها مُلاءَة وهي الملحفة، ويريدُ بها هنا ما يُحاط به السر من كتمان. الموتُ الزُّؤامُ: الكَريهُ، السَّريعُ.

(٣) الأرْيُ: العسل.

قـوي الـعـزم فـي إقـــدام غـرٍّ ... شديد الحزم في رأيٍ همام[1]
يـمـثـل دور ذي جـاه خطيـر ... ويمشي في التواضع كالغلام
تـآخـى ذانـك الـفـتـيـان حقا ... وعـاشـا بـــالأخـوة فـي سـلام
فـأغـــزى واحـــداً عُـمَـرٌ وأرجـا ... أخـــاه لـشـأنـــه رَعْـــيَ الـذمـام
فكان يحوط أمـر أخيـه طُـرًّا ... ويحفظ أهلـه حفظ الكـرام
فسـار كشـأنـه بعض الليالي ... يطوف على المحارم باحترام
فيـا للدهشتين وقـد تجلى ... لـه نـــور الـســـراج بـلا مـرام
وقـد نامت عيـون النـاس حتى ... كـأنَّ الليل نَـسْـرٌ من حِـمَام
إذا حَـرَّكْـتَ إحـدى ريشتيه ... حسبتَ الكون ضربا من تَـرَامِ
وإنْ أيقـظت راقـده تـرامى ... كشـرّيـــبٍ أقـــام عـلـى مُـدام
وإنْ أصْـغَـيـتَ للسـمار فيه ... كمطويّ الضلوع على ضـرام
يـجـاذبـه الـغـرام إلـى لقاء ... ويـدفـعـه الـلـقـاء إلـــى غـرام
عـلـى دوامـــة يـحـيـى ويفنى ... يصح فيـرتـدي ثـوب السقام
مكانك يـا سـراج فأنـت سِـرٌّ ... يَـنِـمُّ عن الحقيقة في الظلام
أراك تَـشِفُّ عنْ مَـعْـنًى خفيٍّ ... وتـكـشـف عـن تـلاق فـي هيام
أَضَـأْتَ فهل أضـأت لوصل حب ... دعـاه رشـف مـا تـحت اللثام
وبـات يـواصـل القُـبُلات فيه ... ويَهْصِرُ قَـدَّ ممشوق القوام
يـداعـبـه الـغـرام فـلا يـبـالي ... فيـبـدو وهـو مـحـلول الـزمـام
أأدنـــو كـي أراكَ عـلـى يقين ... وأُبْـصِـرُ مـا وراءكَ مـن وئـام
لـعـل هـنـاك أنـفـاسـاً جياعا ... تَـــدَافَـعُ تحت أنـفـاس ظوام
فما أن كـاد يُـشْـرِفُ أو تـراءى ... لـه شبح الـهـوى دون احتشام
يُـمَـثِّـلُ دور ربِّ البيت فيه ... ويـــمـلأه فـــنـونـاً مـن زحـام
خـلـيـعٌ مـالأتْـــــهُ عـلـى هـواه ... فـــتـاةٌ غـرَّهـا عـــذْبُ الـكـلام

(١) غَرَّ الرَّجُلُ: سَادَ، شَرُفَ، كَرُمَتْ فِعَالُهُ. رأيٌ هُـمَـامُ: رأيٌ جريء، سديد.

وبات الشوق تلْفَحُها لظاه ... لحِبٍّ غاب عنها منذ عام
تراخت بعده حُبَكٌ شِدَادٌ ... أضاعتها يدٌ منْ مُسْتَهام
يهوديٌّ له أخلاقُ مكْرٍ ... وهل غير الدعارة للئام
أَكَبَّ على مراشفها يغني ... بأبيات كأسطار السلام
يغني ملء فيه ولا يبالي ... كأنْ قد بات يرعى في سوام
"وأشعث غره الإسلام مني ... لهوت بعرسه ليل التمام"(١)
"كأنَّ مجامع الربلات منها ... فِئَامٌ ينهضون إلى فئام"(٢)
"أبِيْتُ على ترائبها ويُضْحي ... "على جرداء لاحقة الحزام"(٣)
هنالك شمَّرَ الأخُ ساعديه ... وغيرتُهُ تَوَقَّدُ في احْتِدَام
يكاد الغيظ يصرعه فيهوي ... بأحشاءٍ مُضَرَّجَةٍ دوامِ(٤)
فسار البيت ثَمَّةَ عاد يسعى ... إليه خلف بادرة الحُسام
يعاقره المنون بلا تَوَقٍّ ... ويسقيه كؤوسا من حِمام
فما أنْ كاد يُرديه صريعا ... بصحن الدار مُنْهَاضَ العظام(٥)
إلى أن جرَّه للوجه سَحْبا ... وقال لدربه كفي ملامي
إليك فلا تذيعي فيك سري ... ودونك فاحفظي عني ذمامي
وأصبح ذلك المغرور مُلْقَى ... عليه قومه مثل النعام
وجاءوا بعد يستعدون فيه ... أمير المؤمنين لِلِانْتِقام

---

(١) أنظر الحاشية الأولى في مستهل القصيدة.

(٢) الفِئامُ: الجماعةُ من الناس.

(٣) هذا البيت أورده بعض المصادر بصيغة مختلفة:

أبِيتُ على ترائبها ويُمْسِي ... على جُرْدِ الأعِنَّة والحزام

أنظر: كتاب السيرة النبوية (مأخوذ من كتاب البداية والنهاية لابن كثير) تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م، الجزء الرابع، ص ٦٥٦.

(٤) دوام: تسيل بالدم.

(٥) مُنْهاض: مكسور.

فـقـال هـلُـمَّ تـجْـمَعُـنـا صلاة ... فجاء الناس في حسن انتظام
فقال نَشَدْتُ رب البيت شخصا ... لـه عـلـم بـمـقـتـل ذا الـغـلام
فـقـام إلـيـه قـاتـلـه فـأدْلـى ... بقصته إليه بلا اخـتـرام[1]
فقال له الإمامُ لَقِيْتَ خيراً ... ولا قُطِعَتْ يمينُك من محام
بَرِئْتَ من الدم المطلوب عمْدا ... على فرش الخنا والإتـهـام
أيـا عُـمَـر الهداية نُـلْتَ خيرا ... فـإنـك خـيـر راع لـلأنـام
حكمت فأنت قِسْطاسٌ قويمٌ ... وقـمـتَ فأنـت للسمحاء حام
وطُـلْـتَ فأنـت لـلإسـلام ركـنٌ ... وصُلْتَ وبطش ذي الملكوت رام
جـزاك الله عن ذا الدين خيـرا ... ولـقـاك الـنـعـيـم بـلا انـصـرام
وحسبي ذكـرك القدسيّ نـورا ... لمبتدئي ومسكا لاختتامي

* * * * *

(١) بلا اختـرام: بلا نقصان.

(١٧) جذيمة والأحداث[١]

صورة شعرية تشتمل على عشرين مشهداً في عصر ما قبل الإسلام

(١) مدار هذه القصيدة حول قصة تزوج عدي بن نصر اللخمي رقاش أخت الملك جذيمة الأبرش ملك العراق قبل الإسلام وإنجابه منها ولده عمرو بن عَدِيّ بن نصر اللخمي مؤسس مملكة المناذرة. كان عَدِيٌّ بن نصر اللخمي من رجال جذيمة المقربين فهو نديمه والواقف على رأسه، وهو أيضا من أبناء الملوك، وكان له حظ من الجَمَال، فأحبته رقاش أخت جذيمة ورغبت في الاقتران به، وراسلته، وقالت: يا عدي، أخطبني إلى الملك، فإن لك حسبا وموضعا، فقال: لا أجترئ على كلامه في ذلك، قالت: إذا جلس على شرابه، وحضره ندماؤه، فاسقه صرفا، واسق القوم مزاجا، فإذا أخذت الخمرة فيه، فاخطبني إليه، فإنه لن يردك، ولن يمتنع منك، فإذا زوجك فأشْهِدِ القوم، ففعل ما أمرته به، فلما أخذت الخمرة مأخذها خطبها إليه، فأملكه إياها، فانصرف إليها، فأعرس بها من ليلته. وحين أفاق جذيمة وعلم بما كان غضب وأنكر موافقته، وأرسل إلى أخته، فلما حضرت قال لها:

حدثيني وأنت لا تكذبيني ... أبحُرٌ زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهلٌ لعبد ... أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت: لا، بل أنت زوجتني امرءًا عربيا، معروقا حسيبا، كُفُؤا كريما من أبناء الملوك، ولم تستأمرني في نفسي، ولم أكن مالكة لأمري، فكف عنها، وعرف عذرها. والخلاصة أن رقاش حملت من عَدِيّ بن نصر وولدت غلاما أحبه جذيمة حباً شديدا وسمَّاه عَمْرًا، وكان جذيمة لا يولد له، فنشأ عمرو تحت نظر خاله حتى بلغ مبلغ الرجال. وفي عهد جذيمة كان رجل يقال له عمرو بن الضرب بن حسان العمليقي يملك الجزيرة الفراتية في أعلى العراق وجرى بينه وبين جذيمة حروب أدّت إلى قتل الملك العمليقي فخلفته ابنته في الملك وكانت تدعى الزَّبّاء واسمها نائلة فاحتالت على جذيمة للثأر لأبيها بأن أطمعته برغبتها في الزواج به وضم مملكتها إلى مملكته (كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لابن مسكويه (ت ٤٢١هـ)، طبعة سروش، طهران، إيران، ج١، ص١١١)، وكان هذا مطمح جذيمة في حروبه لأبيها فقرر المضي إليها، فنصحه وزيره قصير بن سعد اللخمي عن إمضاء عزيمته، لكن جذيمة لم ينصرع عن رأيه، فمضى واستخلف ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي على ملكه، ولما إن وصل أحاط به جند الزَّباء فأمرت بقطع عنقه. فخلف عمرو بن عَدِيّ اللخمي خاله في ملك الحيرة ودبّر مع الوزير قصير بن سعد خطة لقتل الزباء والاستيلاء على مملكتها وحققت الخطة هدفها المرصود. وقصيدة أمير البيان تدور حول هذه القصة وما فيها من تفاصيل أخرى. أنظر: تاريخ الطبري، الجزء الأول ص ٦١٥.

تقديم

عبث الحبُّ في قلوب العِيْنِ ... عبث العِينِ في الصِّبا والمُجُونِ
ورؤاها في سدفة الليل ضرْبٌ ... من تفانٍ أو طفرةٌ من جنون
وهواها كما عَلِمْتَ هواها ... بين شوقٍ ولوعةٍ وأنين
ومناها ضرْبٌ من الوهم والتخـ ... ـييل بين الهوى وبين الشجون
والليالي التي تلامس فَوْدَيْـ ... ـها[1] تجلّى في بردة من لين
وبياض الصباح يبسم لكن ... بالضيا بين ثغرها والجبين
وحديث الفؤاد نغمة عود ... ضاحك للغرام باك حزين
ونسيم الصَّبا يداعب عِطْفَيْـ ... ـها[2] فيهفو في حُلَّتي نسرين

توطئة

يا رقاش[3] الجلال يا بسمة الحسن ... ويا زهرة الجمال المصون
يا فتاة النعيم في بَذَخِ المُلْك[4] ... ويا سلوة الهوى المحزون
قصة يا رقاش يكتبها الحب ... على وجنة الحسان العين
ويبيت الغرام يمسح خديها ... ويُندي عذارها بالشؤون[5]

المشهد الأول

خبرينا رقاش بالله عما ... فعل الشوق عند غمز العيون
وتلاقت على الغرام قلوب ... صاديات تبوح بالمكنون[6]

(١) فَوْدَيْهَا: مُثَنَّى، والفَوْدُ جانبُ الرَّأْس مما يلي الأُذن.
(٢) عِطْفَيْها: مثنى، والعِطْفُ من الإنسان جانبُه من لدُن رأْسه إِلى وَركه.
(٣) رقاش: هي أخت الملك جذيمة الأبرش.
(٤) بذخ الملك: عظمته.
(٥) عذارها: جانبا خديها. الشؤونُ: الدموع.
(٦) قلوب صاديات: عطشى إلى الحب.

راضها الحب والخيال صبيٌّ ... فانْبَرَتْ[1] في شبابها المجنون
واطمأنت إلى الهوى وهو يروي ... قصص الحب عن وصال متين
فمضت تشرب الحياة سلافاً ... شابه الشوق بالزلال المعين

المشهد الثاني

هاجسُ الحبِّ يا جُذَيمَةُ[2] أقْوَى ... من يد الملك فوق عرش مكين
فتبصّر واحذر نديمك فيه ... إنه بين عينه والجفون

(١) انْبَرَتْ: وقَفَتْ.

(٢) هناك خلط في الروايات التاريخية حول نسب الملك جذيمة الأبرش فقد أوردت المصادر روايتين متضادتين. رواية تنسبه إلى مالك بن فهم الدوسي الأزدي، ورواية تقول هو جذيمة بن عمرو بن ربيعة بن نصر اللخمي. الرواية التي تنسبه إلى مالك بن فهم تنشئ نسبه الأزدي بناء على رواية أخرى تقول بأن مالك بن فهم عند خروجه من اليمن توجه إلى العراق وأنه مَلَكَهَا لعشرين سنة، ثم هاجر منها إلى عُمان بعد أن ترك على ملك العراق من تزعم الرواية أنه ابنه وهو جذيمة. ولكن هذه الرواية تتداعى بمعطيات وقرائن. من ذلك أن هجرة مالك بن فهم إلى العراق تعارضها رواية مجيئه المباشر من اليمن إلى عُمان، (كتاب التيجَان في مُلوك حِمْيَرْ، لمؤلفه عبدالملك الحميري (ت ٢١٣هـ) تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ط/١: ١٣٤٧هـ، ص ٢٩٢-٢٩٣). ذلك من جهة ومن جهة ثانية فإن بعض المصادر تذكر بأن جذيمة كان عقيما لا يلد (نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، لابن سعيد الأندلسي، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عَمَّان، بدون تاريخ نشر، ص ٢٢٠)، فهل يسيغ عقلا أن يترك مالك ولده العقيم على ملك العراق دون أن يترك معه أحدا من أبنائه الآخرين مثل هناءة بن مالك، ومعن بن مالك، وجهضم بن مالك، وفراهيد بن مالك، وجرموز بن مالك، وسليمة بن مالك، وغيرهم؟ وهل يسيغ كذلك أن يُسَلّمَ جذيمة ملك العراق -إذا صح أنه أزدي- لرجل من غير أهل بيته وقبيلته؟ وهل يسيغ كذلك أن يرضى جذيمة برحيل كل جماعة أبيه ليبقى وحيدا في العراق بلا وزير ولا نصير من أسرته وجماعته؟ إن كتب التاريخ تذكر بأن أخص رجال جذيمة كانوا لخميين، فوزيره لخمي وهو: قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن أربى بن نمارة بن لخم، وتصفه الرواية بأنه عم جذيمة بالإضافة إلى كونه عميد دولته وصاحب أمره (كتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي ج٢، ص ٦٠). ونديمه لخمي هو: عَدِيَ بن نصر بن ربيعة

وتبين هناك سراً ثنائيـ ـاً فمن للثالوث في التخمين؟
لِعَديّ هناك همزة وصل في الجمال المعذّب المفتون
لا تَلُمْهُ ولا تَلُمْها ولكن لُمْكَ في الخمر مدمنا والمجون
أنت في اللهو يا جذيمة واللهـ ـو لسر الحياة غير مبين

بن نصر اللخمي الذي ولاه مجلسه والقيام على رأسه. ويظهر من الروايات التاريخية كذلك أن الصلة بين عدي والملك جذيمة هي صلة نسب واحد. لأن الملك جذيمة كان غزا قبيلة إياد فقام الإياديون واستولوا على صنمين لجذيمة شهيرين يقال لهما الضيزنان. ثم تفاوض الإياديون مع جذيمة بأن يردوا إليه صنميه على أن يعاهدهم أن لا يغزوهم أبدا. فشرط جذيمة لإتمام المعاهدة أن يبعثوا إليه مع الصنمين بعدي بن نصر، وهذا يعني أن الإياديين كانوا أخذوا عَدِيًّا اللخمي رهينة، بقرينة اشتراط جذيمة لإتمام المعاهدة أن يبعث الإياديون إليه عَدِيًّا، ومعنى ذلك أن عَدِيًّا من خاصة أهله. وفي قصة تزوج عمرو بن عدي رقاش أخت جذيمة تذكر الرواية أن جذيمة أحب الغلام الذي ولدته أخته من عَدِيّ حبا شديدا، وأنه سمّاه عَمْرًا. ففي هذه التسمية ما يقوّي القول بأن جذيمة هو ابن عمرو اللخمي وليس ابن مالك الدوسي. مما تقدم يصبح الأصح في نسب جذيمة الأبرش أنه لخميّ، وذلك بالاستناد أيضا إلى رواية أخرى أوردتها مصادر التاريخ مثل كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود الدِّيْنَوَري، (ت: ٢٨٢هـ)، صححه وضبط ألفاظه محمد سعيد الرافعي، المكتبة الأزهرية، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٣٠هـ، ص٥٤ وما بعدها، وأوردها أيضا غيره من المؤرخين مثل الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك، حيث ذكروا أن ربيعة بن نصر اللخمي الذي كان ملكا على اليمن رأى رؤيا مفزعة فسرها له الكهان بأن الأحباش سيغزون اليمن بعد انقضاء عهده فيقتلون رجالها ويبيدون خضراءها فخاف ربيعة على أسرته وعقبه وأحبّ أن يلجئهم ملجأً يأمنون فيه وبال هجمة الأحباش، فجهزهم ووجه ابنه عمرو بالرحيل بهم إلى العراق وزوّده بكتاب للملك الفارسي كسرى بن خرزاذ ليسمح لهم بالإقامة في العراق. ويذكر المؤرخون أن عمرو بن ربيعة هو الذي بنا مدينة الحيرة وأنزل فيها إخوته وأهل بيته، ومن هناك توطدت علاقة اللخميين بالأكاسرة، ما أدى بعمرو أن أصبح ملكا، "ولما مات خلفه من بعده ابنه جذيمة بن عمرو، فزوج جذيمة أخته من ابن عمه عدي بن ربيعة بن نصر فولدت له عمرو بن عدي، فلما هلك جذيمة خلفه ابن أخته وابن ابن عمه عمرو بن عدي وهو جد النعمان بن المنذر" (الأخبار الطوال ص٥٥). ذلك هو نسب جذيمة الأبرش حسبما نرى بناء على جهدنا في النظر في الروايات التي أوردتها المصادر التاريخية. والعلم لله وحده أولا وآخرا.

ورقاش الحسناء ترعى ويرعا ... ها عديّ بمقلتي مستبين
خطبته لنفسها لتهنى ... بالهوى ليلة الزفاف الديني
وأقاما الكتمان يحفظ سراً ... لهما تحت خاتم ميمون
كيف يحلو اللقاء بين حبيبيـ ... ـن بلا عصمة ولا تأمين

المشهد الثالث

دبّري الأمر يا رقاش وقولي ... كيف يقضي المليك بالتمكين
قالت اسأله في الزواج إذا ما ... ضيّع اللّبَّ في السلاف اللعيّن
فأتاه يقول والخمر تعلو ... ه أبيتَ اللعن اسْتَمِعْ تَبْيِيْنِي
إِرْعَ وُدِّي وَضَعْ يمين رقاش ... بالزواج الكريم فوق يميني
قال خذها على الرَّفا وتمتع ... بهواها في غفلة المأمون[1]

المشهد الرابع

أيقظا ليلة الغرام وبِيْتَا ... بِرِدَاها في همسة وحنين
واقضيا أشهر اللقا عسليا ... تٍ جبيناً ينحطّ فوق جبين
بليال في لذة الأرْيِ لكـ ... ـن رداها من أذفر موضون[2]
يشرق البدر في دجاها ولكن ... عن ثغور الهناء والياسمين
ويظل الصباح بين ثنايا ... ها[3] عيون تنساب إثر عيون

(١) الرِّفَاءُ: وِئام واتفاق وحُسن عِشْرة. يقال للمتزوج: بالرِّفاء والبنين: دعاء بالالتئام والاتفاق وجمع الشَّمل وإنجاب البنين.

(٢) الرداء الأذفر الموضون: الرداء الفائح بعبير العطر الذكي، والمنسوج المزخرف بالألوان الزاهية، الموشى بالنقوش البديعة.

(٣) كلمة (ثناياها) وردت في نسخة القصيدة بوحي العبقرية المطبوع (زواياها).

وكـــأن الـوصـــال وحـــدة صـفٍّ ذي انـتظام ما بـين شدّ ولِـيْـنِ
وكـــأن الـــحـيـاة كـأس رضـاب وكـــأن الـرضـا حـديـث شجون
وكـــأن الـــجـمـال عـبـدٌ مطيعٌ وكـــأن الـغـرام بـطش الأمـيـن
وكـــأن الـســـرور بـــاقـــة زهـر وكـأن الـهوى تَـثَـنِّـيْ غصون

المشهد الخامس

إنَّ حُكْمَ الزمان يا ابنة فهم[1] هـو أقـسـى مـن شـفرة السكين
لا يَـغُـــرَّنكِ منـه تـحسين حال فهو يطوي الأسواء في التـحسين
لن يعود القرين[2] فاحتسبي الله وراعـيـــه فـي ثـيـاب الجنين
إنَّ ذاك الجنين[3] منك لماضيـ ـك وآتـيـك سـلـوة الـمـخـزون
ولـذاك الخال الـذي كـاد أن يـ ـفرط في العنف بين حين وحين
إنَّ للحمل في ضنائن أحشا ئك سـراً سينجلي عـن كمين
حـيـن تلقين ذلـك الملك الغا ضب كالليث خـادراً في العرين
اسمعيه يقول في غيظه الحا قـد قـولا يـفـوح عـن سجِّـيـن
"خبريني رقاش لا تكذبيني أبـحـرٌ زنـيـت أم بهجين"[4]
"أم بعبد فأنـت كـفء لعبد أم بـدون فأنـت كـفء لدون"

(١) يعني رقاش، وقد نسبها أمير البيان إلى مالك بن فهم على الرواية التي تقول بأن جذيمة هو ابن مالك بن فهم.

(٢) هذا على قول إحدى الروايات بأن عدي بن نصر هرب تاركا زوجته عند أخيها الملك جذيمة ومتخليا عن وظيفته نجاء بنفسه من غضبة الملك بعد أن أفاق من سكرته.

(٣) لفظة (الجنين) وردت في نسخة القصيدة بديوان وحي العبقرية المطبوع: (الحنين).

(٤) هذان البيتان من الشعر تنسبهما الرواية التاريخية للملك جذيمة وفيهما يتهم أخته رقاش بالزنا وكان قد زوجها وهو في حالة سكر، حسب الرواية، فلما أفاق من سكره أنكر التزويج.

المشهد السادس

لا تَـــذِلُّ الملوكُ قـطُّ لِقَمْعٍ ... مـن قـريـب إذا أتـى أو قـرين
ورقـاش الـحـصـان لـبـوة ليث ... أتـــُـراهـا تـقـريـومـا لـهـون
أم تُراها تـرى السكوت حلالاً ... بـل أعـدت جوابـهـا فـي سكون
حـيـن قـالـت وللحماسة وقْـعٌ ... ظـاهـر فـي كـلامـهـا الـمـوزون
"أنت زوجتني وما كنت أدري ... إذ أتتني النساء للتزيين"[1]
"ذاك من شربك المدامة صِرفا ... وتماديك في الصبا والمجون"

المشهد السابع

اجْـتَـوِ الأرضَ[2] يا عَدِيّ وبارح ... ساحة الحي قبل فعل مشين
واصبري يا رقاش صبر كريم ... أسلمته الدنيا لبطش مُهين

---

(١) هذان البيتان تنسبهما الرواية لرقاش ترد فيهما على توبيخ أخيها لها بعد دخول عَدِيّ بها. ومضمونهما يدل على أن هذه القصة فيها من التلفيق ما فيها. فالرواية تقول بأن عَدِيّ بن نصر بمجرد أن زوّجه جذيمة بأخته في مجلس شرابه انطلق إلى رقاش وأخبرها الخبر فطلبت منه أن يدخل بها في الحال لأنها تحاذر أن ينكر أخوها الزواج بعد إفاقته من السكر، فمتى إذن تكون النساء قَدِمْنَ لتزيين رقاش؟ مع الأخذ في الاعتبار أن تزيين العروس لدى أكثر الناس وفي كل الأزمنة يصحبه غناء ومعازف وطبول، فكيف بتزيين أخت الملك! ألم يصل إلى مسمعه ومسمع جلسائه شيء مما يدور في قصره من جلبة العرس والغناء؟ هذه الواقعة حدثت قبل الإسلام ببضع مئات من السنين، ولا شك أن قُصَّاصَها عبر الزمن أضافوا إليها من التشويق والإثارة ما اقتضته أجواء السمر ومنتديات القص بحيث اختلط الصدق في الواقعة ببهرج التلفيق. إنَّ في هذه القصة عوالق كثيرة ألصقها بها رواة الأقاصيص حتى إذا جاء عصر التدوين التاريخي في العصر الإسلامي نُقِلَتْ إلينا بلا تمحيص. وهذا -للأسف- حال يسري على أكثر مرويات تراثنا التاريخي التي يجب أنْ لا نقبلها كما نقلت إلينا بل لا بد أن نعرضها على محجر النقد ليخلص لنا العلم الصحيح الخالي من الخرافة.

(٢) اجْتَوِ الأرضَ: أتْرُكِ المقام بالبلد. إرْحَلْ.

وجِدِيْ في الجنين عمرواً إذا شـ ـبّ على الطوق[1] فهو خير مُعين
وسيلقى فيه جذيمة إبنا مخلصاً بالوفاء خير قمين[2]

المشهد الثامن

يا جُذَيْمُ اتَّئِدْ تروَّ من الأمـ ـر فهذا الجنين خير جنين
إنَّ فيه الشهم الذي سوف يرعا ك كابْنٍ في سلمه والزَبـُون[3]
ويكون الفتى الذي سيأخذ بالثأ ر ويعلو منصة التمكين
فادَّخِرْهُ ليومك الأسود القا سي لتلقى فيه خيار البنين

المشهد التاسع

وضعته رقاش فانتبذت عن أهلها موضعاً به كالسجين
شب فيه على الخشونة شبلاً جردته الحياة صافي متون
وأتت خاله وقد حملته وهو كالبدر في السحاب الجون
فرآه فلم يطق عنه صبراً قال إني عليه خير أمين
إنه ابنيَ الوحيد المرجى إنه لن تخيب فيه ظنوني
وأتاه بالطوق يزهو عليه كهلال في أفقه الميمون

(١) أخذت رقاش ابنها عَمْرًا وأدخلته الحمام. فلما خرج ألبسته من فاخر الثياب وجعلت في عنقه طوقا من ذهب كان له، وأمرته بزيارة خاله. فلما رأى جذيمة عَمْرًا وقد نبتت لحيته، والطوق لا زال في عنقه، قال: شب عمرو عن الطوق. فذهبت مثلا يضرب للابس ما دون قدره. وسيأتي سرد مشابه في حاشية تالية يتضح من سياقها أن هذا اللقاء بين عَدِيّ وخاله قد تم بعد عودته من غيبته حيث تزعم الرواية أن الجن خطفته.

(٢) القمين: الجدير بالشيء.

(٣) الزبون: الحَرْبُ. وحَدَثَ أنْ قامَ عمرو بحربٍ على الزَّبَّاء ثأراً لمقتل خاله جذيمة.

المشهد العاشر

ويحه عندما قد اختطفت عمـ ـــروا عـليه يـدُ ألـدّ خَـــؤُون
أمِـنَ الإنـس هـذه اليـد قولي أم من الجن يا رقاش أبيني[1]
أم أتـاه أبـوه في سدفة الليـ ـل فما اسطعتِ رده نبئيني
أنـا أحـنـى عليه منـكَ فذرني إن شأني فيه لأدهـى الشؤون
أنـا ألـقـى بـه مصابين والثا لث عـودي بصفقة المغبون
فتولت بالحزن تـذرف دمعاً يا لعمري متى تـراك عيوني

المشهد الحادي عشر

عاد عمرو فاستقبليه وداوِي بلقاه جرح الفؤاد الحزين
وذري الطوق، شب عمرو على الطو ق فإنَّ الحُسام خير مُزِين
وأعـــدّيـه للـجلاد وللـجو د وللـتاج بعد بضع سنين

المشهد الثاني عشر

إحْفَظِ المُلْكَ يا جذيمة واحذر بطش أهله قبل قطع الوتين

---

(١) مما ورد في الرواية كذلك أن جذيمة بعد أن فرح بمولود أخته ضمّه إليه وجعل له طوقا. فبينما هو على أحسن حالَة، إذ هَوِيَتْهُ الجِنُّ فاستطارته (كتاب المعارف لابن قتيبة الدَّيْنَوَري الجزء الأول ص ٦١٨)، فضرب له جذيمة في البلدان والآفاق زمانا، حتى لقيه رجلان من قضاعة في طريق بين الشام والعراق شاحب الوجه قد تبلد شعره وطالت أظفاره وساءت حاله فنهضا إليه وغسلا رأسه، وقلما أظفاره، وأخذا من شعره وألبساه مما كان معهما من الثياب وحملاه إلى خاله جذيمة بالحيرة، فبشراه، فسر بذلك سرورا شديدا. فأرسل به إلى أمه، فمكث عندها أياما ثم أعادته إليه، فقال: لقد رأيته يوم ذهب وعليه طوق، فما ذهب عن عيني ولا قلبي إلى الساعة، فأعادوا عليه الطوق، فلما نظر إليه قَالَ: شب عمرو عن الطوق. أنظر كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي المتوفى سنة ٦٨١هـ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٦، ص ١٨.

وتريث ولا تخالف قصيراً[1] إنـــه خيـــر مـخلص مـأمـون
ما قصير بـالرأي أدْرَى ولكن لا يكون المأخوذ بالمستبين
تخطب المُلْكَ يا جذيمة أم تخـ ـطب زبَّـاءه[2] بحصن حصين
أَيُـزَفُّ الفحل الكريم إلا لأنثى ولـكـن هـنـاك شَـرٌّ كمين
فاتَّبِـعْ بعد ورطة الرأي بالرأي قصيرا وعـد إلـى التحصين
وإليكَ العصا[3] فبادر إذا ما الـ ـجند جاؤا من خلفك المطعون
إنه الـخَدْعُ والمكيدة والشهـ ـم حـذورٌ فَـهُـبَّ غيـر رهين

المشهد الثالث عشر

غفلة المُلْك يا جذيمة أم غفـ ـلـة حب رمتك تحت الهون

(١) هو قصير بن سعد اللخمي وزير الملك جذيمة، وابن عمه وخازن سره وعميد دولته. كان لبيبا حسن العقل والوجه أديبا. أنظر كتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق محمد ومصطفى عطا، ج/١، ص ٦٠.

(٢) الزَّبَّاء: قال أبو حنيفة الدَّيْنَوَري في كتابه: الأخبار الطوال ص٥٥: هي مارية بنت الزَّبَّاء الغسانية. وقال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦هـ) في كتابه: التنبيه والإشراف، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ج١/ص١٥٨: هي الزَّبَّاء ابنة عامر بن ظرب. وقال الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك، ج١/ص ٦١٨ هي: نائلة بنت عمرو. ونقل الحلي عن أبي عبيدة أن الزَّباء كانت رومية لا تتكلم العربية (المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، لأبي البقاء محمد بن نما الحلي، (ت. ق: ٥٦)، تحقيق خريسات ودراركة، مكتبة الرسالة الحديثة، عَمَّان، ط١/١٩٨٤م، ص٣٨٥). وقال نشوان بن سعيد الحميري هي الزَّبَّاء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان وساق لها نسبا إلى عمليق ومنه إلى حمير الأكبر. وأنها سميت الزَّبَّاء لكثرة شعرها، يقال: رجل أزب أي كثير الشعر. (خلاصة السير الجامعة لعجائب الملوك التبابعة لنشوان بن سعيد الحميري، (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق علي المؤيد وإسماعيل الجرافي، دار العودة، بيروت، ط٢/١٩٧٨م، ص ١٧٢-١٧٣.

(٣) العصا فرس لجذيمة لا تجارى. ظل الوزير قصير بن سعد يلح في النصيحة لجذيمة بعدم المسير إلى الزَّبَّاء، وكان آخرها قوله: ستلقاك الخيول، فإن أخذت جنبيك وأحاطت بك من خلفك، فإن القوم غادرون، فاركب العصا. (الطبري ج١، ص ٦٢٠).

إذ دخلت العرش المنيف على الزَّبَّـ ـاء زوجا لكنه في السجون
حيث قالت تُرَى أتصلح للْعِشْـ ـرَةِ[1] مثلي وقد ترى تكويني
منظرا هائلا وشعرا كثيفاً أين منه الوصول للمخزون[2]
أكرمتك الزباء إذ هي قالت للجواري في ليلهن الدجون
لا تُضَيِّعْنَ قطرة من دماه فنجيع الملوك جد ضنين[3]
يا دما قد أضاعه أهله لا بِـ ـدْعَ إن ضعت من خلال الصحون

المشهد الرابع عشر

لن يعود المليك يا عمرو فاقبض قائم الملك يا أسام العرين[4]
واجْدَعِ الأنْفَ يا قصير ودَبِّرْ حيلة الثأر للمليك الطعين[5]

(١) لفظة: للعشرة، ورد مكانها هنا لفظة: (للإبتناء) وبها يختل وزن الشطر الثاني. وقد اسْتَعَضْتُ عنها بلفظة: للعشرة، الواردة في نسخة القصيدة بديوان وحي العبقرية المطبوع، وبها استقام وزْنُ الشطر.

(٢) كانت الزباء تركت الاعتناء بنفسها منذ مقتل أبيها حتى تأخذ بثأره، فلما أُدْخِلَ عليها جذيمة كشفت عن عورتها، وكانت مضفورة العانة، فقالت: أدأب عروس ترى؟ فقال: أمر غدر أرى. فقالت: أما وإلهي ما بنا من عدم مواس، ولكنه شيمة ما أناس. (تاريخ الطبري، ج١، ص ٦٢١). أرادت بتكشفها إعلامه بأنها لم تَدْعُهُ لأجل الزواج وإلا لأصلحت نفسها وازَّيَنَتْ، ولكن لتأخذ ثأر أبيها منه.

(٣) بعد أن أدخل جذيمة على الزبّاء أمرت بقطع رواهشه (عروق يده) وَوَضْعِ الطَّسْت تحتها، (الطَّسْتُ مُعَرَّب تَشْت بالسين، وهو إناءٌ كبيرٌ مستديرٌ، يغسل فيه) وقالت لخدمها: لا تضيعوا دم الملك. فقال جذيمة: لا يحزنك دم أراقه أهله. وكان الكهان قد قالوا لها: إِنْ قَطَرَ مِنْ دَمِهِ شَيْءٌ فِي غَيْرِ الطَّسْتِ طُلِبَ بِدَمِهِ. تاريخ الطبري، ج١/ص ٦٢١. والكامل في التاريخ ج١/ص ٣١٨.

(٤) أَسامَة: إسمُ عَلَم للأسد.

(٥) بعد مقتل الملك جذيمة على يد الزَّبَّاء فَكَّرَ الوزير قصير بن سعد في خطة للثأر له، فقال لعمرو بن عدي: اجدع أنفي واضرب ظهري، ودعني وإياها فقال عمرو: ما أنا بفاعل وما أنت لذلك بمستحق مني. فقال قصير: خل عني إذاً وخَلاَكَ ذم. فقام قصير فجدع أنفه بيده، ثم توجه إلى الزَّبَّاء في هيئة اللاجئ

فانتحى جانبا وحكّم فوق الأ ... نف للجَدْعِ شفرة السكين
وأتى يستثير عاطفة الزَّبَّـ ... ـاء كأنْ قد يذوب عبر الشؤون[1]

المشهد الخامس عشر

إيه زباء إنَّ قومي كما قد ... تَريني بظلمهم جدعوني
أمجيراً سواك أرجو وقد جئـ ... ـت طريدا في لبسة المستعين
فامنعيني كيدهم واصطفيني ... تجديني للسر خير أمين
فاصطفته واستخلصته وقالت ... عش عزيزاً لديَّ غير مهين
هذه حجرة الجلوس وعرشي ... هذه غرفتي ومحراب ديني
ذاك سربي إذا خشيت عدواً ... فهو كالنافقاء[2] للتِّنين
فاحفظ السر يا قصير وصنه ... لا تبح ما حييت بالمكنون

المشهد السادس عشر

قال يا عمرو قد بلغت مرادي ... فاغد للثأر خلف عزم متين
وابعث الجند في الصنادق تمشي ... بهم العيس نحونا في سكون
وعلى الكل منهم أنت كي تأ ... خذ بالذحل[3] من عدو مبين

إليها من بطش عمرو بن عدي زاعما أنه اتهمه بخيانته ومماألأة الملكة على قتل خاله الملك جذيمة. فَصَدَّقَته وآوَته، فتودَّدَ إليها طالبا أن تجعله في خدمتها، فجعلته على قوافل تجارتها، فكان في كل مرة يخرج بالقافلة يعود بالأرباح الوفيرة حتى اطمأنَّ إلى ثقتها به. فلما كانت الرحلة الأخيرة مَرَّ على عمرو بن عدي وطلب منه أن يتجهَّز معه لأخذ الثأر لخاله، على أن يحمله والجند في غرائر الأحمال على الجمال، وهكذا ذهب قصير بالقافلة إلى الزَّبَّاء وفي غرائرها عمرو بن عدي ورجاله. تاريخ الطبري ج١، ص٦٢٣. الغرائرُ: واحدتها غِرَارَةُ: وهي وعاءٌ من الخيش أكبر من الجوالق، يوضع فيه القمحُ ونحوه.

(١) هذا البيت تفرَّدَت به نسخة القصيدة في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) النافقاء: إحدى جِحَرَةِ اليربوع بكتمها ويظهر غيرها.

(٣) الذّحلُ: الثأر.

فقال خذ يا قصير بادرة الأمـ ـر منونا للخصم إثر منون[1]
هذه العير يا قصير توافيـ ـك عليها عمرو خلال المئين
فانتظرها واستقبل الجيش فيها فأنا بالوفاء خير مدين
فافتح الباب فهي فرصة عُمر ولأنت المدين بالتمكين

المشهد السابع عشر

فأتاها قصير يحمل بشرى الْـ ـعير جاءت بالخير والماعون[2]
ربة الملك هذه العير تسعى فانظريها قالت بحق أروني
أحديداً أم جندلا في مطاها حملت أم أساوداً من طين؟[3]
هكذا العقل والذكاء ولكن قدر الله واقع التكوين

المشهد الثامن عشر

دخلت حصنها الجِمالُ توالى واحدا إثر واحد مشطون[4]

---

(١) المَنُونُ: الموتُ.

(٢) هذا البيت تفرَّدتْ به نسخة ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٣) تقدم قصير بن سعد إلى الزَّبَّاء يُبَشِّرُها بكثرة ما حمل إليها، وقال لها: قد "جئت بماء صَاءَ وصَمَتْ"، فخرجت، وأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من الثقل، فقالت:

ما للجمال مَشْيُها وئيدا أجَنْدلا يحْمِلْنَ أم حديدا
أم صَرَفَانًا باردا شديدا أم الرجال جُثَّمًا قعودا

أنظر تاريخ الطبري، ج١، ص ٦٢٥. وكتاب البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، بدون تاريخ نشر، ج٣، ص ١٩٨. وكتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، لابن سعيد الأندلسي، ص ٦٥. الجَنْدَلُ: الصخر العظيم. الصَّرَفَانُ: الرصاص. ما صَاءَ وصَمَتْ: الصَّائي كلُّ مالٍ من الحيوان كالشاء والإبل، وما صَمَتْ كلُّ مالٍ لا روح فيه كالذهب والفضة والأقمشة.

(٤) مشطون إسم المفعول من شَطَن. والشَّطَنُ الحبل. والشأن في القوافل أنَّ كل بعير يُربط خطامه في تفر البعير الذي أمامه.

وعيون البواب تنظر لكن ... في صناديق مقفلات الغضون
أيراها تمر والسر خاف ... أم يرى كيف غاية المضمون
غرز الرمح الأخير بصندو ... ق فبانت حقيقة المكنون[1]
رجلا في الصندوق أحدث لما ... ناله الرمح بالشبا المسنون

المشهد التاسع عشر

فَسَرَتْ صيحة فبادرت الزبـ ... ـاء للسرب خوف شر المنون[2]
فرأت عَمْرَهَا وكان لديها السـ ... ـم في خاتم بَنان اليمين
فرمته بثغرها ثم قالت ... وهي تقضي مقال حرٍّ رزين
بيدي لا بسيف عمرو سأقضي ... والكريم الأبيُّ غير الهجين

(١) استراب بوّاب القصر مما على ظهور الجمال فَوَكَزَ إحدى الغرائر برمح في يده فأصاب الرمحُ خاصرة الجندي فصدر منه صوت فعرف البوّاب أن الغرائر تحمل جنودا لكن بعد فوات الأوان لأن البعير الذي وكز في غرائره كان أخر الجمال دخولا. تاريخ الطبري، ج١، ص ٦٢٥.

(٢) كانت الزباء سألت كاهنة فأخبرتها بأن حَتْفَها سيكون بسبب رجل، ووصفَتْ لها عمرو بن عدي. فاحْتَفَرَتْ نفقا من مجلسها إلى حصن لها داخل مدينتها لتتحصن به إن دهمها خطر. ووَجَّهَتْ مُصَوِّراً من أجود أهل بلادها تصويرا، وأمَرَتْه بأن يَقْدِمَ على عمرو بن عدي، ويَنْضَمَّ إلى حشمه، ويُعْلِمَهُمْ بما عنده من مهارة التصوير، فإذا أنِسَ بثقتهم به قام فَصَوَّرَ عمرو بن عدي في مختلف هيئاته. فانطلق المصور ورجع إليها بما طلبت من الصور. فلما أنيخت الإبل وخرجت الرجال من الغرائر، تقدم عمرو بن عدي إلى باب النفق، وأقبلت الزباء لتدخله، فأبصرت عَمْرو قائما، فعرفته، فَمَصَّتْ خاتمها، وكان فيه سم، وقالت: بيدي لا بيدك يا عمرو، وتلقاها عمرو بن عدي بالسيف فأجهز عليها، وأصاب ما أصاب من أهل مملكتها. ورجع مجللا بالظفر فقد ثأر لخاله، واسْتَوْلَى على مملكة قاتلته، وأصبح الملكُ على العراق، وهو أول من مَجَّدَه أهلُ الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق. وبقي ملكا منفردا بملكه، لا يدين لغيره من الملوك. (تاريخ الطبري ج١، ص ٦٢٢- ٦٢٧). وإليه تنسب ملوك العراق من بنى نصر بن لخم من النعامنة والمناذرة وهم ولد عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم واسمه مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان. أنظر كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي، الجزء الأول ص ١٥٨.

المشهد العشرون

وإليك الزمام يا عمرو فاقبضـ ـه ونافـر بـه حـداة الظعون
وسق الموكب الذي حاطه السيـ ـف مـزانـاً بحلية الـماعـون
واسْـمُ أوْجَ العلا بـه وتـربَّـعْ فـي جـلال بـعـزة مـقـرون
واستبق والزمان غايتك القصـ ـوى وبَـيِّـضْ صحائف التدوين
ولقد كنت مضرب المثل الأعـ ـلى مقاماً وأنـت خيـر مكين
مذ بـدأتَ الحياة طـرْداً وعكساً ورفعت الإكليل فـوق الجبين
وختمت الأيام بالسعد عن مسـ ـك خـتـام يـفـوح عـن نسـرين

* * * * *

(١٨) المأمون والجارية[١]

سطا الغرام عليه ... فاستلّه ما لديه
وبات يعبث حينا ... به ويسطو عليه
وراح يخلق منه ... حالا تعود إليه
لا يملك السمع فيها ... منه ولا ناظريه
تاهت به في مداها ... فهام في واديه
يجر فضل رداء ... قُدَّ من طرفيه
يا ابن الرشيد رشاداً ... وأنت بين يديه
ألست مأمون عرش ... كالبدر في طلعتيه
ألست شبل ليوث ... يشب في غابتيه
يغدو النجيع ليغدو ... والمُلْك في عاتقيه
ففيم تصبح عبدا ... للحب في دولتيه

---

(١) يروى أن المأمون كان يوماً يأكل مع أبيه الرشيد، فلما فرغا جعلت جارية تصب الماء على يد الرشيد، فنظر إليها المأمون، وأشار إليها كأنه يقبلها، فأنكرت ذلك منه بعينها، وأبطأت في الصب بقدر النظر إلى المأمون، فقال لها الرشيد: لأي شيء صغى الإبريق في يدك، فوالله لئن لم تصدقيني الحق لأضربن عنقك؟ فقالت: يا سيدي نظر إلي عبد الله المأمون، وأشار إليَّ كأنه يقبلني، فأنكرت ذلك بعيني. فنظر الرشيد إلى المأمون فسقط مغشياً عليه كأنه ميت مما داخله من الخوف والفزع، فأخذه وضمه إلى صدره، وقال: يا عبد الله؛ أتحبها؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين. فقال: هي لك، خذ بيدها وادخل بها في هذا القبة. ففعل، فلما خرج إلى الرشيد قال له: هل قلت في هذا شيئاً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، ثم أنشد يقول:

ظبي كنيت بطرفي ... عن الضمير إليه
قبلته من بعيد ... فاعْتل من شفتيه
ورَدَّ أخبث ردٍّ ... بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني ... حتى قدرت عليه

أنظر كتاب نوادر الخلفاء للإتليدي، ص ٢٩٩-٣٠٠.

يَـــدْعُـكَ الـشـوقُ دَعـاً ... والـــذل مـن جانـبـيـه
أسـيـــر طـرف كحيل ... يـــدل فـي طـرفـتـيـه
إنَّ الـغـرام غـرام ... إنْ كـنـت تـقوى عليه
الـحـبُّ شـلاّل نـور ... كـالـنـار فـي بطشتيه
فـخـذ سـبـيـلك عنه ... لا تَـرْكَـنَـنَّ إليه
لا تَـتَّـبِعْ فيه رأي الـمـ ... ـأمـون فـي نـظرتيه
إذ كـان عـنـد أبـيـه ... فـي حـال غـسـل يديه
مـن مطعم قد أصابا ... كـالـمَـنِّ[1] فـي طبقيه
أَعَـدَّتِ الـمَـاءَ خَـوْدٌ[2] ... كـالـغـصـن فـي حلتيه
إبـريـقـهـا ذهـبـي ... والـمـاء مـن معدنيه
قـامـت تـصـب عليه ... فـأغـفـلـت راحـتـيـه
والـطَّـسْـتُ[3] بين يديه ... والـتـاج فـي مفرقيه
فـقـالَ مَـالَـكِ قالتْ ... فـتـاكَ فـي لـفَّـتيه
أوْمَـا إلـيَّ سِـرَارًا ... فلـم أُطِـقْ لـحظتيه
فَـرُحْـتُ أُكَـسِّـرُ جفني ... غَـمْـزاً عـلـى حاجبيه
وعُـدْتُ أزْجُـرُ منه ... بـالطرف طَرْفَـةَ تَـيْـه[4]
فـذاك تـثـبـيـط صبي ... عـلـيـك فـانـظـر إليه
هـنـالـك الـمَـلْـكُ أوفـى ... مـصـوبـا نـاظـريه
مـعـنـفـاً لـفـتـاه ... فـانـهـار عـن قدميه

(١) المَنُّ: طَلٌّ ينزل من السماء على شجر، أو حجر، ويحلو وينعقد عسلاً. والمقصود أن طعام الخليفة هارون في لذته كطعم المَنّ.
(٢) الخَوْدُ: الشابَّةُ الناعمةُ الحَسَنَةُ الخَلْق.
(٣) الطَّسْتُ مُعَرَّب تَشْت بالسين، وهو إناءٌ كبيرٌ مستديرٌ، يغسل فيه، يُؤَنَّثُ ويذكَّرُ. والجمع: طُسُوت.
(٤) التَّيْه: الحيرة، الضياع. وَيْه: كلمة إغراءٍ وحَثٍّ وتحريض.

وخَـــــرَّ مُـــغْـمَـى عليه ... والـــدمـــع فـــي وجـنـتـيـه
فـــمـــذ رآه أبـــــوه ... كـــــذاك فـــي خـيـفـتـيـه
ألـــقـــى عـلـيـه رداء ... بـــاللـطـف مـن رَحـمـتـيـه
وقـــــال هـــل لـــك فـيـهـا ... فـقـال إيْـــــهِ ووَيْـــــه[1]
فـــقـــال خـــذهـــا حـلالا ... كـــــالأرْيِ[2] فـي لـذَّتـيـه
فـجـرَّ مـنـهـا قـضـيـبـا ... يـتـيـه فـي سـكـرتـيـه
وأغـلـق الـبـاب جـهـرا ... والـبـدر بـيـن يـديـه
وزاحـــــم الـســـر حـتـى ... حـثـا عـلـى ركـبـتـيـه
وراح ســـكـــران مـنـه ... يـتـيـه فـي شـعـبـتـيـه
وبـــات يـــرشـــف مـنـهـا ... ريـقـاً عـلـى مـبـسـمـيـه
وظـــل يـقـطـف زهـــرا ... قـد طـاب فـي بـرعـمـيـه
وحـــاول الـنـوم لـو لا ... مـا اشـتـد مـن حـلـمـتـيـه
فـقـال فـي ذاك شـعـرا ... كـالـروض فـي نـسـمـتـيـه
"ظبْيٌ كَـنَّـيْتُ إليه ... فاعْـتَـلَّ من شفتيه"
"وَرَدَّ أقـبـح رد ... بـالـغـمـز مـن مقلتيه"
"فما بـرحـت مـكـانـي ... حـتـى قـدرت عليه"
مـأمـون جـاوزت قـدرا ... بـالـحـب فـي حـلـبـتـيـه
لـذلـكـم تـاه حـتـى ... طـغـى الـجـواد لـديـه
وعـاشـن فـيـك مـعـنَّـى ... مـتـى نـظـرت إلـيـه
فـدونـك الـخـتـم فيه ... كـالـمـسـك فـي نـفـحـتـيـه

* * * * *

(١) إيْـه: بمعنى نعم. وَيْه: كلمة حَثٍّ وتحريض.
(٢) الأرْيُ: العسل.

(١٩) أقصوصة الروض

هذه القصيدة تدور حول قصة أُرَيْنِب بنت إسحاق زوج عبدالله بن سلام القرشي. وحيث إن تفاصيل القصة طويلة لم يُمْكِن الاجتزاء بموجز منها لعرضه في الحاشية، فقد عرضتُها قبل نص القصيدة على غرار ما عملت في قصص بعض القصائد المتقدمة تفاديا لكثرة الحواشي، وإعانة للقارئ على الإلمام بمحتوى القصيدة بالرجوع إلى القصة في تفاصيلها الكاملة دونما حاجة للكثير من الشروح. وفيما يلي نص القصة:

"كان عبد الله بن سلام واليا بالعراق من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وكانت أرينب بنت إسحق زوجا له وهي من أجمل نساء عصرها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا، وسارت بذكر جمالها الركبان، وضُرِبت بها الأمثال. وكان يزيد بن معاوية قد هام بجمالها وأدبها على السماع، وبما بلغه عنها من حسن الخَلْق والخُلُق، وفُتِنَ بها فلما عِيْلَ صبرُه في الوصول إليها خَصَّ بسرِّه خصيصا بأبيه معاوية اسمه رفيف، فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شدة شغف يزيد بها. فبعث معاوية إلى يزيد فاستفسره عن أمره فبث له شأنه فقال معاوية: مهلا يا يزيد. قال علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الأمل. فقال معاوية: وأين حجاك ومروءتك؟ فقال له يزيد قد عِيْلَ الحجى ونفد الصبر. قال يا بني ساعدني على أمرك بالكتمان، والله بالغ أمره. فأخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد غرضه وينال مناه. فكتب إلى عبد الله بن سلام يَسْتَحِثُّه على الحضور لمصلحة عَيَّنَها له. وكان مع معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا الرسول صلى الله عليه وسلم. فلما قدم عليه عبد الله بن سلام أعد له منزلا حسنا، ونقله إليه وبالغ في إكرامه. ثم قال لأبي هريرة وأبي الدرداء إنَّ ابنتي قد بلغت وأريد

إنكاحها، وقد رضيت عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله وأدبه. وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى ولكن أرجو أنْ لا تخرج عن رأيي إن شاء الله تعالى. فخرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما معاوية، ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها إذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فَعَرَضا عليكِ عبد الله بن سلام وإنكاحي إياك منه، وحضاك على المسارعة إلى رضائي، فقولي لهما عبد الله بن سلام كفءٌ كريم غير أن تحته أَرَيْنِب بنت إسحق، وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء، ولست بفاعلة حتى يفارقها. وأما أبو الدرداء وأبو هريرة فإنهما لما وصلا إلى عبد الله بن سلام أعلماه بما قال لهما معاوية، فردهما خاطبين عنه، فلما مثلا بين يدي معاوية قال إني كنت أعلمتكما أنني جعلت لها في نفسها شورى، فادْخُلا عليها وأعلماها بما رأيتُ لها. فدخلا وأعلماها بذلك فأبدت ما قرره أبوها عندها من قبل. فعادا إلى عبد الله بن سلام فأعلماه بذلك ففهم المراد وأشهدهما عليه بطلاق أَرَيْنِب، وبعثهما خاطبين فلما دخلا على معاوية أعلماه بطلاق أَرَيْنِب، فأظهر معاوية كراهية ذلك، وقال: ما اسْتَحْسَنْتُ طلاق زوجته ولا أحببته فانْصَرِفَا في عافية وعودا علينا. وعاد بعد ذلك أبو الدرداء وأبو هريرة إلى معاوية فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها وهو يقول لم يكن لي أن أكرهها وقد جعلت الشورى في نفسها فدخلا عليها وأعلماها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته لِيَسُرَّاها بذلك وذكرا فضله وشرفه وكرمه ومروءته. فقالت: جَفَّ القلم بما هو كائن، ولا أنكِرُ شرفه وفضله، وإني سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره، ولا قوة إلا بالله، فإن يكُ صَدْرُ هذا اليوم ولّى فإن غداً لناظره قريب، فقالا لها اصنعي ما أنت صانعة واستخيري الله. ثم تزايد حديث الناس بطلاق أَرَيْنِب وخطبة ابنة معاوية، واستحث

ابن سلام أبا الدرداء وأبا هريرة فأتياها فقالت أرجو والحمد لله أن يكون الله قد اختار لي، فإنه لا يكل إلى غيره، وقد سَبَرْتُ أمره وسألتُ عنه، فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسي، مع اختلاف من استشرتهم فيه فمنهم الناهي عنه والآمر به. فلما بلغه كلامها علم أنها حيلة وأنه مخدوع، وقال متعزيا ليس لأمر الله راد ولعل ما سُرُّوا به لا يدوم لهم سروره. وذاع أمره وفشا في الناس، وقالوا خدعه معاوية حتى طلَّقَ امرأته لغرض ابنه، بئس ما صنع. ثم إن معاوية بعد انقضاء أيامها المعلومة وجه أبا الدرداء إلى العراق، خاطباً أرينب على ابنه يزيد، فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فقال أبو الدرداء حين قدم العراق ما ينبغي لذي عقل أن يبدأ بشيء قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة. فقصد الحسين رضي الله عنه فلما رآه قام إليه وصافحه إجلالا لصحبته لجده صلى الله عليه وسلم، وقال ما أتى بك يا أبا الدرداء؟ قال وَجَّهَني معاوية خاطبا على ابنه يزيد أُرَيْنِب بنت إسحق فرأيت عليَّ حقا أنْ لا أبدأ بشيء قبل السلام عليك. فشكره الحسين على ذلك وأثنى عليه، وقال: لقدٍ ذكرتُ نكاحها وأردتُ الإرسال إليها إذا انْقَضَتْ عدتها، وقد أتى الله بك فاخطب على بركة الله عليَّ وعليه، وهي أمانة في عنقك، واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه. فقال: أفعلُ إن شاء الله. فلما دخل قال أيتها المرأة إن الله خلق الأمور بقدرته وكونها بعزته، وجعل لكل أمر قدرا، ولكل قدر سببا، فليس لأحد عن قدر الله مَخْلَص، فكان ما سبق لك وقُدِّرَ عليك من فراق عبد اللَّه بن سلام على غير قياس، ولعل ذلك لا يضيرك وجعل الله فيه خيرا كثيرا، وقد خطبك أميرُ هذه الأمة، وابْنُ مَلِكِهَا ووليُّ عهده، والخليفةُ من بعده، يزيد بن معاوية، والحسين ابنُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنُ أوَّلِ من أقَرَّ به

من أمته، وسيِّدُ شباب أهل الجنة، فاختاري أيّهُما شئتِ. فسكتت طويلا ثم قالت: يا أبا الدرداء لو جاءني هذا الأمر وأنت غائب لأشْخَصْتُ فيه الرسلَ إليك، وجعلته في يديك، فاختر لي أرضاهما لربك، والله شاهد عليك، فاقْضِ ولا يَصُدَّنَّكَ عن ذلك اتباع الهوى، فليس أمرهما عليك خفيا. فقال أبو الدرداء: أيتها المرأة إنما عليَّ إعلامك ولك الاختيار لنفسك. فقالت عفا الله عنك إنما أنا بنت أخيك، ولا يمنعُكَ أحدٌ من قولِ الحق فيما طَوَّقْتُكَ به، فقد وجب عليك أداء الأمانة. فلم يجد بُداً من القول فقال يا بنية: ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليَّ في ذلك وأرضى عندي والله أعلم وقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتيكِ حيث وضعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شفتيه. قالت قد اخترتُه ورضيته. فتزوجها الحسين بن علي عليهما السلام، فساق لها مهرا عظيما. وبلغ معاوية ما فعله أبو الدرداء فَعَظُمَ عليه وقال: من يُرسل ذا بَلَهٍ وعمى ركب خلاف ما يهوى. وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه إياها ذهبا. وكان معاوية قد اطَّرَحَه، وقَطَعَ عنه جميع روافده، لقوله إنه خدعه حتى طلق امرأته، فلم يزل يجفوه حتى قل ما بيده، فرجع إلى العراق، فلما قدمها لقِيَ الحسين فسلم عليه، ثم قال: لقد علمتَ ما كان من خبري وخبر أُرَيْنِب، وكنت قبل فراقي إياها استودعتُها مالا وكان الذي كان ولم أقبضه، ووالله إن ظني بها جميل، فذاكرها في أمري فإن الله يجزيك به أجرك. فسكت عنه. فلما انصرف إلى أهله قال لها: قدم عبد الله بن سلام وهو كثير الثناء عليك في دينك وحسن صحبتك فسرني ذلك، وذكر أنه استودعك مالا. فقالت صدق، استودعني مالا لا أدري لمن هو، وإنه لمطبوع عليه بخاتمه، وها هو ذا فادفعه إليه بطابعه. فأثنى عليها الحسين خيرا، وقال: ألا أُدْخِلُه عليك حتى تبرئي منه؟

ولَقِيَ عبد اللّه فقال: ما أَنْكَرَتْ مالَكْ، وزعمت أنَّه كما دفعته إليها بطابعك، فادْخُلْ يا هذا إليها واستوف مالك بحيث تحصل البراءة من الطرفين. فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد اللّه بن سلام قد جاء يطلب وديعته. فأخرجت إليه الْبِدَرْ (الْبَدْرَةُ كيس فيه مقدار من المال يُتعامل به، ويقدم في العطايا) فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالُكْ. فشكر وأثنى فخرج الحسين عنهما وفَضَّ عبدُاللّه خواتم بِدَرِه وحَثَا (نَثَرَ) لها من ذلك جانبا كبيرا، وقال لها: واللّه هذا قليل مني. فاستعبرا حتى عَلَتْ أصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به. فدخل الحسين عليهما وقد رَقَّ لهما، ثم قال: أُشْهِدُ اللّه إنها طالق ثلاثا. اللهم أنت تعلم أنني لم أستنكحها رغبة في مالها ولا في جمالها، ولكني أردت إحلالها لزوجها فطلقها... هكذا نقله ابن بدرون في تاريخه واللّه أعلم"[1].

(١) أنظر كتاب ثمرات الأوراق، لابن حجَّة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٥٣-١٥٧. ولنا تعقيب على هذه القصة: إذ لا ينبغي أنْ نقبلها وأمثالها قبول المُسَلِّم بصدقها إلا بعد فحص ونقد، لما يعتور قصص التاريخ من دس وتلفيق بسبب الفتن المذهبية التي اندلعت بين رجال الجيل الأول من المسلمين، فراح كل فريق يختلق الأحاديث والقصص الباطلة ضد الفريق الأخر. لا نقول هذا دفاعا عن أي أحد، ولكننا نأبى أن يُمَسَّ العلم من قبلنا، أو أن نكون قنطرة لعبور الباطل إليه. فعرفان ما على خلفاء بني أمية من مآخذ لا يبيح للباحث أن ينخرط في الترويج لكل ما يلفق ضدهم. وليس من العدالة الدينية والأمانة العلمية أنْ لا يُبْدي ملاحظته حول ما يُنْسَبُ إليهم حال وضوح عدم صحته. وخُدَّامُ العلم معنيون أصلا بالأمانة العلمية وملزمون بها دينا. وهذه الرواية تحمل بطلانها في متنها، فإن الحسين بن علي رضي الله عنه لم يُقِمْ في العراق، وإنما وُلِدَ ونشأ وترعرع بين مكة والمدينة. وقد جاء إلى العراق وعمره ٥٦ سنة استجابة لدعوة ثوَّارها على خلافة بني عمه الأمويين. ولم يكد يصلها حتى تلقاه الجيش الأموي وقضى عليه وعلى أسرته ومن معه من الرجال. فكيف يُقْحَمُ اسمُه في قصة يُزْعَم وقوعها بين الشام والعراق؟ وبافتراض وقوعها زمن إقامته في المدينة فهل يُعقل أصلا أن يقوم الحسين بدور المُحَلِّل طليقة غيره؟ كيف ذلك وجدُّه النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن ذلك أشد النهي بقوله: "لَعَنَ

يا سعدُ حيِّ الأمالي في أمانيها[1] وحيِّ باللطف عنا حيِّ واديها
وعُجْ فواقا إلى تلك الخيام بنا لننشق الطيب مسكاً من غواليها[2]
وقف بنا نسمع الأنغام راقصة تروي حديث الأماني في أماليها
أقصوصة عن نسيم الروض ترويها عن الغصون تناغيها فواغيها

اللهُ المُحَلِّلَ والمُحَلَّلِ له"؟ فهل يعقل أن يخالف الحسين دين جده لأجل ابن سلام الذي كان عين عدوه معاوية عليه، ويده الباطشة به؟ ثم هل يعقل كذلك إمكان تواطؤ معاوية وابنته رملة على هذا الفعل الخسيس ويعاونهما على إتمامه صحابيان جليلان هما أبو هريرة وأبو الدرداء؟ وهل كان يزيد محتاجا إلى الحلال ليصل إلى وصال أُرَيْنِبْ وهو المشهور عنه في أمهات كتب المصادر بأنه أثيم لا يبالي بمحارم الله؟ ومن جهة ثانية فإن زمن القصة هو القرن الهجري الأول، وقد أوردها ابنُ حجَّة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧هـ في كتابه ثمرات الأوراق نقلا عن كتاب تاريخ ابن بدرون الحضرمي الأندلسي المتوفى سنة ٥٦٠هـ، فبينه وبين زمن القصة أكثر من خمسة قرون فكيف وصلت إليه، أو عن أي مصدر نقلها مع علمنا أن المصادر المعتبرة لم توردها. وما يزيد اليقين باختلاقها هو إقحام الصحابيين أبي هريرة وأبي الدرداء ما يشير إلى أنها صنعت من قبل طائفة مذهبية معروف عنها جهرها بلعن جمهرة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتشنيع عليهم، ونسبة كل قبيح إليهم، ومنهم أبو هريرة رضوان الله عليه. وثمة سؤال: هل يقبل ذو عقل مفكر ونظر سديد في الأمور أن يسعى أبو الدرداء وأبو هريرة إلى دفع عبدالله بن سلام لتطليق زوجته تحقيقا لنزوة يزيد بن معاوية؟ لا يمكنني تَصَوُّر رضا هذين الصحابيين المكرَّمين بالانخراط في مثل هذه المؤامرة الدنيئة وهما اللذان تلقيا آداب الإسلام وأحكامه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلاها إلى البشرية. وكانا في زمنهما من البقية الباقية من الصحابة وقد عُرِفا بأنهما من أخلص من خدموا النبي وسنته المطهرة. وعندي أن مثل هذا الفعل الشائن الذي يمقته الدين لا يصدر عن صحابيين نقيين كأبي الدرداء وأبي هريرة. وليس من الجائز عندي نسبته إلى أحدهما. وسؤال آخر: هل زوجة عبدالله بن سلام كانت عنده من رخص المنزلة بأن يطلقها طلاقا بائنا لأول وهلة لوعد مزعوم بتزويجه ابنة معاوية؟ كيف ذلك والرواية تقول بأنها من أجمل نساء عصرها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا، وسارت بذكر جمالها الركبان، وضُرِبت بها الأمثال. إنَّ تفاصيل هذه القصة تشي باختلاقها.

(١) العروض في هذا البيت و في البيت الرابع: (فعلان)، وستكون (فعلن) في بقية الأبيات.

(٢) عُجْ: انعطف، مُرْ. فواقا: فترة يسيرة من الوقت. الغوالي: مفردها غالية وهي إناء توضع فيه أخلاط من الطيب.

عن المفارق ترويها مسلسلة ... خيوط شمس الضحى
عن ظلمة الفرع من ... عن نورها فيها[1]
فوق الجبين وللضْـ ... ـضياء سَبْح طويل في دياجيها[2]
عن جلوة البدر في وجه الحبيب على ... مطالع قسمات الحسن تجلوها
عن الحواجب تزجيها مزججة ... أقواسها ويد الرحمن تبريها
عن نرجس تحت أجفان مكسرة ... أشفارها بات ذوب الليل يرويها
عن وجنة ظل فياضاً يُوَرِّدُها ... ماءُ الشباب الذي قد بات يسقيها
عن الشقيق على ثغر تَبَسَّمَ عن ... لآلئ نَظَّمَتْها كف باريها
عن نفحة الآس والريحان تعبق عن ... خَدٍّ سَقَتْهُ من النعمى سواقيها
عن سوسن الجيد والصهبا تميل به ... عن قامة البان والأهواء تُثْنِيْها
عن ناضر داعبته الكبرياء على ... رمَّانتيه فحَيَّا روضه فيها
عن مستهام طوته في خواطرها ... مغازلُ الحب لما بات يطويها[3]
عن خَدِّ زينب[4] والريحان يمسحه ... عن عينها نرجس البستان يغضيها[5]
عن ثغرها ورحيق الشهد يرفده ... عن وجنتيها وزهر الورد يندِيها
عن مبسم هام فيه الأقحوان به ... عن غرة ظل قرص الشمس يغريها
عن الشفاه كجرح سال عندمه[6] ... عن نقطة الخال لون المسك يحكيها
عن الهلال جلاه التّمُّ مبتدرا ... عن ظلمة الفرع ترخيها دياجيها
عن سوسن الجيد قضبانا مجردة ... عن قامة كاد خُوْطُ البانِ[7] يلويها

(١) المفارق جمع مفرق، ومَفْرِق الرَّأْس: موضع انفراق الشَّعر. والمقصود هنا الوجوه.
(٢) الفرع: الشعر. وظلمته لونه الأسود.
(٣) لفظة (خواطرها) وردت في نسخة القصيدة بديوان وحي العبقرية المطبوع: (خواصرها).
(٤) زينب: هي أرينب بنت إسحاق. ولعل أُرَيْنِبْ لقبها.
(٥) زينت: هي زينب بنت إسحاق زوجة عبدالله بن سلاَّم القرشي محور هذه القصيدة ومدار الشعر فيها.
(٦) العندم: نبات له صبغة حمراء تخضب به النساء.
(٧) خُوطُ البان: غصنه.

عن الحِقَاق[1] جلاها الصدر تائهة ... عن المطاوي تعالى الله طاويها
يا بنت إسحاق يا أخت الجمال صفي ... لنا معاليك والنعمى تغذيها
في محتد شاءت الأنوار تسبقه ... إلى العلى فَشَآها[2] في مجاريها
في منبت الحُسْنِ والحُسْنَى تباركه ... في دوحة العز والإجلال يغذوها
فتى سَلَامٍ[3] أخا العلياء فزت بها ... وبت في مخبأ الأفراح تطويها
تبادلان أحاديث السرور على ... فرش الحبور ليالي الأنس تجلوها
فاشْدُدْ يديك بها واضْمُمْ قوادمها ... إلى جناحيك واستظهر خوافيها[4]
واكتب بريقتها خط الهناء ولا ... إلا أناملها الأقلام تلفيها
ولا يغرَّنَكَ ما شادت وما بذخت ... للحُسْنِ رملة[5] فالأهواء تقفوها
تَعَرْقَبَتْكَ مواعيدٌ[6] غررت بها ... كالأرْي في طعمها سم لجانيها
يزيد يا ابن الكرام الصيد من مضر ... ومن أمية في أعلا روابيها[7]

(١) الحِقَاقُ جمع حُق، وهو وعاء صَغيرٌ ذو غطاء يُتخذ من عاج أو زجاج، والمقصود هنا ثديا المرأة.
(٢) شآها: سَبَقَها.
(٣) فتى سَلَام: هو عبدالله بن سلاَّم القرشي زوج زينب (أرَيْنِبْ) بنت إسحاق.
(٤) القوادم والخَوَافي ريشَات في جناح الطير. القوادم تقع في مقدمة الجناح. أما الخوافي ففي مؤخره، وإذا ضَمَّ جَناحَيْه خَفِيت. والمغزى بأنَّ للرجل أنْ يستمتع بجمال ما يستقبله من وجه زوجته وخديها وثغرها، وأن يستظهر ما يختفي وراء لباسها من مفاتن جسمها.
(٥) رَمْلَة: المقصود بها رملة بنت معاوية بن أبي سفيان.
(٦) تَعَرْقَبَتْكَ مواعيدٌ: أي لم تصدق، أخذا من العبارة الشهيرة: مواعيد عرقوب.
(٧) يجسّد أمير البيان في هذا البيت الموقف التاريخي المتسامح للإباضية من القضايا الخلافية بين المسلمين في الماضي والحاضر، فبالرغم من الصيت الذائع بالسوء الذي تتداوله بعض فرق المسلمين عن يزيد وعن أبيه الخليفة معاوية بل وعن خلفاء الدولتين الأموية والعباسية، إلا أن الإباضية -مع ما شنَّه عليهم الأمويون والعباسيون من حروب- لم ينجرفوا وراء عقيدة اللعن التي اتخذتها بعض الفرق منسكا دينيا تمارسه ضد عدد من كبار الصحابة وأزكاهم وليس الأمويون والعباسيون وحدهم. إن أمير البيان وهو سليل أئمة الدولة الإباضية، يطري خلفاء بني أمية بما عُرف من محاسنهم وهي عظيمة، غاضًّا الطرف عما يُتَدَاوَلُ عنهم ويُنْسَبُ إليهم من

فتى معاوية الشهم الذي شهدت ... له المعالي التي ما انْـفَكَّ يُعليها
ومن تسنم عرش الحكم في شرف ... تنحط عنه الدراري في تساميها
نَبَتَّ في دوحة العلياء غصن علا ... في هامها ركن مجد في أعاليها
أصْمَتْكَ[1] زينبُ ألحاظا فَبِتَّ بها ... كحية الـواد لكن فـي تلوّيها
رمتك أسهم حب وهي غافلة ... وأسهم الحب لا تخطي مراميها
وأنت تهفو إلى الآمال مشتكياً ... آلام حبك أنـــأَت تواليهـا
تأوي إلى فرش التعذيب باكية ... عيناك والحال لَمَّا يبدُ خافيها
تئن فيها أنين الْمُسْقَمِين[2] ولا ... داء سوى أنَّة في الحي تبديها
هذا رفيفُ[3] الفتى ذو فطنة وله ... لدى معاوي زلفى أنت تدريها
فَبُثَّهُ الشجو واقصص ما تحس له ... لعل لمحة بشرى منه تلفيها
فَبَثَّهُ الأمر تصريحاً وقال له ... روحي فدا زينب إنْ كان يرضيها
فلم يكد يتلقاها معاوية ... جلية لا يكاد السر يخفيها
أو قال حسبك فاصبر يا يزيد لها ... واكتم لعل القضا يوما يُسَوّيها
فقال قد عيل صبري وانتهى جَلَدي ... فقال يكفيك من نفس أمانيها
فَبَيَّتَ ابنُ أبي سفيان خطته ... مكيدة كاد حد السيف يحكيها
وقال يا ابنَ سلام سر اليّ وَدَعْ ... عرش العراق وإن قد كنت واليها
فإنما لك عندي خير ما طلعت ... شمس عليه فما الدنيا وما فيها

مساوئ، مفوضا أمر الفصل بينهم وبين خصومهم إلى رب الخلق سبحانه. إن هذا لَيُجَسّد كمْ هُمُ الإباضيون ملتصقون بمبادئ الإسلام في مواقفهم من الأحداث وصُنّاعها، بحيث لا ينكرون لذي الفضل فضله، ولا ينتقصون لذي المقام مقامه، متحفظين على سلامة تدينهم مما هو مسطور من مثالب في سير بعض رجال الرعيل الأول ومساوئهم. وحين تُعَدُّ مساوئ بني أمية فليس من العدل ألا تُذْكَرَ محاسنهم وأعظمها أن الإسلام في عهدهم انتشر في أوسع رقعة جغرافية في الدنيا.

(١) أصْمَتْكَ: رَمَتْكَ، أصابَتْكَ.

(٢) المُسْقَمِيْنَ: المُمْرَضِيْن.

(٣) رفيف هو فتى معاوية بن أبي سفيان أفضى إليه يزيد بن معاوية بمعاناة حبه لزينب حسب الرواية.

فقام في الحال عبد الله متجها ... تطويه أردية الصحرا ويطويها
يبغي معاوية حتى أتاه على ... أحضان جُلَّق[1] تؤويه ويؤويها
في عزة تحسد الأقمار رفعتها ... ومنعة تخدم الدنيا صياصيها[2]
بحبوحة الملك والإجلال يحرسها ... وعرصة العز والدنيا تفدّيها
لله فيها عنايات مقدسة ... من عهد أحمد لم تُفْلَلْ مواضيها[3]
تداولتها الليالي في عواصفها ... بعد الرسول وعين الله تحميها
لا يُهْمِلُ الله شيئا في خليقته ... وحكمة الله لا تُدْرَى خوافيها
فَبَشَّ نجلُ أبي سفيان في كرم ... في وجه نجل سلاَمٍ منه تمويها
وبات بالجاه والنعمى يلاطفه ... على أساليب تغريه قوافيها
يزجي إليه الرجا كأساً مُذَهَّبَةً ... صفراء تأخذ ساقيها وحاسيها
وفي ابتسامة ذي رأيٍ وذي بصر ... أبدى مُعاوي أسرارا يواريها
إذْ قال دونكَ فاقْبَلْ كفَّ رملة في ... عِشٍّ الزواج وعِشْ بعلا يُغَشِّيها
فأنت أكرم كُفْءٍ في قريش لها ... وهي الحصان التي يرضيكَ ما فيها
لكن تركتُ لها رأياً لِمَا حَمَلَتْ ... من راجح العقل جلَّ اللّٰه موليها
اذهب إليها أبا الدرداء مصطحبا ... أبا هريرة ترغيبا وتوجيها
قولا لها إنَّ عَبدَاللّٰه أكرم من ... قد أنْبَتَتْهُ قريش في روابيها
فأقْبَلا وهي مثل الشمس في حلل ... خضر يطيش لديها عقل رائيها
لا السمهريُّ[4] إذا مالت يماثلها ... ولا المهند في لحظ يضاهيها
ولا حفيف الصَّبا في سيرها سحرا ... كهمسة الطيف منها في محبيها

(١) جُلَّق: دمشق.
(٢) الصياصي: جمع صيصة وهو الحصن.
(٣) لم تُفْلَلْ: لم تُثْلَمْ، لم يُكسر حدُّها. المواضي: السيوف.
(٤) السَّمْهَرِيُّ: رمْحٌ عُودُه صلب.

تَـفْتَرُّ عن ناصع كالطلع[1] يبرق في ... حمر الشفاه كأن الخمر في فيها
قالت على العين عبد الله أكرم من ... أرخى على حرة ثوبا يغطيها
فداه روحي وأغلا ما أَضِنُّ به ... لكن ثمت لي آراء أبَدّيها[2]
قُولا له جُذَّ[3] حبل الوصل بائنة ... عن زينب إنَّ مثلي لا يواليها
لا أقبل الحبل موصولا بواحدة ... غيري ولو كنت من أدنى أَدَانيها[4]
كُنْ لي أَكُنْ لَكَ أوْ دَعْني لآخَرَ لا ... إلاَّ لعيني تُفَدِّيه ويَفْدِيها[5]
فأخْبَرَاهُ بما قالت وما اقترحت ... وأنه خير من في الناس يرضيها
فَهَشَّ للأمر عبد الله مغتبطا ... وقال رملة ما أحلى لياليها
ولم يطق ردها عما دعته له ... فَجَذَّها بائنا[6] صعبٌ تلافيها
وأشهد الناس مكتوبا على ورق ... وثيقة ظلت الأوهام تمليها
فراجعاها وقد طاشت حبائلها ... كما أرادت ولم تخطئ مراميها[7]
قالت تفكَّرْتُ في أمر الزواج فلم ... أجرؤ عليه وحسبي الحال مكروها
فأبصر الكيد من خلف الستارة عبـ ... ـدالله والحال أبدت عن مطاويها

---

(١) الطلعُ: هو طلعُ النَّخْلِ يَنْفَتِحُ عَنْ حَبٍّ مَنْضُودٍ نقيّ في بياضه، وبه يُشَبّه أمير البيان أسنان المرأة بحب الطلع. وهذا تشبيهٌ بالغٌ درجةً من الجمال الحسي والمعنوي في آن. فالحسي تشبيهه أسنانها في نصاعة بياضها واستواء رصفها ببياض حبات الطلع واتساق نضدها البديع. والمعنوي أن لطلع النخل رائحة مثل رائحة ماء الرجل تماما وهذا هو الجانب المعنوي في هذا التشبيه لأنه يُبْرِزُ في ذهن المتلقي ما يحدث بين الزوجين عند اتصالهما بالزواج.

(٢) أَضِنُّ به: أحرصُ عليه. أُبَدّيها: أقدّمُها، أذكُرُها أولا.

(٣) جُذَّ: إقطع. والمراد الطلاق.

(٤) من أدْنى أدَانيها: من أقرب أقربائها.

(٥) لا إلاَّ: مثل القول: ليس إلا، بمعنى لا غير.

(٦) فجذَّها بائنا: أي طلقها طلاقا باتا بلا رجعة.

(٧) استجاب ابن سلام لشرط رملة فطلق زوجته، وأخلفت رملة وعدها فامتنعت عن القبول به بعد أن فارق زينب فراقا باتا.

وبات يعتلك التسويف في أسف ... كمُهرة نفرت عنها مذاكيها
حتى تطامن نحو اليأس تلفحه ... نارُ التندم، زَنْدُ الحزن يذكيها[1]
فعاد أدراجه يزجي ندامته ... إلى الفرزدق والكسعيِّ يشكوها[2]
لا الليل يطعمه حلو السبات ولا ... عين النهار تواسيه بجاريها
فَدَبَّرَ ابنُ أبي سفيان خطته ... وقال قم يا أبا الدرداء سِرْ فيها
ودونك المال إبريزا وسر عجلا ... عني إلى زينب كيما توافيها
وقل لها ابن أمير المؤمنين وليّ ... العهد فرع السَّرَاة الشم يبغيها
واحمل وثيقة تطليق الثلاث لها ... كيما تراها وبالغ في ترجيها

(١) تطامن: انخفض. وتطامن نحو اليأس: بمعنى استسلم له.

(٢) هذا وصف للندم الذي أصاب عبدالله بن سلاَّم بعد أن طلق زوجته دونما سبب موجب سوى وعد بتزويجه ابنة معاوية التي شرطت عليه أن يطلق زوجته طلاقا بائنا لتقبل القران به إلا أنها أخلفته وعدها بعد أن طلق زوجته فأصابه ندم عظيم. لكي يصور لنا أمير البيان شدة ما اعترى ابن سلاَّم من الندم استدعى قصة رجلين ندما على ما فعلا ندما أصبحا به عظة لغيرهما. أما الأول فهو محارب بن قيس الكُسَعي الذي يضرب به المثل في الندامة فيقال: "نَدِمْتُ ندامة الكُسَعي". وقصته أنه كان يرعى إبلا له بواد وأبصر غصنا في صخرة فقال ينبغي أن يكون هذا الغصن قوسا ليس له مثيل، فتعهده برعايته وصنع منه القوس، ورأى ظباء ذات مساء فرماها بسهم منه واخترقها وأحدث شررا في الجبل فظن أنه فشل في رميه، ثم مر به قطيع آخر ورماه ونفذ السهم منه إلى الجبل أيضا وظن أنه فشل مرة أخرى. وحاول مرة ثالثة، وحدث له ما حدث في السابق، فغضب وأخذ قوسه فكسرها، ولما أصبح وجد ثلاثة من الظباء مطروحة وأسهمه مضرجة بدمائها فندم على كسره للقوس. أما الثاني فهو الشاعر الفرزدق (همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي) الذي طلق هو الآخر زوجته نوار ثم ندم ندامة وصفها بأنها مثل ندم الكسعي، فقال:

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الكُسَعِيّ لَمّا ... غَدَتْ مِنّي مُطَلَّقَةً نَوَار
وَكَانَتْ جَنَّتي، فَخَرَجْتُ منها ... كَآدَمَ حِينَ لَجّ بِهِ الضِّرَارُ

أنظر كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، الجزء الخامس، مادة: الكُسَعِي، ص ٢٨١.

فسار يعتسف البيداء في جَلَدٍ ... حتى أتى طيبة السمحا ووارديها[1]
يروم زينب يجتاز الشوارع من ... عرش النبوة حتى كاد يأتيها
رأى الحسين فحياه وقال له ... من أين جئت أبا الدرداء تطويها
فقال من جُلَّقٍ من عند حاكمها ... فقال ما الشأن قل لي عن مطاويها
فقص ما كان بالتفصيل أجمعه ... قال الحسين اذكرني حين تأتيها
فجاء زينب حتى حلَّ ساحتها ... ضيفاً عزيزاً عليها مثل أهليها
لأنه بعض أصحاب الرسول ومن ... جاءت بمدحهم الآيات تنويها
وقال يا بنت إسحاق الفتية من ... فاقت جمالا وإجلالا وتنزيها
إنَّ الأمور مقادير وأقضية ... تبارك الله بين الخلق يقضيها
والمرء تسلبه الأيام نعمته ... حينا وتوليه أحياناً أياديها
ورُبَّ مكروهة والخير يتبعها ... ورُبَّ محبوبة والشر يتلوها
هذا قرينك جَذَّ الحبل منك وها ... وثيقة الْبَتِّ قومي فانظري فيها
وقد حداني أمير المؤمنين أبو اليزيـ ... ـد نحوك بالأنعام أحدوها
لكي تكوني بدار الملك ناعمة ... قرينة ليزيد في أعاليها
قرينة السعد والدنيا مواتية ... عقيلة الملك والنعماء تغذوها
وبينما أنا في دربي إليك إذا ... بطلعة البدر والأنوار تعلوها
ذاك الحسين الذي لولا أرومته ... على البسيطة لم تشرق دراريها
وقال لي بعد أن حيَّا وساءلني ... اذكر لها رغبتي لما توافيها
قالت قضاؤك ربي لا مرد له ... وحكمك العدل فاقصم من علا تيها

(١) قوله حتى أتى طيبة السمحا ووارديها: طيبة لقبٌ للمدينة المنورة، وتفاصيل القصة دارت بين العراق والشام كما في رواية كتاب ثمرات الأوراق لابن حجة، التي ذكرت أن معاوية وجَّهَ أبا الدرداء إلى العراق ليخطب زينب ليزيد، بينما أمير البيان يقول في هذا البيت بأنه أتى طيبة أي المدينة. ربما وقف أمير البيان على رواية للقصة خلاف رواية ابن حجة. إنَّ هذا مما يزيد في عوامل اختلاق هذه القصة.

لو كنت عني أبا الدرداء في بعد ... وجهت نحوك قصد الرأي توجيها
وقد جعلتك نبراسي فقل لي عن ... خير الخطيبين تعظيما وتنزيها
فقال حسبك فاختاري لنفسك من ... ترضينه لا لَقِيْتِ العمرَ مكروها
قالت إليك جعلتُ الاختيار على ... أمانة الله في العقبى تؤديها
فأغرورقت عينه بالدمع باكية ... وقال ما كابْنِ بِنْتِ المصطفى فيها
قالت فديتُكَ هذا بغيتي ليكن ... قرين زينب ترضيه ويرضيها
فقال يا ابن عليٍّ خذ بمعصمها ... وحسبي السخط من شمس ووليها[1]
فضمها ذلك الشهم الغيور على ... محارم الله بالإكرام يؤويها
فلم تكد تصل الأنباء سارية ... إلى معاويَ حتى عاد مشدوها
وقال قولة ذي غيظ وذي حنق ... والغيظ للنفس من أعدى عواديها
يا أم خالد كم ساع ومجتهد ... لقاعدٍ نَبَّهَتْهُ الحالُ تنبيها
وقال حين أبو الدردا أتاه بما ... لديه بالحق لا مينا وتشويها[2]
من يُرسل البُلْهَ يركب من إرادته ... خلاف ما كان يهوى من أمانيها
وجاء نجل سلام للحسين ألا ... سَلْ زينبا عن أمانات بأيديها
فإن لي عندها مالا وقد بلغت ... بي الضرورة حالا أنت تدريها
قال الحسين له ادخُلْ في الخبا معها ... وسَلْ نقودك منها فهي تدريها
فلم يكد يرها حتى بكى وبكت ... بأدمع كاد صوب الغيث[3] يحكيها
وقال قد بلغتْ بي الحالُ ما بلغت ... وأنت تدرين من حال أقاصيها[4]

(١) شمس: هي عشيرة معاوية بن صخر (أبو سفيان) بن حرب بن أمية بن عبد شمس ويُعْرَفُ الفرد منها بالعبشمي نسبة إلى عبدشمس.
(٢) الْمَيْنُ: الكذب.
(٣) صوب الغيث: المطر.
(٤) أقاصي: جمع أقصى. وأقصى: أبعد ما يكون. والمعنى هنا أنك تقدرين أبعاد معاناتي المتمثلة في فقدي لك مغترا بوعد كاذب.

ووالـذي قـدَّر الأشياء لو ملكتْ ... يــدايَ مـالا فـلا واللّه أبغيـها
لكن نُكِبْتُ ومن يُنْكَبْ يحقُّ له ... من نظرة اللّه والرُّحمى صوافيها
هَـبِـيْ خُدِعْتُ وما فكرت في عملي ... فإنمـا هـي بـلـوى جـلَّ قاضيها
قالت قضاء وتقدير فدونك ما انْـ ... ـتَمَنْتَنِي زادك الرحمن ترفيها
هنا ليظهر سر اللّه في دم من ... سادت أبوتـه الدنيا ومـن فيها
من سِيْطَ[1] في دمه الإيمانُ وارتسمت ... بوجهه قسمات النـور تأليها
فتى ابن عم رسول اللّه أكرم من ... مشى على جبهة الغبرا[2] يزكيها
من النجار الذي لو لاه ما بزغت ... شمس ولا ذَرَّ[3] نجمٌ في دياجيها
ذاك الحسين كريم العنصرين ومن ... نماه للدوحة العلياء عاليها
إذ قـال أشهدكم أنـي نـزلت له ... عن زينبٍ لا قلى فيها ولا تيها
لكـن لأوثـــره فـي نكبـة نـزلت ... عليه فانهض لها واقبض بأيديها
واللّه يجمع بالتأليف بينكما ... على السعادة فاخش المكر تمويها
واشْـدُدْ يديكَ بها فَهْيَ الوفاء ولا ... تَغْـرُرْكَ بَسْمةُ خَدْعٍ منْ أعاديها
واذكر على الدوم ما أوْشَكْتَ تَغْرق في ... آذِيِّــهِ[4] لكِـنِ المولى يُسَـوِّيها
فهش للأمر عبد اللّه واعتـنـق الحـ ... ـسين والعين تـذري من مآقيها
وراح يستقبل الأيـام مرتـشفاً ... سلافـة الحب ترويه ويـرويها
يـهـزُّ أمـلـودَ بـــانٍ[5] فـوقـه قمرٌ ... عن فرْعه أرخت الظلما دياجيها
يـميس تـحت الهوى رمانتين وفي ... عليائه وردة طاشت فواغيها

---

(١) سِيْطَ: خُلِطَ.

(٢) الغبرا: الدنيا.

(٣) النجار: الأصل. ذَرَّ: طَلَع.

(٤) الآذي: الموج الشديد.

(٥) الأملود الناعم الليّن. البان: شجر معروف بلين ودقة وطول جذعه، والمقصود قد زينب، والقمر وجهها، والفرع شعرها.

وكم تبسم عن ثغر الأقاح[1] على ... مراشف كم سقاها الخمرَ ساقيها
وكم تفتح طرف الغنج[2] عن مرض ... فيه فهاج من الأهواء قاسيها
وكم شكا خصره الأمواج عالية ... يكاد يبتزه منها تراميها
فعاش بالأنس عبد الله مغتبطاً ... بها وبات على السراء يطويها
واستقبل الدهر أياما مباركة ... عليه والحال باللذات يقضيها
يسترشف الخمر شهداً من خليته ... ويلمس الحسن لطفا في مطاويها
فلو رأيت حبيبين استفزهما ... لطف القضاء مسرات وترفيها
رأيت أنعم من في الكون من بشر ... غصنين في الخلد طالا بين أهليها
في دوحة باتت النعما تغذيها ... وجنَّة باكر الوسميُّ زاكيها
وروضة في ربا الفردوس قد ينعت ... أثمارها ودنا للقطف دانيها
قد استهلت لهم بالبشر ضاحكة ... وافتضت الختم مسكا من غواليها

* * * * *

(١) الأقاح: جمع أقحوان وهو نبات لَهُ زَهْرٌ أَبْيَضُ وَرَحيقٌ أَصْفَرُ، ذُو رَائِحَةٍ عَطِرَةٍ.

(٢) الطرْفُ: حركة العين. الغنج: ما تصطنعه المرأة من استثارة بتهدج في الصوت وميوعة في الحركة لتجعل الرجل يزداد ولعا بها.

مصادر التحقيق

مصادر التحقيق

أولا: كتب الحديث والسيرة النبوية

كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام النووي: يحيى بن شرف الدين الدمشقي (٦٣١هـ-٦٧٦هـ) طبعة محققة قدَّمَ لها الدكتور محمد جميل غازي، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

كتاب السيرة النبوية (مأخوذ من كتاب البداية والنهاية لابن كثير) تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م.

كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، لمؤلفه عياض بن موسى بن عياض اليَحْصُبي السبتي، (ت ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء، عَمَّان، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

ثانيا: الدواوين الشعرية

ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية ١٨٩٥م-١٩٥٩م، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ديوان عنترة، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق مجيد طرَّاد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ديوان المُتَلَمّس الضُّبْعِي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

ديوان النبهاني، تحقيق عزالدين التنوخي، أصدرته وزارة التراث القومي والثقافة في طبعتين الأولى سنة (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، والثانية سنة (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

ثالثا: كتب التاريخ والبلدان

كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود الدَّيْنَوَري، (ت: ٢٨٢هـ)، صححه وضبط ألفاظه محمد سعيد الرافعي، المكتبة الأزهرية، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٣٠هـ.

كتاب أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ نشر.

كتاب إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تأليف محمد دياب الأتليدي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. وطبعة أخرى للكتاب بعنوان: كتاب نوادر الخلفاء المشهور بـ: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، لمؤلفه محمد دياب الإتليدي المتوفى في القرن ١٢هـ، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

كتاب البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، بدون تاريخ نشر.

كتاب البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

كتاب تاريخ الخلفاء، للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، راجعه وعلق عليه جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

كتاب تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) لمؤلفه محمد بن جرير بن يزيد (أبو جعفر الطبري) المتوفى سنة ٣١٠هـ، ومعه كتاب صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى سنة ٣٦٩هـ، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧ه.

كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لمؤلفه أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١هـ)، تحقيق أبو القاسم إمامي، الناشر سروش، طهران، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

كتاب التنبيه والإشراف لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦هـ)، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، بدون تاريخ نشر.

كتاب التيجَان في مُلوك حِمْيَرْ، لمؤلفه عبدالملك الحميري (ت ٢١٣هـ) تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ط/١: ١٣٤٧هـ.

كتاب ثمرات الأوراق، لابن حجَّة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (المتوفَّى سنة ٨٣٧هـ)، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

كتاب خلاصة السير الجامعة لعجائب الملوك التبابعة لنشوان بن سعيد الحميري، المتوفى سنة ٥٧٣هـ، تحقيق علي المؤيد وإسماعيل الجرافي، دار العودة، بيروت، ط٢/١٩٧٨م.

كتاب العقد الفريد، تأليف شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، تقديم الأستاذ خليل شرف الدين، منشورات دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٩م.

كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لعبدالله بن أسعد بن علي اليافعي، (ت ٧٦٨هـ)، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

كتاب المسالك والممالك، لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري، المتوفى سنة ٤٨٧هـ، تحقيق الدكتور جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

كتاب المعارف، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.

كتاب معارك أدبية قديمة ومعاصرة، تأليف عبداللطيف شرارة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

كتاب المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، لأبي البقاء محمد بن نما الحلي، (ت. ق: ٦ه)، تحقيق خريسات ودراركة، مكتبة الرسالة الحديثة، عَمَّان، ط١/١٩٨٤م.

كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢/١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

كتاب الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

كتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، لابن سعيد الأندلسي، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عَـمَّـان، بدون تاريخ نشر.

كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي المتوفى سنة ٦٨١هـ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ نشر.

* * * * *